جامعة قطر

كلّية الشريعة والدراسات الإسلامية

أثر الرحّالة ابن فضلان في حوار الحضارات

إعداد

سلمان علي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يونيو 1441هـ/2020م

2020 ©. سلمان علي. جميع الحقوق محفوظة.

قرار لجنة المناقشة

أُستُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب سلمان علي بتاريخ 2020/4/23، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه، وحسب معلومات اللجنة، فإنّ هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

أ. د. حسن عبيد الطائي

المشرف على الرسالة

أ. د. عبد القادر بخوش

مناقش

أ. د. إبراهيم زين

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخّص

سلمان علي، ماجستير في الأديان وحوار الحضارات: يونيو 2020م.

العنوان: أثر الرحّالة ابن فضلان في حوار الحضارات

المشرف على الرسالة: أ. د. حسن عبيد الطائي

تُساعد الرحلات على تقريب الشعوب، وتحقيق حوار الحضارات، وتمتلئ السجلّات الإسلامية بالرحّالة الذين خَلّدوا ذكْرهم في مسار التواصل بين الحضارات، ومن هؤلاء أحمد بن فضلان الذي رحل عام 309هـ/921م في سفارة رسمية من بغداد عاصمة الخلافة العباسية إلى بلاد الصقالبة، وقدّم مادّةً معرفيةً كبيرةً عن الشعوب التي مرّ بها، وهذه الدراسة جاءت لبيان أثره في حوار الحضارات، ورمت إلى التعرّف على سيرة حياته، واستكشاف منهجه في حوار الحضارات، وتحديد أنواع الحوار الحضاري في رحلته، ومقارنة أوجه التفاعل الحضاري معها، وقد اشتملت على تمهيد، وثلاثة فصول.

وقد توصّلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات، من أهمّها: كان لابن فضلان أثرٌ في حوار الحضارات على ثلاثة مستويات، الأول: المستوى المنهجي، وتمثّل باعتماده على منهج متكامل في دراسة الآخر استنادًا إلى المشاهدة، والمعايشة، والوصف، والنقد، والثاني: مستوى الحوار العملي الذي اتّسم بالتنوّع في مجال الدين، والسياسة، والثقافة، والثالث: مستوى التفاعل الحضاري؛ إذ حظيت رحلته بتفاعل واسع من المسلمين وغيرهم في مجالاتٍ عديدةٍ، واُختُتمت الدراسة بهذه التوصيات: أهمية إبراز شخصية ابن فضلان في المناهج التعليمية، واستفادة الرحّالة المسلمين من تجربته، واستئناف الرحلات الإسلامية ذات الطابع الدعوي والتواصل الحضاري، إضافةً إلى ذلك تضمّنت عددًا من المقترحات، منها: ترجمة الدراسات الأجنبية عن رحلته ونقدها، ومقارنة الرحلة بنظيراتها، ودراسة الجوانب التي لم تُدرس من قبل.

الكلمات المفتاحية: الرحالة أحمد بن فضلان | حوار الحضارات | أدب الرحلة | الرحالة المسلمون | بغداد | تتارستان | البلغار | روسيا | الترك | الخزر | الصقالبة.

ABSTRACT

Salman Ali, Master of Religions and Dialogue of Civilizations: June 2020.

Title: The Impact of the Traveler Ibn Fadlan on the Dialogue of Civilizations

Supervisor: Prof. Hassan Obaid Al-Taie

Travel helps bring peoples closer together, activates dialogue among civilizations, and Islamic records are full of travelers whose names have been immortalized in the field of communication among different civilizations. One of them is Ahmad Ibn Fadlan, who left in 309 AH/AD 921 in an official embassy from Baghdad, the capital of the Abbasid caliphate, to the land of the Saqaliba [i.e. Slavs], and gave amazing views of the peoples he went through. For this research problem revolved around the impact of the traveler Ibn Fadlan in the dialogue of civilizations, and the study aimed to get to know Ibn Fadlan, introduce his journey, explore his approach to dialogue among civilizations, identify the types of dialogue embodied in the journey, and compare civilization interaction with the journey between Muslims and others. That is in a preface, and three chapters.

The study reached a number of conclusions, the most important of which: Ibn Fadlan has influenced the dialogue among civilizations on three levels: Methodological level, he took an integrated approach to study others based on observation, coexistence, description, criticism, and second: The level of practical dialog characterized by diversity in religion, politics, culture, and the third: The level of civilizational interaction; his journey has enjoyed wide interaction among Muslims and others in many areas. The study recommended that Ibn Fadlan be featured in educational curricula, that Muslim travellers benefit from his experience, and that Islamic journeys of a missionary nature be resumed, in addition to that included a number of proposals, including: translating foreign studies about Ibn Fadlan, criticizing it, comparing his journey with other journeys, and studying aspects that were not studied before.

Keywords: Ahmed Ibn Fadlan | Dialogue of Civilizations | Travel Literature | Muslim Travelers | Baghdad | Tatarstan | Bulgarians | Russia | Turk | Khazars | Slavs.

شكر وتقدير

شكرًا لله عزّ وجلّ غاية الشكر ومنتهاه، وهو أحقّ أن يُبدأ بالشكر والثناء على نعمه التي لا تُعَدّ ولا تُحصى، فبتوفيقٍ منه اجتزتُ هذه المرحلة، وأسأله المزيد. ومن ثَمّ أتقدّم بجزيل الشكر، وبالغ التقدير، وكثير الامتنان إلى جامعتي الأم جامعة قطر التي علّمتني منذ مرحلة البكالوريوس، ثمّ أتاحت لي هذه الفرصة الثمينة؛ لأُكمل دراستي العُليا، فحقّقتْ لي هدفًا عظيمًا من أهدافي في الحياة كما أشكر معلّمي علّامة الأديان في هذا العصر الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن الذي كان لي الشرف أنّي أحد تلامذته الناهلين من معين معرفته، وأيضًا القامة العلمية الفاخرة الأستاذ الدكتور الحصيف حسن عبيد الذي حمل على عاتقه أعباء الأعمال التعليمية والإدارية طوال سنتين قضيناها معًا، فكان معلّمًا ومرشدًا في آن واحد، ولم يكن مشرفًا على رسالتي هذه فقط بل أشرف على تكويني الفكري، وتأسيسي المنهجي طوال مكوثي في محطّة الماجستير، فترك فيّ أثرًا كبيرًا جدًّا.

وأبعث بالإطراء الحسن إلى مقام أستاذي الأشمّ النبيه الدكتور عبد القادر بخوش الذي أنار طريق هذا البحث باقتراح موضوعه غير المطروق من قبل، ففتح الباب أمامي لكيلا أحتار، وأتيه، وإلى المفكّر اللوذعي الحذق الدكتور عزّ الدين معميش صاحب الومضات الفكرية النيّرة، والبصمات المعرفية الخيّرة، وقد تمنّيتُ لو درستُ على يديه أكثر من مقرّر؛ لأستفيد من مزيد علمه الواسع.

وأقول لهم تنويهًا بمجهودهم المبذول: لقد قضيتُ معكم أجمل لحظات الحياة مفعمةً بالعلم والمعرفة، فكنتم لي خير سند ومعين، ووجّهتموني إلى الطريق المُبين، وما أنا إلّا حصاد غرسكم، فشكرًا لكم من صميم القلب على كلّ ما قدّمتموه، وأشهد الله أنّكم لم تقصروا قط، فقد أدّيتم الرسالة على أكمل وجه، وأعتذر عن أيّ زلّة قد بدرت منّي، وإنّي لأعلم أنّكم فوق ما كتبت، وأعلى ممّا ذكرت، فسدّد الله إلى الخير خُطاكم، ونصر بعلمكم الدين، ونفع بكم الأمّة، وإيّاه أسأل أن يُمتّعكم بموفور الصحّة، ويمدّكم بالعافية.

الإهداء

إلى أمّتي أمّة الإسلام المَجيدة التي أشعّت الدنيا بنور علومها، ومصنّفات علمائها الأفذاذ، فاستحقّت أن تكون خير أمّةٍ أُخرجت للناس، وإلى وطني قطر المعطاء – حفظها الله آمنةً مطمئنةً وسائر البلاد – صاحبة الجهود المشهودة والمواقف المحمودة في دعم حوار الحضارات، وتقريب وجهات النظر المختلفة، وإلى دار السلام ومنارة الحضارة بغداد الحبيبة التي أنتجت لنا الرحّالة ابن فضلان الذي ما زال صدى رحلته يتردّد حتّى كتابة هذه الرسالة.

وإلى والدتي الصبور التي شدّت أزري، وشحذت همّتي، ووقفت إلى جانبي دومًا، فربّتني على حبّ العلم مذ كنتُ صبيًا، وحثّتني على إسلاك دروب العلماء، وإلى شقيقتي العزيزة (أم علي) التي لم تتردّد لحظةً في دعمي لإكمال دراستي، فكانت عونًا لي في أحلك الأحوال، وإلى أفراد أسرتي، وأصدقائي، وأحبّتي، وكلّ من أسدى لي معروفًا، وقدّم لي دعمًا، وأعانني في طلب العلم، وأرشدني إلى الترقّي في مدارجه، وعلّمني ما أجهل، وأطعمني من زاد المعرفة، وسدّ جوع عقلي:

أُهديكم جميعًا ثمار جهدي الوديع في مرحلة الماجستير مع علمي أنّ هذا لا يُوفي حقّكم الكبير عليّ، فلولاكم لتوقّف مسار تعلّمي، وإني لحبيس كرمكم الوافر الذي لن أنساه ما حييت، ولا ينسى الفضل إلّا اللئيم.

سلمان

فهرس المحتويات

شكر وتقدير..... هـ

الإهداء .....و

فهرس المحتويات.....ز

المقدِّمة 1

مشكلة البحث وأسئلته:.....12

أهمية البحث:.....13

أهداف البحث:.....14

فرضيات البحث: 14

حدود البحث:.....14

مصطلحات البحث:.....15

الدراسات السابقة:.....21

صعوبات البحث:.....26

منهج البحث:.....27

خطة البحث:.....27

التمهيد.....30

أولًا – سيرة الرحّالة ابن فضلان: 30

(1) مولده وحياته.....30

(2) شيوخه وتلامذته.....40

(3) المؤلّفات التي تركها.....40

(4) تاريخ وفاته 41

ثانيًا – ملامح العصر الذي عاش فيه ابن فضلان:.....43

(1) الملامح السياسية 43

(2) الملامح الثقافية.....45
ثالثًا – مضامين رحلة ابن فضلان: 47
(1) أسباب الرحلة.....47
(2) سبب اختيار ابن فضلان ومهمّته.....48
(3) الأعلام المذكورون في الرحلة 50
(4) مدّة الرحلة ومساراتها.....51
(5) محتوى الرحلة بين الحقيقة والخيال:.....54
أ – المحتوى الحقيقي.....54
ب – المحتوى الخيالي.....56
الفصل الأول: منهج ابن فضلان في حوار الحضارات.....60
المبحث الأوّل – المشاهدة والمعايشة:.....60
المطلب الأوّل: المشاهدة:.....61
الفرع الأول: المشاهدات الخاصّة.....61
الفرع الثاني: المشاهدات العامّة.....62
المطلب الثاني: المعايشة:.....63
الفرع الأول: أسلوب ابن فضلان في المعايشة.....63
الفرع الثاني: الفرق بين معايشة ابن فضلان والغربيين.....64
الفرع الثالث: نماذج من المعايشة الفضلانية:.....65
أولًا – معايشة جماعة أترك بن القطغان 65
ثانيًا – معايشة الباشغرد والصقالبة.....66
ثالثًا – معايشة الروس 66
المبحث الثاني – الوصف الديني والحضاري:.....68
المطلب الأول: الوصف الديني:.....69
الفرع الأول: الوصف الديني عند الكردلية.....69

الفرع الثاني: الوصف الديني عند الأتراك الغزية.....70
الفرع الثالث: الوصف الديني عند الأتراك الباشغرد.....70
الفرع الرابع: الوصف الديني عند الصقالبة.....71
الفرع الخامس: الوصف الديني عند الروس.....72
الفرع السادس: الوصف الديني عند الخزر.....73
المطلب الثاني: الوصف الحضاري:.....74
الفرع الأول: الجانب السياسي:.....74
أولًا – الجانب السياسي عند العجم والترك.....74
ثانيًا – الجانب السياسي عند الصقالبة.....75
ثالثًا – الجانب السياسي عند الروس.....76
رابعًا – الجانب السياسي عند الخزر.....77
الفرع الثاني: الجانب الاجتماعي:.....78
أولًا – الجانب الاجتماعي عند العجم والترك.....78
ثانيًا – الجانب الاجتماعي عند الصقالبة.....80
ثالثًا – الجانب الاجتماعي عند الروس.....81
رابعًا – الجانب الاجتماعي عند الخزر.....82
الفرع الثالث: الجانب الاقتصادي.....82
الفرع الرابع: الجانب الجغرافي.....83
أولًا – وصف أرض العجم والترك.....83
ثانيًا – وصف أرض الصقالبة.....85
الفرع الخامس: الجانب العمراني.....86
المبحث الثالث – الرؤية النقدية للآخر عند ابن فضلان.....88
الفصل الثاني: أنواع الحوار الحضاري في رحلة ابن فضلان.....91
المبحث الأول – الحوار الديني:.....91

المطلب الأول: الحوارات الدينية التي جرت في بلاد الترك:..... 91
الفرع الأوّل: حوار دعوي مع رجل من الترك..... 91
الفرع الثاني: حوار مع تركي سأله عن الله سبحانه وتعالى..... 92
الفرع الثالث: حوار عن حجّة عبادة الباشغرد لمعبودهم..... 93
المطلب الثاني: الحوارات الدينية التي جرت في بلاد الصقالبة: 93
الفرع الأوّل: حوار مع ملك الصقالبة حول صيغة الدعاء له على المنابر 94
الفرع الثاني: حوار عن تثنية الإقامة بعد الأذان والأمانة في إيصال المال..... 95
الفرع الثالث: حوار عن مؤمني الجن وكفارهم..... 96
الفرع الرابع: حوار مع مؤذّن عن طريقتهم في الصلاة 97
الفرع الخامس: حوار مع الملك عن نظام المواريث..... 98
الفرع السادس: حوار عن قتل رجل من السند تقرّبًا للآلهة..... 98
الفرع السابع: حوار دعوي لستر العورة ومنع الاختلاط..... 99
الفرع الثامن: حوار مع رجل دخل الإسلام 99
الفرع التاسع: حوار مع الملك عن رجل يُقال إنّه من يأجوج ومأجوج..... 100
المطلب الثالث: الحوارات الدينية التي جرت مع الروس:..... 101
الفرع الأول: حوار عن مراسم حرق الجارية مع مولاها..... 101
الفرع الثاني: حوار مع روسي عن التعامل مع الموتى..... 102
المبحث الثاني – الحوار السياسي:..... 103
المطلب الأوّل: الحوارات السياسية في طريق الرحلة:..... 103
الفرع الأول: حوار مع الأمير أحمد بن نصر الساماني 103
الفرع الثاني: حوار مع الأمير محمد بن عراق خوارزم شاه..... 104
الفرع الثالث: حوار بشأن تحصيل المال لملك الصقالبة..... 104
الفرع الرابع: حوار يبيّن سلطة خليفة ملك الترك القضائية..... 105
الفرع الخامس: حوار مع ينال الصغير عندما قطع الطريق على الوفد..... 105

الفرع السادس: حوار مع قاطع طريق تركي..... 106
الفرع السابع: حوار أترك بن القطغان مع قوّاده حول التعامل مع الوفد..... 106
المطلب الثاني: الحوارات السياسية في مقصد الرحلة (بلاد الصقالبة): 107
الفرع الأوّل: حوار عن طريقة التعامل عند قراءة كتاب الخليفة ووزيره 107
الفرع الثاني: حوار مع الملك عن الأموال التي أُمر له بها..... 108
الفرع الثالث: حوار مع الملك عن سبب دخوله في طاعة الخليفة..... 109
المبحث الثالث – الحوار الثقافي:..... 110
المطلب الأول: حوارات ثقافية في بلاد الترك:..... 110
الفرع الأول: حوار مع رجل كشفت امرأته عورتها علنًا..... 110
الفرع الثاني: حوار التركي مع ضيفه عندما ينزل إليه..... 110
الفرع الثالث: حوار شيخ من كبار الترك مع ميت في المنام..... 111
المطلب الثاني: حوارات ثقافية في بلاد الصقالبة:..... 112
الفرع الأول: حوار مع الملك عن ظاهرة فلكية..... 112
الفرع الثاني: حوار مع الملك عن الحيّات..... 112
الفصل الثالث: التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته..... 115
المبحث الأول – تفاعل المسلمين مع ابن فضلان ورحلته: 115
المطلب الأول: التفاعل الإسلامي قبل تحقيق سامي الدهان: 115
الفرع الأول: التفاعل الإسلامي من القرن السابع إلى التاسع الهجري: 115
أولًا – فضل ياقوت الحموي في إبراز رسالة ابن فضلان..... 117
ثانيًا – استناد القزويني وابن الوردي إلى ابن فضلان..... 119
الفرع الثاني: التفاعل الإسلامي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين:..... 122
أولًا – إشارة محمّد صديق حسن خان القنوجي إلى ابن فضلان..... 122
ثانيًا – تناول محمد مراد الرمزي لشخصية ابن فضلان..... 123
ثالثًا – إشارات مُتفرّقة إلى ابن فضلان عند الكُتّاب العرب..... 124

رابعًا – إسهام التركي زكي وليد طوغان في تحقيق رسالة ابن فضلان..... 125
المطلب الثاني: التفاعل الإسلامي بعد تحقيق سامي الدهان 126
الفرع الأول: تحقيق سامي الدهان للرسالة الفضلانية 126
الفرع الثاني: مزج الحقيقة بالخيال بين غيبة والمدني والبقالي 128
الفرع الثالث: تحقيق شاكر لعيبي وردّ الاعتبار إلى النص الحقيقي..... 132
المبحث الثاني – تفاعل غير المسلمين مع ابن فضلان ورحلته: 134
المطلب الأول: التفاعل الإيجابي قبل ظهور رواية "أكلة الموتى" لكرايتون 134
المطلب الثاني: التفاعل السلبي بعد رواية "أكلة الموتى" لكرايتون..... 138
الفرع الأول: استلاب الروائي كرايتون لهوية ابن فضلان الحضارية 138
الفرع الثاني: تصحيح أنور خيري لأخطاء الروس في تحقيق مخطوطة ابن فضلان.. 140
المبحث الثالث – مجالات التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته: 142
المطلب الأوّل: المجال السياسي والثقافي: 142
الفرع الأول: تخليد اسم ابن فضلان على المستوى الرسمي 142
الفرع الثاني: ابن فضلان في لقاءات ثقافية تجمع الشرق بالغرب..... 143
الفرع الثالث: ابن فضلان يجمع الأديان في تتارستان..... 144
الفرع الرابع: تأثير ابن فضلان في الثقافة الشعبية العربية والغربية..... 145
المطلب الثاني: مجال الأدب والفنون: 147
الفرع الأول: الأعمال الأدبية المرتبطة بابن فضلان..... 147
الفرع الثاني: الأعمال الفنية المرتبطة بابن فضلان:..... 148
أولًا – فيلم المحارب الثالث عشر..... 148
ثانيًا – مسلسل سقف العالم 149
ثالثًا – لوحات فنية استلهمت من رحلة ابن فضلان 150
الفرع الثالث: ابن فضلان في جائزة ومسابقة ودار نشر أدبية 150
الخاتمة 153

أولًا – الاستنتاجات: 153
ثانيًا – التوصيات:..... 156
ثالثًا – المقترحات:..... 157
قائمة المصادر والمراجع..... 159
المراجع باللغة العربية:..... 159
المراجع باللغات الأجنبية:..... 179
الملاحق 182
الملحق (أ): خرائط الرحلة..... 182
الملحق (ب): قاعة ابن فضلان في وزارة التربية العراقية..... 183
الملحق (ج): احتفال بلغار الفولجا السنوي بذكرى وصول ابن فضلان 184
الملحق (د): افتتاح معرض رحلة ابن فضلان في قازان 185
الملحق (هـ): احتفال "لقاء بولغار المقدس" إحياءً لذكرى وصول ابن فضلان..... 186
الملحق (و): تفاعل الغربيين في مواقع التواصل الاجتماعي مع رحلة ابن فضلان 187
الملحق (ز): الأفلام الممثّلة لرحلة ابن فضلان 188
الملحق (ح): لوحات فنيّة تحاكي رحلة ابن فضلان 189
الملحق (ط): نصب تذكاري لابن فضلان في جامعة فورونيج الروسية..... 190
الملحق (ي): إطلاق رقم مخطوطة ابن فضلان "MS5229" على دار نشر 191

المقدِّمة

الحمد لله على ما أرشد وهدى، والصلاة والسلام على المصطفى خير الورى، وعلى آله مصابيح الدجى، وأصحابه أولي النهى، ونشهد أن لا إله إلا الله، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ونعوذ به من اتّباع الهوى، والانقياد لمن غوى، والوقوع في الردى، وبعد:

فإنّ الرحلة[1] تأخُذ حيّزًا واسعًا – إلى جانب الاختلاط، والمصاهرة، والترجمة – في مناطق الالتقاء بين الحضارات، وتعدّ مدخلًا مهمًّا لمعرفة الذات والآخر؛ إذ تسعى إلى استكشاف المكان وجغرافيته، وتأريخ الزمان وأحداثه، والتعرّف على الإنسان وثقافته، وقد تركت بصمات واضحة في ذاكرة الشعوب وتراثها، ودفعتها نحو التواصل، والتفاعل، والتأثير المتبادل[2]، ففيها مخالطة للناس، وإبرازٌ لطرائق معيشتهم، ورصدٌ لجوانب من حياتهم اليومية، وإثراءٌ للفكر، وتأمُّلٌ في التنوّع الذي أصبغ الله به مخلوقاته، فالإنسان ما قبل الرحلة ليس كالإنسان ما بعدها؛ لأنّها تُعيد بناء تصوّراته، وتشكيل وعيه، فتُنير عقله، وتُطوّر أفكاره، وتُعلّمه ما يجهل، وهي سلوكٌ إنسانيٌّ حضاريٌّ ضروريٌّ لا ينفكّ عنه الإنسان منذ أن وُجد على ظهر البسيطة، ولهذا سعى البشر طوال تاريخهم إلى تطوير وسائل النقل؛ لتُيسّير ترحالهم، فأُختُرعت القوافل، والسيّارات، والسفن، والطائرات، والقطارات، وشُقّت

---

[1] الرِّحلة (بكسر الراء) في اللغة اسم للارتحال، يقال: رَحَل عن مكان، وهو راحل من قوم رُحّل أي انتقل. وفي الاصطلاح: «الانتقال من مكان إلى آخر بغية تحقيق هدفٍ من الأهداف»، للمزيد، يُنظر: ابن سيده المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم** (تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ط1، 2000)، ص302. وحسن الجبراني، **الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول** (الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2016)، ص60.

[2] يُنظر: عباس عبد الحليم عباس، **خطاب المثاقفة وحوار الحضارات: قرن من الدراسات الأدبية والنقدية العربية المقارنة "النوافذ المشرعة"** (الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2017)، ص14.

الطرقات[3]، وشُيّدت الجُسُور، وفُتحت الموانئ والمطارات، وتحمّل الإنسان كلّ المشقّات من تعب، وجوع، ومرض، وقلّة مال وزاد بغية الوصول إلى وجْهته، وإتْمام رحلته، وتحقيق مراده منها، وما زال الإنسان شغوفًا باقتفاء آثار أقدام أسلافه الغابرين؛ لمعرفة مواطن هجرتهم الأُولى، ومنازل رحلاتهم القديمة، وكلّ أمّة تحتفظ برواية هجراتها، ومسار رحلاتها، وترسم خطوطًا لها على الخريطة.

إنّ الإنسان جُبل على الترحال، ويستهويه اختراق العوالم الأخرى، و«غريزة حبّ السفر والترحال، وارتياد المجهول، والمعرفة والاستطلاع، واكتشاف الغريب من أهمّ غرائز الإنسان؛ لذلك شُغف بحبّ التجوال والاطّلاع منذ أقدم العصور»[4]، ولم تترُك الأممّ المتحضّرة طورها البدائي إلّا بعد سلسلة طويلة من الرحلات المتتابعة أو المتفرّقة، فالحضارات بُنيت بعد استقرار الجماعات المترحّلة الباحثة عن بيئة مناسبة للاستيطان، وإقامة المدنية فيها، والحضارة في حدّ ذاتها رحلةٌ من البدائية إلى التمدُّن، ولا تخلو حضارةٌ عرفتْها البشرية من رحلةٍ مؤثّرةٍ فيها يتناقلها أبناؤها مع تعاقب الأجيال، وعلى طول الأزمان، فقد احتفظت حضارة بلاد الرافدين برحلة جلجامش في طلب الخلود، والحضارة المصرية القديمة برحلة الملكة حتشبسوت (ت 1458ق.م) التي سجّلت أخبارها على جدران معبدها في الأقصر[5]، وتمسّكت الصين بوصايا كونفوشيوس (551ق.م – 479ق.م) بالرحلة حتّى باتت من الأمم كثيرة الرحلة في هذا العصر، وتحتفظ الذاكرة الجمعية الهندية برحلات قدماء الآريين، ورحلة بوذا (563 ق.م – 483 ق.م) الشاقّة في سبيل الاستنارة التي خلقت تجربةً

---

[3]اشتهرت منها على المستوى الحضاري: طريق الحرير وطريق التوابل.

[4]محمد حسن علي مجيد، "أدب الرحلات العراقي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين". (**المورد**، ع4 (أكتوبر 1989): 27 – 46)، ص27.

[5]يُنظر: حسن الرزاز، "في بلاد الله: البحر الأحمر.. منجم الذهب". (**الفيصل**، ع161 (يونيو 1990): 19 – 27)، ص24.

دينيةً جديدةً في الهند كما تستذكر الذاكرة الجمعية الغربية رحلة الإسكندر المقدوني (356ق.م – 323ق.م) بحثًا عن العظمة وتوسيع رقعة المُلك، ورحلات يوليوس قيصر (100ق.م – 44ق.م)، ونيرون (37 – 68م)، وماركو بولو (1254 – 1324م)، وكولومبوس (1451 – 1506م)[6]، وأمّا التراث الإسلامي، فيزخر برحلات الأنبياء والمرسلين كرحلة النبي إبراهيم – عليه السلام – إلى مكّة المكرمة[7]، ورحلة حفيده النبي يعقوب – عليه السلام – إلى مصر[8]، ورحلة حفيده النبي محمّد – ﷺ – (53ق.هـ – 11هـ) إلى الشام قبل بعثته الشريفة[9] إضافةً إلى قائمة طويلة من رحلات الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، ومن سار على خطاهم من العلماء الربّانيين.

لقد عرفت العرب الرحلة منذ القدم، واشتهرت بها، وكانت الأغراض التجارية وراء الترحال العربي قبل الإسلام، وأشار القرآن الكريم إلى إحدى أشهر الرحلات العربية في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[10]، ثُمّ مع البعثة النبوية المباركة التي أضاءت الوجود بعد ظلمته تعدّدت أغراض الرحلة، وبرز الغرض الديني والدعوي، فرحل الصحابة – رضوان الله عنهم – إلى الحبشة فرارًا من اضطهاد مشركي قريش لهم، ونقلوا مشاهداتهم للحبشة، وأحوال

---

[6]للمزيد، يُراجع: نور الدين الصغير، "الرحلات: تاريخها ونشأتها 2". **الشارقة: المنتدى الإسلامي**، 6 أكتوبر 2011، على: https://youtu.be/ALEn7B2oDfg. (15 يناير 2020)

[7]رحل النبي إبراهيم – عليه السلام – إلى مكّة المكرمة أربع مرّات، وقد تناول الكتاب والسنة جانبًا من هذه الرحلات. للمزيد، يُنظر: محمد شاكر عبد الله الكبيسي، **سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007)، ص31 – 32.

[8]للتفاصيل، يُنظر: غطاس عبد الملك الخشبة، **رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج**. القاهرة: دار الهلال، ط2، 1999.

[9]رحل النبي – ﷺ – إلى الشام مرّتين، الأولى في صغره مع عمّه أبي طالب، وفيها لقي بحيرى الراهب، والأخرى مع ميسرة غُلام خديجة – رضي الله عنها – في تجارة لها قبل أن يتزوّجها. للمزيد، اقرأ: عز الدين بن جماعة، **المختصر الكبير في سيرة النبي محمد** – ﷺ – (دراسة وتحقيق: كرم حلمي فرحات، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط1، 2005)، ص65 – 66.

[10]قريش: 1–2.

ملكها النجاشي وديانتها النصرانية[11]، وكانت باكورة الرحلات الإسلامية الأولى إلى أن تطوّرت، وتطبّعت بأنماط كثيرة على وفق اختصاصات المُترحّلين، فيحفل التاريخ الإسلامي برحلات المحدّثين الذي شدّوا الرحال لحفظ صحيح السنّة النبوية، ورحلات الفقهاء التي أثّرت في آرائهم الفقهية كرحلة الإمام الشافعي من العراق إلى مصر، ورحلات اللغويين إلى البادية لضبط لغة القرآن والعناية بها؛ لكيلا تمتزج بالعُجمة؛ فتضيع خاصّةً مع دخول أمم كثيرة في الإسلام، ورحلات الجغرافيين الذين برعوا في تقاسيم البلدان، ومقاييس الأقاليم، ورحلات الدعاة إلى سبيل الله نشرًا لدينه، وإظهارًا للحقّ الإلهي، وإخراجًا للناس من ضلالة الشرك إلى هداية التوحيد[12].

انطلق الرحّالة المسلمون بروح إسلامية نبيلة وأخلاق إنسانية سامية عندما ودّعوا أوطانهم وأهليهم؛ ليُخلّفوا لأمّتهم تراثًا عظيمًا يُفتخر به، فهم حقًّا رسل سلام وتعايش، وهذا ما يظهر من تجوالهم في ربوع الأرض، وتركهم لآثار خالدة في الشعوب التي رحلوا إليها، والمعلوم من أسماء الرحّالة أقل بكثير من المجهول، ويكفي فقط معرفة أن أكبر عدد من المسلمين اليوم في إندونيسيا وماليزيا، ولم يصل الإسلام إلى تلك النواحي بالفتوحات العسكرية بل بفضل رحلات التجّار الدعوية، ولم يحفظ التاريخ أسماءهم كما حفظ أثرهم في تحوّل أمم كاملة إلى الإسلام لِمَا رأوه من حسن معاملة هؤلاء التجّار المترحّلين وصدقهم، ولمّا حرص الإسلام على الرحلة، حاز المسلمون قصب السبق في ميادين الرحلات والكشوف الجغرافية حتّى استفاد الآخرون منهم[13]، «والحقّ أنّ ازدهار

---

[11]للتفاصيل عن هجرة الصحابة إلى الحبشة، يُطّلع على: أروى بنت علي بن محمد اليزيدي، **الهجرة إلى الحبشة وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية**. مكة المكرمة: دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

[12]يُراجع: فاروق حمادة، "المدخل إلى أدب الرحلات". **الشارقة: المنتدى الإسلامي**، 6 أكتوبر 2011، على: https://youtu.be/mrPJiy0mQl0. (15 يناير 2020)

[13]يُراجع: سلامة محمد الهرفي البلوي، "الرحلة في الإسلام". **الشارقة: المنتدى الإسلامي**، 6 أكتوبر 2011، على: https://youtu.be/fc_thRGQuO0. (15 يناير 2020)

الحضارة الإسلامية، وسيادة المسلمين في البرّ والبحر، وطبيعة الدين الإسلامي، كلّ ذلك كان من شأنه أن يُشجّع على الأسفار والرحلات»[14].

إنّ أدب الرحلة الإسلامي مرّ بمرحلتين:

- **المرحلة الأولى:** تبدأ من القرن الثالث الهجري الذي كان معظم الرحّالة فيه من اللغويين كالأصمعي (121 – 216هـ)، والجاحظ (159 – 255هـ)، وفي القرن الرابع الهجري يبرز المسعودي (283 – 346هـ)، وابن فضلان، وفي القرن الخامس الهجري، يطلّ البيروني (362 – 440هـ) الذي أحدث نقلةً نوعيةً في أدب الرحلة[15] بمؤلّفه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، فمنه بدأ أدب الرحلة يستقلّ بنفسه عن التاريخ والجغرافيا، ويظهر طابعه الخاصّ، وهذا ما ترسّخ أكثر في القرن السادس الهجري حيث اتّجه الرحالة نحو سرد تجاربهم الشخصية الممزوجة بمشاعرهم وأفكارهم، وأبرز رحّالة هذا القرن: الشريف الإدريسي (493 – 564هـ)، وعبد الكريم السمعاني (506 – 562هـ)، وابن جبير الأندلسي (540 – 614هـ)، ثم في القرن السابع الهجري يأتي ياقوت الحموي (574 – 626هـ)، وابن سعيد الأندلسي (610 – 685هـ) في حين أنتج القرن الثامن الهجري عظماء الرحّالة كأبي الفداء الأيوبي (672 – 732هـ)، وابن بطوطة (703 –

---

[14]زكي محمد حسن، **الرحلة المسلمون في العصور الوسطى** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013)، ص9.

[15]تعدّدت التعريفات الاصطلاحية لأدب الرحلة، ومن أشهرها تعريف إنجيل بطرس الذي عرّفه بقوله: «هو الرحلة التي يقوم بها رحّالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدوّن وصفًا له، يُسجّل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقّة، والصدق، وجمال الأسلوب، والقدرة على التعبير». للمزيد، يُطّلع على: نصيرة بحري، "أدب الرحلة: إشكالية المصطلح وزئبقية المفهوم". **(حوليات التراث**، ع19 (2019): 39 – 55)، ص48.

779هـ)، وفي القرن التاسع الهجري: أحمد بن ماجد (821 – 906هـ)، وعبد الباسط الظاهري (844 – 920هـ).

- **المرحلة الثانية:** تبدأ من القرن العاشر الهجري الذي فيه ركدت الرحلات بسبب تردّي الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في العالم الإسلامي، فلم تشتهر سوى رحلة الحسن بن محمد الوزّان الشهير بليون الإفريقي (901 – 956هـ)، ولكن عادت طورًا؛ فطورًا في القرن الحادي عشر الهجري حيث سطع نجم الرحّالة أبي سالم العياشي (1037 – 1090هـ)، وفي القرن الثاني عشر الهجري برز عبد الغني النابلسي (1050 – 1143هـ)، وشهد القرن الثالث عشر الهجري رحلة محمّد بن عمر التونسي (1204 – 1274هـ)، ورفاعة الطهطاوي (1216 – 1290هـ)، وفي القرن الأخير، اشتهرت رحلات محمّد رشيد رضا (1282 – 1354هـ)، والرحالة محمد بن ناصر العبودي (و1345هـ)[16].

بهذه الرحلات، فتح الإسلام أبواب حوار الحضارات، وغدت في ظلّ الحضارة الإسلامية سمةً عامّةً وعلامةً على عِلم العالِم حتّى جرت العادة على إدراجها في تراجم الأعلام، و«دعوة الإسلام للسفر والرحلة ابتغاء الكسب أو العلم لأمر يتضمّن – ولا شكّ – تشجيعًا للاتّصال بالغير، ودعوة للانفتاح على حضارته، وذلك في حدود التعاليم الإسلامية وقيمها بطبيعة الحال. وهذا ما حدث فعلًا بعد الفتوحات الإسلامية، وهذا أيضًا ما ساعد على الانبعاث الحضاري وازدهاره في

---

[16]هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر، فالرحّالة المسلمون كثر، ويعتذر حصرهم أو ترتيبهم هنا. للمزيد، يُنظر: خضر موسى محمد حمود، **أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2011)، ص13؛ وحمدي كريمة، أدب الرحلة ودوره في التواصل بين الحضارات (**مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص الدراسات الأدبية المقارنة** (إشراف: بلقاسم إبراهيم)، جامعة عبد الحميد بن باديس – كلية الادب والفنون، 2016/2015)، ص23 – 27.

القرون التالية لعصر الفتوحات»[17]، ولمّا برع المسلمون في مجال الرحلات، لم تُنافسهم فيها أمّةٌ من الأمم في زمن صعود الحضارة الإسلامية، فأعطوا للرحلة قيمتها الثقافية الكبيرة في بيان تطوّر المجتمعات، والتواصل الإنساني، وتثبيت المعرفة، واقتناص فوائد لا تُقدّر بثمن، ولطائف ونكت لا تُوجد في غيرها، فبات لأدب الرحلة الإسلامية حضورٌ عالميٌّ مشهودٌ، وفي كلّ جانب من جوانبه إضافةٌ معرفيةٌ تستحق الدراسة، فبفضل الرحلات انتقلت الحضارة الإسلامية إلى الآخرين، وعبّرت عن تفاعلها مع غيرها من الحضارات، فكانت اللغة المعبّرة عن حوار الحضارات، وساعدت على تطوير العلاقات الحضارية وتعميقها، وعكست التفاعل بينها[18]، فكثرة الرحلات في حضارة ما مؤشّر قوي على ازدهارها، فما من حضارة إلّا تحتاج إلى اتّصال ثقافي، واحتكاك مع غيرها؛ لتُؤثّر بما لديها، وتتأثّر بما لدى الآخر، ولهذا كانت الرحلات مظهرًا مشرقًا من مظاهر الحضارة الإسلامية في أوج قوّتها، وعنصرًا فعّالًا في التواصل والتفاهم، وتبادل الخبرات والتجارب، والتلاقي بين الشعوب على اختلاف أعراقها وأديانها كما تعبّر حقيقةً عن وحدة العالم الإسلامي، فقد كان الرحّالة يتنقّل بكلّ حرّيّة في ربوع دار الإسلام من أقصى الشرق إلى الغرب دون أيّ قيود مانعة أو حواجز رادعة.

إنّ كتب أدب الرحلات من المؤلّفات الماتعة، وتحظى برواج واسع لاحتوائها على المدهش، والغريب، والفريد، وهي موسوعاتٌ علميةٌ متكاملةٌ تطُوف بالقارئ في ميادين التاريخ، والدين، والمجتمع، والجغرافيا، والآثار، واللغة، وتُقدّم إطلالةً عامّةً على موضوعات متنوّعة تخصّ الإنسان ومعيشته، وتردم الفجوة بين الثقافات المختلفة، وتغرس ثقافة الحوار، وتُزيل حواجز الخوف من

---

[17] حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات** (الكويت: عالم المعرفة، 138، يونيو 1989)، ص187.

[18] يُنظر: نوال عبد الرحمن الشوابكة، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري** (الأردن: دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، 2008)، ص216.

الآخر، وتعد مصدرًا من مصادر المعرفة، وخزينةً حضاريةً، و«مادّة خصبة للكشف عن صور البلدان والشعوب الأجنبية؛ إذ هو المعين الذي يستقي منه أهل أيّة أمّة معلوماتهم عن الأمم الأخرى»[19]، وللرحّالة أثرٌ كبيرٌ في تكوين الآراء عن الأقطار التي يزورونها، ويصوّرون مشاهداتهم لها، وإن لم تخل من ميولهم، وأهوائهم، وأحوالهم النفسية والاجتماعية.

ويتكوّن أدب الرحلة، من ثلاثة أركان: الحاكي (الرحّالة)، والحكاية، والمحكي عنه أي الرحلة، ولكلّ رحّالة طريقته الخاصّة في الصياغة، وعادةً ما يبدأ ببيان سبب رحلته ودوافعها، وزمن رحيله، ومكان انطلاقته، وكلّما نزل في مكان كتب عنه وصولًا إلى مقصده الأخير، ثمّ يعود إلى نقطة انطلاقته، وبهذا يكون الرحّالة وثّق رحلته، ودوّن تحرّكاته[20]، وهو مغامرٌ مكتشفٌ تُحرّكه دوافع عديدة وغايات كثيرة قد تكون سياسية[21]، واقتصادية[22]، وعلمية[23]، ودينية[24]، وسياحية[25]، فيكتب بعينه ما يشاهده طوال ترحاله، ويُسجّل مشاهداته بأسلوبه، وتحت تأثيرات بيئته الثقافية، ودوافع رحلته، وتعتمد الرحلة في المقام الأوّل على شخصيته ومستواه العلمي، ومن أهمّ وظائفه: رصْد المعالم الحضارية في جوانب الحياة المختلفة في البلدان التي يزورها، فينقل

---

[19]حبيبة البورقادية، "ملامح الشعوب في أدب الرحلة". (**المناهل**، ع3 (يوليو 1975): 211– 217)، ص211.

[20]عبد الحميد غانم، "أدب الرحلات محصلة الأجناس الأدبية". (**الموقف الأدبي**، ع514 (فبراير 2014): 165 – 170)، ص168.

[21]تمثّلها رحلات الحكّام والسفراء، وهدفها إبرام معاهدات الصلح، أو اتفاقية التعاون، أو التجسّس على عدو.

[22]كالرحلات التجارية البحرية، والبرية، والجويّة؛ لاستيراد السلع أو تصديرها.

[23]من أشهر الرحلات التي عرفتها البشرية وما زالت فاعلة؛ إذ تحوّلت في هذه العصور إلى بعثات علمية، ومنح جامعية دولية.

[24]مثالها: رحلات الحجّ التي تُعرَف بالرحلة الحجازية، وهي أشبه ما تكون بجامعات متحرّكة، وملتقى لمقابلة العلماء، وأخذ الإجازات منهم. للمزيد، يُنظر: حفناوي بعلي، **موسوعة الرحلات الحجازية**. الأردن: دار الأيام للنشر والتوزيع، ط1، 2019.

[25]دافعها شخصي للترفيه عن النفس، والابتعاد عن ضغوط الحياة ومشقّاتها، وتخليد الذكر، وترك الأثر.

أحوال الشعوب ومأكلها، ومشربها، وملبسها، وخصائصها النفسية والبدنية، وعاداتها وتقاليدها، وفنونها، وعلى هذا الأساس تُبرز الرحلة الانتماء إلى الذات، والسعي إلى فهم الآخر، والانفتاح عليه، وبهذا تكون ممارسة عملية لحوار الحضارات[26].

إنّ أعمال الرحّالة برهان مادّي على الاتّصال الحضاري المباشر، وهي ترسم درجة استعداد البيئة التي ينتمي إليها للتواصل مع غيرها[27]، ولهذا كان هدف الرحّالة المسلمين في رحلاتهم الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرحالة، والانطباعات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول، والناس، والأفكار، وبناءً على ذلك تمثّل الرحلات ثروةً معرفيةً كبيرةً، ومخزنًا للقصص، والظواهر، والأفكار؛ لامتلاكها مادّة سردية التقطته عيون متفاعلة مع ما تراه بوعي ملمّ بالأشياء، ومراقب للظواهر، وتنشد معرفة الآخر وعالمه، وتبحث في مكوّنات الذات الحضارية الإسلامية[28]، وقد امتاز هذا اللون من الأدب بخصائص عديدة لعلّ من أهمّها: الذاتية حيث يظهر الرحالة ذاته الثقافية وانتماءه الحضاري؛ فيحكي بضمير المتكلّم مفردًا وجمعًا، ثم الواقعية، فيكتب ما يشاهده ويعايشه في الواقع معرّفًا بالمكان، والزمان، والأشخاص، والأحداث، ويدور الخطاب الرحلي مع نقطة انطلاقة الرحّالة حتّى العودة إليها، وتتعدّد

---

[26] يُنظر: نوال عبد الرحمن الشوابكة، **مرجع سابق**، ص10.

[27] يُنظر: صطاف فاتح، أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات **(مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص حضارة عربية إسلامية** (إشراف: مكي عبد الكريم) الجزائر: جامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2013/2012)، ص أ.

[28] يُنظر: محمد أحمد السويدي في استهلال محمد علي باشا، **الرحلة الأميركية 1912** (تحرير وتقديم: علي أحمد كنعان، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2014)، ص9.

مضامينه المعرفية بين الدين، والتاريخ، والأدب، والجغرافيا كما تتداخل خطاباته، وتتوزّع على الشعر، والرسالة، والقصّة، والحكاية، والوصف، والسرد، والحوار[29].

وعلى الرغم ما تقدّم من جوانب إيجابية كثيرة تضمنتها الرحلات، فإن هناك صورة أخرى تمثّلت برؤية استشراقية تعوّق حوار الحضارات، ومنبعها جهود عشرات من الرحّالة الذين سلكوا دروب الشرق، ونقلوا إلى أقوامهم صورة الشرق المتخيّل من وجهة نظرهم، فأسهمت كتاباتهم في تراكم الصور المغلوطة عن الإسلام خاصّةً في ذهنية الإنسان الغربي كما اقترنت رحلات غربية كثيرة بأجندات استعمارية تجسّسية خفية في الذهنية العربية[30]، ولكسر هذه الصور المُنَمَّطة، والتأسيس السليم للحوار الحضاري على وفق منهج إسلامي مُنضبط ينبغي سبر أغوار الرحلات، ودراسة أبعادها وتأثيراتها في بيئتها، فهي رافد من روافد التلاقي والتشابك الحضاري، وتشبه آلة الكاميرا التي تلتقط صورة الآخر، فإمّا أن تعرض الصورة الحقيقية دون تعديل، وإمّا تقدّمها مشوّهةً، ولهذا السبب دعا أستاذ الأدب المقارن السوري عبده عبود (و1942م) إلى دراسة أدب الرحلة من منظور حوار الحضارات، والتعاطي معه بنقد مقارن؛ لأنّه يعدّ مصدرًا رئيسًا من المصادر المصوّرة للآخر، ومعلوماته نابعة من معايشة مباشرة، وتؤثّر فيها دوافع الرحّالة، وخلفياته الفكرية والاجتماعية[31]، ولو دُرست أعمال كلّ رحّالة شهير من الشرق والغرب، واُستُخرجت آثارها في

---

[29]يُنظر: روبينه ناز ومؤيد فاضل، "أدب الرحلة: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره". (**الإيضاح**، ع34 (يونيو 2017): 171 – 186)، ص178.

[30]للمزيد عن الاستشراق، يُنصح بـ: إدوارد سعيد، **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**. ترجمة: محمد عناني، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

[31]يُنظر: عبده عبود، "الأدب المقارن وحوار الحضارات". (**الفيصل**، ع349 (أغسطس 2005): 34 – 47)، ص42.

حوار الحضارات؛ لقُدّمت خدمة علمية جليلة، وستكون لها انعكاسات طيّبة على المدى البعيد، فالخطوات الحالية خجولة، وتحتاج إلى تقدّم أكبر.

ما زال تراث الرحلات الإسلامية يحمل المفاجئ والجديد، ففي مسيرة الرحلة الإسلامية رحّالةٌ لُمَّع، لهم مجهودٌ جلي خصوصًا في العصر العباسي الذي نما فيه أدب الرحلة؛ لتشجيع الطبقة الحاكمة على الانفتاح الحضاري، والتواصل مع الآخر، والاستفادة منه، فكانت أشهر مؤلّفات الرحلات من منتجات ذلك العصر، وإن لم تُعرف باسم "أدب الرحلات"[32] الذي شاع حديثًا[33]، ومن هؤلاء يسطع نجم الرحّالة أحمد بن فضلان البغدادي صاحب أهمّ رحلة إسلامية حضارية جسّدت التعارف المباشر والحوار الفعلي بين الحضارات، وكان علامةً فارقةً بين الرحّالة؛ إذ خزّن في أحد عشر شهرًا فقط كنوزًا دفينةً نُبشت بعد وفاته بقرون طويلة، ورحلته – كما وصفها خليل الشيخ – «تُبيّن قوّة الحضارة العربية الإسلامية، وقدرتها على الاستكشاف، وحرصها على الحوار مع الآخر، ولعلّ هذا هو ما يُعطي لأدب الرحلات قيمة كبرى، فمن خلال تراكم هذه الرحلات يغدو في مقدور الباحثين أن يدرسوا كيفية تشكُّل صورة أمّة في مرآة أمّة أخرى»[34]، وبهذا استطاع ابن فضلان أن يُقدّم برحلته الوجه المُضيء للأمّة الإسلاميّة وسط الأمم الأخرى التي لم ترتق في مستواها الحضاري إلى ما كان عليه المسلمون آنذاك، فرحلته «حفظت لنا صورةً مشرقةً عن

---

[32]فائدة لغوية: تُضبط الرِّحْلات بكسر الراء، وسكون الحاء، ويجوز كسر الراء، وفتح الحاء: رِحَلات، أو كسر الراء والحاء: رِحِلات على الإتباع، فالحاء مثلثة الحركة عند الجمع، ومن الخطأ فتح الراء والحاء كقولهم الشائع: رَحَلات، يُنظر: عبد الله الدايل، "رِحْلات – بكسر الراء لا رَحَلات – بالفتح". **الاقتصادية**، 14 يونيو 2017، على: http://www.aleqt.com/2017/06/14/article_1203351.html. (17 يناير 2020)

[33]عبد الحميد غانم، **مرجع سابق**، ص166.

[34]خليل الشيخ (محقّق)، **رحلة ابن فضلان** (سلسلة عيون النثر العربي القديم، أبو ظبي: دار الكتب الوطنية، ط1، 2014)، ص8.

مميّزات الحضارة العربية الإسلامية في كيفيّة الحوار الحضاري مع الشعوب والأقوام المختلفة ... [كما قدّم ابن فضلان البغدادي] مادّةً غنيةً تاريخيةً وجغرافيةً واجتماعيةً عن تلك الأقاليم وشعوبها، فهو بحقّ كمدينته رجل الحوار الحضاري»[35].

واستنادًا إلى هذه الصورة الجميلة عن ابن فضلان وشهرة رحلته، أُختير موضوع دراستنا؛ لجني ثمار هذه الرحلة الرائعة، وكشف الغطاء عن الجوانب الحضارية فيها، والاطّلاع على تعبير رحّالة مسلم عن ذاته الحضارية مقابل الآخر، وبهذا نضع حجرًا أساسًا لبناء يراد منه الارتقاء من قيمة حوار الحضارات، وإغناؤه بموضوعات من شأنها أن تعزّز لهذه القيمة النبيلة التي يحتاجها العالم اليوم ضرورةً لا مفرّ منها في ظلّ اضطراب الأحوال، وانتشار خطابات الكراهية والتصادُم بدلًا من خطاب الشرع والعقل الذي يدعو إلى الحوار الحضاري لضمان العيش المشترك، وتبادل المنافع جلبًا للمصالح، ودرءًا للمفاسد.

مشكلة البحث وأسئلته:

تكمُن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما أثر الرحّالة ابن فضلان في حوار الحضارات؟ وعن المشكلة البحثية تتفرّع هذه الأسئلة: ما المنهج الذي اتّبعه ابن فضلان في دراسته للآخر الحضاري؟ وما أنواع الحوار الحضاري التي تمثّلت في رحلته؟ وكيف تفاعل حضاريًّا المسلمون وغيرهم مع الرحلة الفضلانية؟

---

[35] يُنظر: وجدان فريق عناد، "بغداد مدينة الحوار الحضاري: رحلة ابن فضلان أنموذجًا: الدوافع والنتائج". **(مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع9 (يوليو 2015): 199 – 213)، ص199 – 200.

أهمية البحث:

تتبيّن أهمّية البحث النظرية من خلال ما يأتي:

- تطوير المنهج الإسلامي في مجال حوار الحضارات بالاطّلاع على مناهج الرحالة المسلمين الذين دخلوا في الحوار الحضاري فعلًا ضمن رحلاتهم، وتعرّفهم على الحضارات المختلفة.
- المساهمة في حفظ جهود الرحّالة المسلمين، وما نقلوه من مشاهداتهم المجسّدة واقعًا للحوار بين الحضارات، ويعدّ ابن فضلان أنموذجًا بارزًا لهذه الجهود الإسلامية.
- المشاركة في التأصيل المنهجي الإسلاميّ لحوار الحضارات اعتمادًا على جهود الرحالة ابن فضلان الذي تعدّ رحلته ذات أبعاد حضارية بالغة التأثير وعظيمة الفائدة.

وفي الجانب التطبيقي، يستمدّ البحث أهميته من خلال:

- تعزيز رؤية قطر 2030 الوطنية، وخطّة وزارة الخارجية القطرية الخمسية (2018 – 2022) الرامية إلى رعاية حوار الحضارات ودعمه.
- إثراء مجال العقيدة والدعوة الإسلامية وربطه بحوار الحضارات، فالدافع الدعوي كان من أسباب رحلة ابن فضلان، ولم تغب المسائل العقدية في مسارات رحلته.
- تحقيق أهداف برنامج ماجستير الأديان وحوار الحضارات في إبراز النماذج والإسهامات الإسلامية في ميدان حوار الحضارات.

أهداف البحث:

يرمي البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف على وفق ما يلي:

- التعريف بسيرة الرحّالة المسلم ابن فضلان بصفته أحد روّاد الحوار الحضاري في التاريخ الإسلامي.
- استكشاف المنهج الذي اعتمده الرحّالة ابن فضلان في حوار الحضارات، وطبّقه في رحلته.
- تصنيف أنواع الحوار الحضاري التي تمثّلت في رحلة ابن فضلان.
- مقارنة التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته بين المسلمين وغيرهم.

فرضيات البحث:

يفترض البحث أن الرحّالة أحمد بن فضلان ترك آثارًا عظيمةً في مجال حوار الحضارات بفضل رحلته الشهيرة التي حظيت بتفاعل حضاري عالميّ واسع النطاق، فكانت تطبيقًا عمليًّا لحوار الحضارات في زمن الخلافة العبّاسية، وما زالت مؤثّرةً إلى يومنا هذا.

حدود البحث:

يتقيّد البحث بثلاثة حدود يدور فيها، ولا يخرج عنها، وهي:

- الحدود المكانية: تقتصر على الدول التي مرّ بها الرحالة ابن فضلان في أثناء رحلته، وغيرها من الدول التي اهتمّت بهذه الرحلة احتفاءً وتفاعلًا.
- الحدود الزمانية: تمتدّ منذ بداية رحلة ابن فضلان في يوم الخميس 11 صفر 309هـ الموافق 21 يونيو 921م حتّى بداية كتابة هذه الرسالة في يوم الأربعاء 28 ربيع الآخر 1441هـ الموافق 25 ديسمبر 2019م.

- الحدود الموضوعية: تقف عند كلّ ما يخصّ حوار الحضارات في رسالة ابن فضلان.

مصطلحات البحث:

إنّ تحديد المصطلحات وتأطيرها مهمٌّ جدًّا؛ لكيلا تُشوّش الأفهام، وتشتبه المعاني، وفي هذا البحث يُعدّ "حوار الحضارات"[36] المصطلح الرئيس والمركزي، وسيكثُر إيراده ممّا يستدعي تحريره وبيانه؛ فهو مُلتبسٌ لحداثته، وتعدّد تعريفاته، وتشابكه مع غيره من المصطلحات التي قد تكون مُتفرّعةً منه أو مرادفةً له في جانب من الجوانب، مثل: حوار الثقافات، وحوار الأديان، وتحالف الحضارات، وتفاعل الحضارات، وتواصل الحضارات، وتعارف الحضارات، وتلاقي الحضارات، وتلاقح الحضارات، وتثاقف الحضارات، وتجانس الحضارات، وتكامل الحضارات، ولمّا كان "حوار الحضارات" اللفظ الأكثر استخدامًا وتداولًا رسميًّا في إطار الدول والمؤسّسات والهيئات الدولية خصوصًا تلك التابعة للأمم المتّحدة[37] أُعتُمد عليه في هذا البحث.

لقد ظهر مصطلح حوار الحضارات أوّل مرّة عندما صكّه الكاتب السويسري دينيس دي روجمون (1906 – 1985م) في 1961م ردًّا على موجات العولمة الأولى، ثم أبرزه الفيلسوف

---

[36]يتكوّن المصطلح من لفظين: "حِوار"، ويأتي لغةً من "حَوَرَ" بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، واصطلاحًا يعرّف بتعريفات شتى اخترنا منها: «حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات»، ولفظ "الحضارات" لغةً جمع حضارة، وجذرها "حضر" خلاف البداوة، وفي المشهور من الاصطلاح تعريف مالك بن نبي: «جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفّر لكلّ عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوّره»، للمزيد: يُنظر: مرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس** (تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود، ج11، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2012)، ص22، 52. ومصطفى عطية جمعة، **الحوار في السيرة النبوية** (القاهرة: شمس للنشر والإعلام، ط1، 2015)، ص15، ومالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** (ترجمة: بسام بركة، وأحمد شعبو، دمشق: دار الفكر العربي، ط6، 2005)، ص42.

[37]يُنظر: محمد سعدي، **دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم** (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، سلسلة محاضرات الإمارات (154)، ط1، 2012)، ص11.

الفرنسي روجيه جارودي (1913 – 2012م) في عنوان كتابه الشهير "من أجل حوار بين الحضارات" الذي نُشر في 1977م[38]، فاقترن المصطلح به؛ لدعوته في كتابه المذكور إلى تجاوز هيمنة الغرب الحضارية، وتفوّقه على الآخر، والبناء لمستقبل يسُوده الحوار بين الحضارات[39]، وعلى الضفّة العربية، أُستُخدم المصطلح أوّل مرّة في مقالةٍ للوزير التونسي الأوّل محمّد مزالي (1925 – 2010م) الذي عنونها بـ"نحو مستقبل أفضل أساسه حوار الحضارات"، وقد نُشرت في مجلة الفكر التونسية أغسطس 1977م[40]، وكانت شرحًا لدعوة جارودي، واستجابةً لها، ثمّ تلتها مقالة أخرى للأديبة السورية رجاء طايع عنوانها "الوهمي والحقيقي في حوار الحضارات"، ونشرتها مجلة المعرفة السورية في سبتمبر 1978م[41].

ولمّا راجت التنظيرات الصراعية كنهاية التاريخ للمفكّر الأمريكي من أصل ياباني فرانسيس فوكوياما (و1952م)[42]، وصدام الحضارات لعالم السياسة الأمريكي صامويل هنتنجتون (1927

---

[38]للمزيد، يُنظر: روجيه غارودي، **من أجل حوار بين الحضارات**. ترجمة: ذوقان قرقوط، الأردن: دار النفائس، ط2، 2007.

[39]يُنظر: زهير سوكاح، **من حوار الحضارات إلى حضارات الحوار: رؤية تقويمية** (الدوحة: جامعة قطر واللجنة القطرية لتحالف الحضارات، البحث الفائز بجائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، 2018)، ص21.

[40]للمزيد، يُنظر: محمد مزالي، "نحو مستقبل أفضل أساسه حوار الحضارات". **الفكر**، ع8 (1 أغسطس 1977): 869 – 877.

[41]للمزيد، يُنظر: رجاء طايع، "الوهمي والحقيقي في حوار الحضارات". **المعرفة**، ع199 (1 سبتمبر 1978): 169 – 176.

[42]تخلص هذه النظرية إلى أنّ الليبرالية الغربية النموذج الختامي الذي يجب أن يُمتثل إليها، فهي أنهت الصراع الجدلي بين التنظيرات الأيديولوجية المتناقضة في الحرب الباردة، فقد انتصر المعسكر الليبرالي على الاشتراكي. للمزيد، يُنظر: فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ**. ترجمة وتعليق: حسين الشيخ، بيروت: دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ط1، 1993.

– 2008م)[43]، دخل المصطلح في حيّز التداول الدولي الرسمي مع الاقتراح الذي قدّمه الرئيس الإيراني محمّد خاتمي (و1943م) على منبر الجمعية العامّة للأمم المتّحدة في 21 سبتمبر 1998م بتخصيص عام 2001م عام الأمم المتّحدة للحوار بين الحضارات، ولقي الاقتراح بالقبول، وتحوّل إلى برنامج عالمي تُشرف عليه اليونسكو[44]، وكثُر استعمال المصطلح خاصةً في أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001م تزامنًا مع انتشار مفهوم "صدام الحضارات"، وردًّا عليه[45]، وقد وضعت الأمم المتّحدة تعريفًا له في برنامجها العالمي للحوار بين الحضارات كما جاء في المادّة الأولى من وثيقة البرنامج الصادرة في نوفمبر 2001م بعد أحداث 11 سبتمبر بشهرين تقريبًا، فحوار الحضارات في التعريف الأممي: «عملية تجري بين الحضارات، وداخل الحضارة الواحدة، وتقوم على الإدماج، وعلى الرغبة الجماعية في التعلّم، وكشف المسلّمات، ودراستها، وتوضيح المعاني المشتركة، والقيم الأساسية، وتكامل وجهات النظر المتعدّدة من خلال الحوار»[46]. هذا التعريف تشوبه الشوائب؛ فقد جمع بين الحوار بين الحضارات، والحوار في داخل الحضارة الواحدة مع الفارق الواضح بين النوعين؛ فحوار الحضارات تحديدٌ لطبيعة العلاقة الخارجية بين حضارات مختلفة لا حضارة واحدة تحكمها علاقات داخلية خاصّة بها، ثُمّ ذكر مصطلحات مثيرة ومريبة في

---

[43]جاءت ردًّا على نظرية نهاية التاريخ، ورأت أنّ الصراع المستقبلي بين البشر لن ينتهي، وسيحرّكه العامل الحضاري المتباين في القيم والمبادئ، وقسّم هنتنجتون العالم إلى ثماني حضارات، وهي: الحضارة الغربية، والحضارة الأمريكية اللاتينية، والحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية الكونفوشيوسية، والحضارة اليابانية، والحضارة الهندية، والحضارة السلافية الأرثوذكسية، والحضارة الأفريقية، وستكون علاقة الحضارة الغربية والحضارات الأخرى خاصةً الإسلامية صدامية. للمزيد، يُنظر: صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي**. ترجمة طلعت الشايب، بيروت: سطور، ط2، 1999.

[44]يُنظر: زهير سوكاح، **مرجع سابق**، ص23.

[45]يُنظر: جميل مصعب محمود، **الحوار العربي الأمريكي** (الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2012)، ص33.

[46]يُنظر: زهير سوكاح، **مرجع سابق**، ص41 – 42.

دلالتها كالإدماج، ولم يُوضّح المقصود به! أتدمج الحضارات في حضارة واحدة؟ وما هذه الحضارة التي يُراد إدماجها مع غيرها؟ أهي الحضارة الغربية أم غيرها؟ ولذلك هذا التعريف أقرب ما يكون إلى مفهوم العولمة، وإعادة تدوير لنظرية نهاية التاريخ عند فوكوياما، ولكن بصياغة ملطّفة ترتدي لباس حوار الحضارات.

وممّا يُؤكّد أزمة الدلالة الاصطلاحية لحوار الحضارات، نُوقشت أبعاد هذا المصطلح الفضفاض في مؤتمر دولي نظّمته جامعة الإسراء الخاصّة في الأردن تحت عنوان "أبعاد غائبة في حوار الحضارات"، وأُكّد فيه بأنّ تعدّد تعريفات حوار الحضارات يعود إلى تباين المنطلقات والمقاربات الفكرية الناظرة إليه من زوايا مختلفة[47]، وعند الرجوع إلى تعريفات المصطلح في الأدبيات العربية يبرز عددٌ كبيرٌ منها، وسنقتصر على بعضها خشية الإطالة، ودفعًا لزيادة الغموض، فمن هذه التعريفات تعريف طاهر الريامي لحوار الحضارات بأنّه: «عبارة عن تزاوج وتبادل الثقافات الإنسانية بين مختلف الحضارات؛ ليشمل التزاوج مختلف الجوانب (السياسية، والاجتماعية، والتكنولوجية) مع احتفاظ كلّ حضارة بما لها من قيّم خاصّة»[48]، وهذا التعريف ينطبق على تلاقح الحضارات، والتفاعل فيما بينها، وهي مرحلة متقدّمة قد تنتج لاحقًا عن حوار الحضارات، ولكن لا تعرّفه، وفي السياق نفسه يرى علي بن إبراهيم النملة أنّ حوار الحضارات «فيه نوع من اللقاء القائم على قبول بعض مقوّمات حضارة لحضارة أخرى في الوقت الذي يكون

---

[47] يُنظر: عبد السلام أحمد أبو سمحة، "أبعاد غائبة في حوار الحضارات: مؤتمر دولي نظمته كلية الآداب بجامعة الإسراء الخاصة / عمان – الأردن في الفترة 15 – 16 رجب 1430هـ الموافق 8 – 9 تموز 2009م". **إسلامية المعرفة**، س15، ع59 (شتاء 1431هـ/2010م): 172 – 180.

[48] طاهر أحمد محمد الريامي، "حوار الحضارات". **(مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج15، ع12 (أكتوبر 2016): 305 – 323)، ص310.

فيه العكس صحيحًا، فلا يقتصر الأمر على التلقّي من جانب واحد»[49]. وبذلك يبدو أنّه وقف عند زاوية القبول والتلقّي بين الحضارات، وهذا ما يُضعف دقّته بإدخاله لمخرجات الحوار في التعريف، وابتعاده عن تحديد الماهية أوّلًا.

وقد ذهب آخرون إلى أنّ المقصود بحوار الحضارات هو «الاتّصال المبني على رؤى مسبقة بين أمّتين أو شعبين من خلال من يمثّلهما من رجال الفكر والقيادة سعيًا للوصول إلى نقاط التقاء مشتركة تُبنى عليها علاقتهما ببعضهما البعض، أو بمعنى آخر تتشكّل بناءً عليها صيغة العلاقة بينهما على أسس من التفاهم والتعايش السلمي، وقد تشمل هذه النقاط ما يمثّل إصلاح بعض الأفكار والرؤى والبرامج والسياسات تجاه بعضهما البعض»[50]، ويُسجّل على هذا التعريف الاستطراد والإكثار من المرادفات اللفظية، والحشو غير الضروري، ويشابهه أيضًا تعريف بسمة بنت أحمد جستنية التي ذكرت أن: «مفهوم حوار الحضارات يعني إزالة سوء الفهم المتبادل من خلال معرفة أفضل، وأكثر عمقًا، واتّساعًا، وشمولًا للآخر، والتخلّص من الصور السلبية التي تروّج لها أحيانًا بعض وسائل الإعلام عن الآخر، وتوظيف وسائل الإعلام، ومناهج التعليم، وتكنولوجيا المعلومات، والاتّصالات الحديثة؛ لتحقيق رؤية واقعية لفكر الآخر، وعاداته، وتقاليده، وسلوكه»[51]، ويُلحظ فيه رؤيةٌ قافزةٌ إلى شروط حوار الحضارات، ووسائله، وغاياته دون ملامسة جوهر المصطلح ومغزاه.

---

[49] علي بن إبراهيم النملة، **تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحديات** (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1995)، ص42.

[50] أشرف محمد زيدان وآخرون، "إضاءات قرآنية حول مفهوم حوار الحضارات". **(مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، مج3، ع2 (كانون الأول 2011): 54 – 82)، ص60.

[51] بسمة بنت أحمد جستنية، "حوار الحضارات في مقابلة صدام الحضارات رؤية في ضوء الإسلام". **(مجلة الدراسات الاجتماعية**، ع25 (يوليو – ديسمبر 2007): 53 – 90)، ص64.

أمّا محمّد سعدي، فيُفضّل استخدام حوار الثقافات بدلًا من حوار الحضارات؛ لأنّ مذهبه أنّ لا حضارات في الواقع بل حضارة إنسانية واحدة بثقافات متعدّدة[52]، ولكن لا يُسلّم له بذلك، فالثقافات تمنح الهُوية للحضارات، وتميّزها عمّا عداها، وكلّ حضارة تتكيّف مع ثقافاتها، ولا تتجاوزها، والدعوة إلى الحضارة الواحدة من نتاج الخطاب العولمي، وفي الواقع حضاراتٌ متعدّدةٌ لا حضارة واحدة، ولكلّ حضارة ثقافةٌ، ولكنّ ليست لكلّ ثقافة حضارةٌ، فالإسلام حضارةٌ وثقافةٌ، وفي اليهودية ثقافةٌ دون حضارة، وعلى هذا رتّبت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) الحوار في ثلاثة مستويات: حوار الحضارات، ثم حوار الثقافات، ثم حوار الأديان[53]، ويُلحظ أنّ حوار الحضارات أوسع نطاقًا من حوار الثقافات، وحوار الأديان؛ لأنّ ليست كلّ الثقافات والأديان لديها أبعاد حضارية، ففي العالم أديان وثقافات محلّية لم تصل إلى مرحلة تكوين حضارة شاملة تضمّ ثقافات مختلفة، ومن الناحية العملية قد يختلط هذا الترتيب، ولا يظهر الفارق جليًا، فيكون أحيانًا المشاركون في حوار الحضارات أنفسهم يشاركون في حوار الثقافات أو حوار الأديان.

في المحصّلة، يُؤخذ على التعريفات السابقة الإطالة دون مُسوّغ، والخلط بين أنواع الحوار، وغاياته، ووسائله، ومخرجاته، واستعمال ألفاظ مرادفة أو لها أكثر من دلالة، والوقوع في حفر التكرار، وغالبًا ما تحتاج إلى توضيح أكثر، وتعديل آخر، فلا تُؤدّي الغرض البحثي، ولهذا فإنّ التعريف الإجرائيّ المُعتمد في هذا البحث يرى في حوار الحضارات: كلّ تواصل يجري بين طرفين مختلفين حضاريًّا؛ لفهم الآخر والتفاهم معه بأيّ صورة من الصور، ويصدق ذلك على الرحلات التي يقوم بها رحّالة من حضارة ما إلى حضارة أخرى مختلفة عنها، فينقل فهمه عنها ومنها، ويروي

---

[52] يُنظر: محمد سعدي، **مرجع سابق**، ص11.

[53] يُنظر: عبد العزيز بن عثمان التويجري، **العالم الإسلامي في عصر العولمة** (القاهرة: دار الشروق، ط1، 2004)، ص150.

تجربته في التفاهم مع أهلها، وبهذا يكون التعريف أكثر تجريدًا وتمييزًا، وأصدق تمثيلًا لموضوع هذا البحث.

الدراسات السابقة:

بعد فحص الأدبيّات السابقة التي درست ابن فضلان ورحلته أو ذكرت جانبًا منها، ركّزت هذه الدراسة أكثر على الدراسات العربية ذات الصلة بمتغيّرات البحث فقط، وطبقًا لذلك قسّمتها إلى نوعين:

- دراسات لها علاقة مباشرة بمتغيّر حوار الحضارات في رحلة ابن فضلان.
- دراسات ليست لها علاقة مباشرة بالمتغيّر المذكور، ولا يعني هذا عدم فائدتها بل قد يُستفاد من معلوماتها على وفق الحاجة البحثية.

وعند استعراض القسم الأوّل[54]، فإنّ أولى الدراسات التي نوّهت إلى قيمة رحلة ابن فضلان الحضارية، هي:

1. دراسة رشدي فكّار المُوسومة بـ"عن الحوار الحضاري في بعد واحد: الإثنوغرافيا والسوسيوغرافيا" (1988م): عيّن فيها الباحث مبحثًا عنوانه "ابن فضلان كأنموذج رائد بين جيل الطلائع"، وفيه أكّد فاعلية الرحّالة ابن فضلان ودوره الأساسي في الحوار الحضاري إلّا أنّه لم يُطنب في المسألة، فلم يبحث مثلًا في القيمة التي أضافها ابن فضلان في حوار الحضارات، وأنواع الحوار الحضاري في رحلته، وهذا فراغ تملأه دراستنا.

---

[54]تُوجد دراسة تتّصل مباشرةً بموضوع دراستنا، ولكن ممّا يُؤسف عليه بأنّنا لم نتمكّن من الوصول إليها، وهي دراسة أحمد خالد المعنونة بـ"في حوار الحضارات والأديان: الفقيه ابن فضلان ورحلته إلى حوض الفولقا"، وقد نشرتها منشورات زخارف بتونس في 2009م.

2. دراسة أحمد توني عبد اللطيف المُعنونة بـ"الملامح الحضارية للصقالبة من خلال رسالة ابن فضلان" (2000م): تضمنت على تمهيد وفصلين، وعرضت رسالة ابن فضلان ومضامين رحلته، ثم عالجت مشكلتها البحثية بدراسة الملامح الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية التي سجّلها ابن فضلان عند التقائه بالصقالبة، وأوضحت أنّ الملامح الحضارية التي لدى الصقالبة – كما أوردها ابن فضلان – تمثّلت في رسوم الصقالبة كاستقبال الملك، ومدّ المائدة ...وغير ذلك، ويُلحظ أنّ الدراسة اقتصرت على الملامح الحضارية عند الصقالبة فقط، وفي هذه النقطة تختلف دراستنا عنها؛ إذ هي أعمّ منها، وتعتني بكلّ الملامح الحضارية الواردة في رسالة ابن فضلان عند الصقالبة وغيرهم.
3. دراسة شمس الدين الكيلاني بعنوان "شغف الرحالة العرب بالتعرّف على أوروبا: التعارف سبيلًا لحوار الحضارات" (2002م): ذكرت ابن فضلان في عبارة عابرة ضمن الرحّالة العرب الذين جعلوا من التعارف سبيلًا لحوار الحضارات دون تفصيل في دور ابن فضلان نفسه، وهذا ما تقوم به دراستنا تفصيلًا.
4. دراسة عاطف معتمد عبد الحميد، وعنوانها "رحلة ابن فضلان: بين الرسالة والذوبان" (2004م): لقد افتتحها الباحث بوصفه لرحلة ابن فضلان بأنّها "من أهمّ رحلات الحوار الحضاري في العصور الوسطى"، ثم استعرض فيها شيئًا من سيرة الرحّالة ابن فضلان، وخلفية رحلته ومحطّاتها من بغداد إلى روسيا، ثم لمّح أنّ الرحلة حصلت على اهتمام غربي يدفع نحو إعادة قراءتها برؤية مغايرة دون أن يُفصّل في هذا الاهتمام الغربي بالرحلة؛ لتحمل دراستنا على عاتقها مهمّة البحث عن أبرز معالم تفاعل غير المسلمين مع الرحلة عمومًا.

5. دراسة رؤى حسين قداح ذات العنوان "مسار الشمال: الآخرية الفاعلة والذات المستلبة في رحلة ابن فضلان: قراءة في الأطروحة المغيّبة في رسالة ابن فضلان" (2014م): قدّمت قراءةً جديدةً لنصّ أضافه الروائي الأمريكي مايكل كرايتون صاحب رواية أكلة الموتى إلى رحلة ابن فضلان، وأثار جدلًا بين النقّاد بين مثبت ونافٍ له، وذهبت إلى بطلان نسبته إلى الرحّالة ابن فضلان، وذلك بإرجاع نصّ ابن فضلان إلى سياقه التاريخي، وتتبّع تحقيقات رسالة ابن فضلان من لدن سامي الدهان محقّق الرسالة الأصلية إلى مايكل كرايتون، وتوصّلت إلى عدّة نتائج مهمّة، منها: تنميط أوروبا القروسطية لصورة الإسلام في حين أظهرت المدوّنات العربية الأدبية صورة متنوّعة للآخر الغربي، وتلاعب كرايتون بنصّ ابن فضلان، وقد حاول في روايته أن يُجرّد ابن فضلان من هُويّته الدينية والثقافية على الرغم أن النصّ العربي يُبيّن قوّة الرحّالة، وتمسّكه بثقافته، ويستفاد من هذه الدراسة في التعرّف على نمط التعامل الغربي مع رحلة ابن فضلان، وتختلف دراستنا عنها في معالجة مسائل عديدة ترتبط بالرحّالة ابن فضلان نفسه وآثاره في الحوار الحضاري فضلًا عن بيان التفاعل الحضاري الذي حظي به ابن فضلان في فصل مستقلّ.

6. دراسة وجدان فريق عناد التي عنونتها بـ"بغداد مدينة الحوار الحضاري: رحلة ابن فضلان أنموذجًا: الدوافع والنتائج" (2015م): عرضت لمحةً إلى الرحلة، ومراحلها، وأهميتها، وصوّرت الواقع السياسي للخلافة العباسية في عصر الخليفة المقتدر بالله، ثُمّ درست دوافع سفارة ملك الصقالبة، وبعثة الخلافة العباسية، وعرضت نتائج الرحلة على المستوى الديني، والسياسي، والاقتصادي، وختمت بإظهار مكانة بغداد عاصمة الخلافة العباسية في حوار الحضارات الذي تجسّد واقعًا في الحضارة العربية الإسلامية، وعلى الرغم من التداخل بين موضوع دراستها وهذه الدراسة إلّا أنّها أوجزت كثيرًا في مقابل توسُّع دراستنا وشمولها لمنهج

ابن فضلان في حوار الحضارات، وأنواع الحوار الحضاري التي عرفتها الرحلة، والتفاعل الحضاري مع الرحلة، وغيرها من الجوانب التي أهملتها، ولم تتطرّق إليها.

أمّا القسم الآخر من الدراسات التي ليست لها علاقة مباشرة بجهود ابن فضلان في حوار الحضارات، فإنّها الأغلب، وهي تتطبّع بطابع أدبي صرف، وتتبَع مجالات اللغة، ولهذا يُكتفى بالأهمّ منها:

1. دراسة الخامسة علاوي "العجائبية في أدب الرحلة: رحلة ابن فضلان نموذجًا" (2005)م[55]: تتألّف من مقدّمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وبدأت الباحثة فيها بتعريف أدب الرحلات، والأدب العجائبي، ثُمّ وقفت على بعض الحكايات العجائبية في الأدب العربي، ثُمّ أطّرت بحثها في السرد العجائبي حول رحلة ابن فضلان دراسةً وتحليلًا، وبيّنت مزج الرحّالة ابن فضلان بين السرد والوصف للعجائب التي دوّنها في رحلته، وتوصّلت إلى نتائج عديدة، من أهمها: جعل ابن فضلان من الآخر موضع التعجُّب، وكانت رحلته من أوائل الرحلات الباحثة عن الآخر. وفي المجمل هذه الدراسة أدبية صرفة، وقد ركّزت على موضوع سرد العجائب في رحلة ابن فضلان وتصويره للآخر، وتُفيد في تتبُّع منهج ابن فضلان ونقله لصورة الآخر في أثناء رحلته، وتتشابه مع هذه الدراسة في التعريف بابن فضلان، ومضمون رحلته، ومسارها، وخصائص العصر الذي عاش فيه الرحالة،

---

[55]تبرز رسالة أخرى متطابقة معها في العنوان، ومتقاربة في المضمون، وهي رسالة قدّمتها الطالبتان سميرة بدحوش ودليلة بلعارف لاستكمال متطلّبات الماجستير في اللغة والأدب العربي لدى جامعة عبد الرحمن ميرة (بجاية) الجزائرية، وذلك في 2018 – 2019م، وعند النظر في الرسالتين نرى أنّ رسالة الخامسة علاوي أسبق وأوسع؛ إذ تُقدّر صفحاتها بمئتين صفحة، والأخرى أقصر وصفحاتها أقل من المئة، وفي المحتوى الداخلي تشابهٌ مع بعض التعديلات الطفيفة، فمثلًا خصّصت الخامسة علاوي مطلبًا عنونته بـ"شخصيات عجيبة لها أثرها في تغذية العجائبية"، وفي الرسالة الأخيرة تحوّل المطلب نفسه إلى "الشخصيات الخيالية في رحلة ابن فضلان"، ويُلحظ فيه تحوير المحتوى والاستفادة من الخامسة علاوي دون الإشارة إليها مطلقًا بل قائمة المصادر والمراجع في رسالة الطالبتين تخلو تمامًا من أيّ ذكر لرسالة الخامسة علاوي السابقة لها، وهذا لا شكّ أنّه يخلّ بالأمانة العلمية.

ومنهجه، ويظلّ الاختلاف بين الدراستين في تباين زوايا النظر، فدراستها نظرت إلى رحلة ابن فضلان من زاوية الأدب العجائبي، وهذه الدراسة تنظر إليها من زاوية الأثر الحضاري.

2. دراسة سرير خديجة المعنونة بـ"مستويات اللغة في رحلة ابن فضلان" (2012/2011م): تضمّنت موضوعًا أدبيًّا يتعلّق بأدب الرحلة، وانقسمت خطّتها إلى مدخل، وفصلين، وخاتمة، وفي المدخل تطرّقت إلى تعريفات أدب الرحلة، وفي الفصلين درست معالم رحلة ابن فضلان، فتناول الفصل الأول التعريف بشخصية ابن فضلان، وأهمية رحلته على المستوى الثقافي والاجتماعي والتاريخي، والخصائص التي تميّزت بها، وخُصّص الفصل الثاني لدراسة لغة الرحلة انطلاقًا من مسارات السرد، ثم ممرات الوصف، ومن ثم تطرّقت إلى قيمة الحوار عند ابن فضلان بوصفه فنًّا إبداعيًّا وجزءًا لا يتجزّأ من الخطاب السردي في رحلته، واختتمت ببعض النتائج، من أهمها: عرضت رحلة ابن فضلان موضوعات اجتماعية وثقافية ترتبط بالناس وأخلاقهم وعقائدهم، وحملت رسالته مادّة تاريخية وجغرافية عرّفتنا بالأقاليم وتاريخ شعوب لم يُسجّل عنها من قبل، ونقلت لنا صورة مباشرة للوضع السياسي في العالم الإسلامي آنذاك، ومزج ابن فضلان بين الأسلوب القصصي والوصف والحوار في خطابه السردي. وتلتقي دراساتنا مع دراسة خديجة في دراسة مضمون الرحلة، وأهميتها، ومنهج ابن فضلان في الوصف، وأسلوبه في الحوار، ولكن تختلف عنها في التوسّع والبحث عن البُعد الحضاري للرحلة، ودراسة التفاعل معها.

3. دراسة بوشعيب الساوري "الرحلة والنسق: دراسة في إنتاج النص الرحلي: رحلة ابن فضلان نموذجًا" (2017م): درست إنتاج النصّ الرحلي، ووسائل اشتغاله ومادّته في رحلة أحمد بن فضلان، وأشارت إلى أنّ هذه الرحلة وما كُتب عنها لم تُستوفِ حقّها من البحث، فما زالت مسائلُ كثيرةٌ فيها مستحقةً للمناقشة والاستدراك، ومنها إنتاج النصّ الرحلي، وتكوينه،

وملابساته، وإن صعُب ذلك؛ لغياب المعلومات الكافية عن شخصية ابن فضلان، وقد حاولت التغلّب على ذلك بالبحث في الرحلة، وربطها بالسياق العامّ، ومن ثَمَّ حدّدت شخصية ابن فضلان اعتمادًا على المستوى المنهجي النقدي المعاصر، وجاءت الدراسة غير وافية في الإفادة بعطاء ابن فضلان الحضاري الذي تبحث عنه دراستنا.

في ضوء الاطّلاع على الدراسات السابقة ومراجعتها، فإنّ الفجوة البحثية تظهر واضحةً في قصور الدراسات عن آثار ابن فضلان في حوار الحضارات، ومن هذا المُنطلق تُقدّم هذه الدراسة معالجتها لرحلة ابن فضلان من منظور حوار الحضارات؛ لتكون إضافةً علميةً جديدةً خصوصًا أنّ رحلة ابن فضلان الحضارية – كما تبيّن سلفًا – لم تأخذ حقّها الكامل في دائرة الدراسات الأكاديمية لدى المسلمين؛ ففي حدود استقراء الباحث في المكتبات العربية وقواعد البيانات على الشبكة العنكبوتية لا تُوجد رسالة أكاديمية خُصّصت لدراسة جانب الحوار بين الحضارات عند ابن فضلان سوى تلك المقالات المنشورة في بعض المجلّات العلمية المحكّمة، وقد سبق ذكرها، ولذا تعدّ هذه الرسالة الأكاديمية الأولى التي تُوظّف مادّة الرحلة الفضلانية في ميدان حوار الحضارات مستكشفةً أبعادها الحضارية، وهذه قيمةٌ علميةٌ مميّزةٌ تُعطي للدراسة أهمية في مجالها.

صعوبات البحث:

تتجلّى صعوبات البحث التي واجهها الباحث في ندرة الدراسات العربية المكتوبة عن الرحّالة ابن فضلان خاصّةً تلك المرتبطة بجانب حوار الحضارات، وعدم قدرة الباحث على التعامل مع المكتبات الأجنبية كالروسية، والتركية، والإسكندنافية التي قدّمت بعض الدراسات عن ابن فضلان ورحلته، إضافةً إلى تعذّر الوصول إلى بعض المصادر والمراجع التي درست جانبًا من الموضوع من قبل؛ لأنّ دور النشر في مصر، والسعودية، والإمارات لا تسمح للكتب بالوصول إلى دولة

قطر في ظلّ الحصار المفروض عليها منذ 2017م، فتسبّب هذا الأمر في نقص المراجع المُطّلع عليها، وكان تحدّيًا جادًّا أمام الباحث.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة موضوع البحث الاعتماد على مجموعة متنوّعة من المناهج المختلفة نظرًا لتشابك الموضوع المبحوث فيه، ومن تلك المناهج: المنهج الوصفي والتحليلي، فالرحلة تحتوي على مشاهد وصفية صوّرها الرحّالة ابن فضلان في رسالته، وينقصها التحليل والتصنيف، ثُمّ يأتي المنهج التاريخي الذي يقتفي أثر ما كُتب عن ابن فضلان ورحلته في المصادر التاريخية، ثُمّ يعقبه المنهج الاستقرائي المتتبّع لجزئيّات هذه الرحلة الحضارية للخروج بتصوّرات كلّية تسهم في بيان أثر الرحالة ابن فضلان في مجال حوار الحضارات، ومن ثمّ المنهج المقارن الذي تمثّل في التمييز بين أوجه التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته بين المسلمين وغيرهم.

خطة البحث:

يتوزّع البحث على مقدّمة، ثمّ تمهيد تُعرض فيه سيرة الرحالة ابن فضلان، وملامح عصره، ومضامين رحلته، ثم ثلاثة فصول:

- يتناول الفصل الأوّل منهج ابن فضلان في حوار الحضارات، وذلك في ثلاثة مباحث: أولها عن المشاهدة والمعايشة عند ابن فضلان، وثانيها عن الوصف الديني والحضاري في الرحلة، وثالثها عن رؤيته النقدية للآخر.
- فيما يتعرّض الفصل الثاني إلى: أنواع الحوار الحضاري في رحلة ابن فضلان، وحُدّدت بثلاثة أنواع في مباحث مستقلّة: الحوار الديني، والحوار السياسي، والحوار الثقافي.

- أمّا الفصل الثالث؛ فيُقدّم صور التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته من المسلمين وغيرهم، وخُصّ المبحث الأول منه بإبراز تفاعل المسلمين مع ابن فضلان ورحلته، والثاني بتفاعل غير المسلمين مع ابن فضلان، والثالث بمجالات التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته.

وفي الخاتمة عرضٌ لأهمّ النتائج والتوصيات المُتوصّل إليها، وطرحٌ لأبرز المقترحات المفيدة للأعمال البحثية المستقبلية.

التمهيد

أولًا – سيرة الرحالة ابن فضلان:

1. مولده وحياته
2. شيوخه وتلاميذه
3. المؤلّفات التي تركها
4. تاريخ وفاته

ثانيًا – ملامح العصر الذي عاش فيه ابن فضلان:

1. الملامح السياسية
2. الملامح الثقافية

ثالثًا – مضامين رحلة ابن فضلان:

1. أسباب الرحلة ودوافعها
2. سبب اختيار ابن فضلان ومهمّته
3. الأعلام المذكورون في الرحلة:
   - أ- الأعلام الأساسيون
   - ب- الأعلام الثانويون
4. مدة الرحلة ومساراتها
5. محتوى الرحلة بين الحقيقة والخيال:
   - أ- المحتوى الحقيقي
   - ب- المحتوى الخيالي

التمهيد

في هذا التمهيد بحثٌ في سيرة الرحّالة ابن فضلان، وإبرازٌ لبعض ملامح العصر الذي عاش فيه، واستعراضٌ لأهمّ مضامين رحلته في النقاط الآتية:

أولًا – سيرة الرحّالة ابن فضلان:

(1) مولده وحياته

يُحيط الغموض بمعلومات ابن فضلان الشخصية، فلا يُعرف عن شخصه سوى الشيء النزير، وفي كثير ممّا كُتب عنه اجتهاداتٌ جاءت بعد انقطاع خبره قرونًا عديدة من التجاهل له ولمَا قدّم، ولهذا ذكر المستشرق الروسي كراتشكوفسكي (1883 – 1951م) أنّ المعلومات عن ابن فضلان نادرةٌ[56]، وقال سامي الدهان (1919 – 1971م)[57] إن: «المصادر التاريخية لا تُفصح عن شيء من أمر هذه الرحلة، ومن صاحبها، فلم نقع على ترجمة لابن فضلان في كتب الجغرافية، والتاريخ، والأخبار، ولم نر سطرًا واحدًا يُشير إليه، فنحن نجهل كلّ الجهل ما كان؟ من اسمه؟»[58]، ويُؤيّده في هذا القول محمّد علي الحريري الذي قال: «لم تذكر كتب التراجم الشيء

---

[56]يُنظر: إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** (ترجمة: صلاح الدين هاشم، ومراجعة: إيغور بليايف، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر في جامعة الدول العربية، ج1، 1963)، ص187.

[57]الدكتور سامي الدهان أديب سوري. كان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وقد حقّق مخطوطات عديدة، مثل: ديوان أبي فراس الحمداني، وزبدة الحلب لابن العديم، وذيل طبقات الحنابلة، ورسالة ابن فضلان. للمزيد، يُنظر: كامل سلمان جاسم الجبوري، **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م** (بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ط1، 2003)، ص8.

[58]أحمد بن فضلان، **رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ – 921م** (تحقيق: سامي الدهان، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط1، 1959)، ص37.

الكثير عن حياته»[59]، وأيضًا نهلة الشقران (و1977م) التي ذكرت أنّ المؤرّخين لا يَعرفون شيئًا عن حياته[60]، فكلّ المعلوم عن ابن فضلان عماده الأساس ما ذكره ياقوت الحموي (574 – 626هـ) عنه أوّل مرّة إذ قال: «وقرأتُ رسالة عملها أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد، مولى محمد بن سليمان، رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة»[61]، وبه عُلم اسمه كاملًا، ومكانته الاجتماعية، وأُثبِتت رسالته، وما عدا ذلك غير معلوم.

وعلى الرغم ممّا سبق، فإن الرحّالة والأديب السعودي محمّد بن ناصر العبودي (و1926م) ذكر بأنّ وصلته من الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل رسالةً حقّقها، وعنوانها الخارجي "مناظرة لإمام الحجّة جعفر بن محمّد الصادق"، وعنوانها الداخلي "مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما"، وقد طُبعت في الرياض، ونشرتها دار الوطن في طبعتها الأولى عام 1996م (1417هـ)[62]، وفي سلسلة أسانيد رواة هذه المناظرة ذُكر ابن فضلان عَرَضًا على وفق الآتي: «قال أبو بكر بن صدّيق المؤدّب الأصبهاني، ثنا أبو بكر أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد مولى محمّد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب إملاءً، قال: ثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري بالبصرة ...»[63]، ويُؤخَذ من هذا النصّ عدّة فوائد، منها:

---

[59]محمد علي حسين الحريري، "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الصقالبة وإسكندينافيا: المراجعات والنقد". (**عالم الكتب**، مج12، ع1 (1991): 105 – 109)، ص105.

[60]يُنظر: نهلة الشقران، **خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري** (الأردن: الآن ناشرون وموزعون، ط1، 2015)، ص21.

[61]ياقوت الحموي، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ط2، 1995)، ج1/ص486.

[62]يُنظر: محمد بن ناصر العبودي، **بلاد التتار والبلغار** (سلسلة دعوة الحق (188)، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1999)، ص187 – 188.

[63]علي بن عبد العزيز العلي آل شبل (محقّق)، **مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما** (الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، 2004)، ص70 – 71.

- سلامة اسم ابن فضلان كما أورده ياقوت الحموي، فهو أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد، وما ذُكر خلاف ذلك تصحيف وغلط[64].
- بيان كنيته، فقد كان يُكنّى بأبي بكر، ولهذا شبّهه ملك الصقالبة بأبي بكر الصدّيق – رضي الله عنه – كما قال ابن فضلان عنه إنه كان «يُؤثرني، ويُقرّبني، ويُباعد أصحابي، ويُسمّيني أبا بكر الصدّيق»[65].
- تصحيحٌ لخطأ شاع واشتهر، ووقع فيه محقّقو الرسالة كسامي الدهّان[66]، وشاكر لعيبي (1955 –)[67]، وتابعهما جلّ الباحثين بأنّ ابن فضلان كان مولى للقائد العبّاسي محمّد بن سليمان الكاتب (ت 304هـ)[68] اشتباهًا لتطابق الاسم بينه وبين محمّد بن سليمان العباسي (122 – 173هـ)[69] على الرغم من أنّ الحموي لم يذكر صفة محمد بن سليمان

---

[64]وقع بعض الباحثين في خطأ عند كتابة اسم ابن فضلان كاملًا، فمثلًا قال عنه مصطفى الشهابي: «وهو أحمد بن عباس بن رشيد». يُنظر: مصطفى الشهابي، **الجغرافيون العرب** (تحقيق: نبيل أبو القاسم، القاهرة: مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، ط1، 2018)، ص54.

[65]أحمد بن فضلان، **رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة** (تحقيق: شاكر لعيبي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2003)، ص82.

[66]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص38.

[67]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص32.

[68]أبو علي، محمد بن سليمان الكاتب الحنيفي، ولد بالعراق، ورحل إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد، واتّصل بالمكتفي العباسي، وصار من قوّاده، وولّاه قتال قرامطة الشام، فقضى عليهم 291هـ، ثم وجّهه المكتفي نحو مصر، فأزال الطولونيين سنة 292هـ، ثُمّ سجنه لما قيل عنه من أخبار في مصر حتّى فكّ قيده ابن الفرات، وولّاه الضياع والأعشار بقزوين حتّى قتل في معركة على باب الري. يُنظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** (بيروت: دار العلم للملايين، ج6، ط15، 2002)، ص149.

[69]قال ابن عساكر الدمشقي في ترجمته: «ولد بالحميمة من أرض البلقاء، وكان ذا جلالة، وولي الكوفة، والبصرة للمنصور، ثم ولي البصرة للمهدي مرتين، ووليها للهادي وللرشيد». للمزيد، يُنظر: ابن عساكر الدمشقي، **تاريخ مدينة دمشق** (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج29، ط1، 2012)، ص58.

المزبور إلّا أنّ هذا النصّ يُثبت أنّه العبّاسي، ويدعّمه أكثر ما كُتب في الصفحة التي تلي صفحة عنوان مخطوطة رسالة ابن فضلان نفسها حيث ورد فيها: «وأضفنا إليه كتابًا جمعه أحمد بن فضلان بن راشد بن حمّاد مولى محمّد بن سليمان الهاشمي في أخبار الترك، والخزر، والروس، والصقالبة والباشغرد ممّا وقف عليه، ونظر إليه؛ لأنّ المقتدر بالله أنفذه إلى بلد الصقالبة في سنة تسع وثلاثمائة باستدعاء ملكهم ذلك ... فحدّث بجميع ما شاهده في هذه البلدان»[70]، ومحمّد بن سليمان العبّاسي هاشمي قطعًا، وأمّا محمّد بن سليمان الكاتب سمرقندي يرجع نسبه إلى رجل يُدعى حنيفة السمرقندي[71]، وليس من بني هاشم، وبهذا يتّضح أنّ ابن فضلان من الموالي، وهو عجمي أرومةً، ولكنّه عربي ثقافةً، وقد ذكر ياقوت الحموي في ثلاثة مواضع – عند ذكر "بلغار"، و"خوارزم"، و"روس" – إن ابن فضلان: «مولى محمد بن سليمان، رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة»[72]، ولكنّه عندما ذكره في مورد حديثه عن الباشغرد قال إنّه: «مولى أمير المؤمنين، ثم مولى محمد بن سليمان إلى ملك الصقالبة»[73]، وهذا النصّ لا يوافق النصوص الثلاثة التي جاءت متطابقةً بأنّه مولى محمد بن سليمان، ورسول الخليفة المقتدر بالله، ويبدو في النصّ خطأٌ ما[74]، وعلى هذا الأساس اجتهد خير الدين الزركلي (1893 – 1976م) عند ترجمته

---

[70]أحمد بن محمد ابن الفقيه، **البلدان** (تحقيق: يوسف الهادي، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1996)، ص55.

[71]يُنظر: جمال الدين ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (تقديم: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ط1، 1992)، ص126.

[72]ياقوت الحموي، **مرجع سابق**، "بلغار: ج1/ص486"، و"خوارزم: ج2/ص397"، و"روس: ج3/ص79".

[73]المرجع السابق، ج1/ص322.

[74]محمّد بن سليمان من رجالات القرن الثاني الهجري أيّ قبل زمن ابن فضلان، ولذا أسلافه كانوا من موالي محمد بن سليمان، وهو توارث مكانتهم في النظام الطبقي للمجتمع آنذاك، ولا يستحيل أنّه نفسه صار من موالي الخليفة المقتدر بالله إلّا أنّ طريقة ياقوت الحموي في ذكره أنّه كان "مولى أمير المؤمنين، ثمّ محمّد بن سليمان"=

لابن فضلان، فقال إنّه: «كان في أوليّته من موالي محمّد بن سليمان الحنفي (القائد، فاتح مصر)، ثُمّ أصبح من موالي المقتدر العباسي»[75]، وهذا يخالف السند الوارد ذكره سلفًا، وما كُتب في صدر مخطوطة الرسالة نفسها، والصواب هنا ترجيح نصوص ياقوت الحموي المكرّرة التي تُفيد أنّ ابن فضلان كان مولى محمد بن سليمان العباسي الهاشمي، ورسول الخليفة العباسي المقتدر بالله، وهذا ما ينسجم مع سند المناظرة، والنصّ المكتوب في بداية مخطوطة الرسالة.

- كان ابن فضلان عندما حدّثه أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت 323هـ)[76] بالبصرة، ومن المعلوم أنّ مولاه محمّد بن سليمان العبّاسي تولّى إمرة البصرة، فقد تكون أسرته قطنت البصرة، فوُلد فيها، أو انتقلت إلى بغداد مع مولاها محمّد بن سليمان في عهد هارون الرشيد (149 – 193هـ)، فوُلد ابن فضلان بعد ذلك ببغداد، وفي كلتا الحالتين لا يخرج محل ولادته عن دائرة العراق.

وتأسيسًا على ما تقدّم ذكره، يظهر أنّ ابن فضلان عَلَمٌ معروفٌ في العراق، وعلى اتّصال وثيق بكبار علماء زمانه، وكان يروي عنهم، وهذا ما يستدعي العودة إلى كتب التاريخ والتراجم،

واضحة الخلط؛ لأنّ "ثمّ" في اللغة تُفيد الترتيب مع التراخي، والنصّ على ما هو عليه ليس مرتّبًا، فمحمّد بن سليمان سابقٌ للمقتدر وابن فضلان معًا، وأيضًا تركيبة الكلام ليست سليمةً، فكيف يكون ابن فضلان "مولى محمد بن سليمان إلى ملك الصقالبة"! لذا فالأرجح تقديم النصوص الثلاثة المتكرّرة الواضحة على هذا النصّ، فيكون ابن فضلان مولى محمّد بن سليمان وراثةً عن أسلافه، ورسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة، وهذا أكثر استقامةً من غيره.

[75] يُنظر: خير الدين الزركلي، **مرجع سابق**، ج1/ص196.

[76] لم نقف له على ترجمة إلّا ما قاله عنه شارح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: «أبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث، كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدّثون، ورووا عنه مصنفاته». ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة** (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ج16، ط2، 1967)، ص210.

والبحث عنه بين الرواة، وفي مطلعها كتاب "تاريخ بغداد أو مدينة السلام" الذي ألّفه الإمام الحافظ الخطيب البغدادي (392 – 463هـ)، ونجد عند ذكره لأبي عبد الله خاقان الصوفي (ت 279هـ) قال: «ذكر لي أبو نعيم الحافظ أنّه من كبار صوفية البغداديين، وقال لي: سمعت أبي يقول: سمعت جعفر الحذاء الشيرازي، وذكر خاقان، فقال: كان صاحب آيات وكرامات، وذكر أنّ ابن فضلان الرازي، قال: كان أبي أحد الباعة ببغداد، وكنت على سرير حانوته جالسًا، فمرّ إنسان ظننتُ أنّه من فقراء البغداديين، وأنا حينئذٍ لم أبلغ الحلم، فجذب قلبي، وقمت إليه، فسلّمت عليه، ومعي دينار، فدفعته إليه، فتناوله، ومضى، ولم يقبل علي، فقلت في نفسي: ضيّعت الدينار، فتبعته حتّى انتهى إلى مسجد الشونيزية، فرأى فيه ثلاثة من الفقراء، فدفع الدينار إلى أحدهم، واستقبل هو القبلة يُصلّي، فخرج الذي أخذ الدينار، وأنا أتبعه وراءه أراقبه، فاشترى طعامًا، فحمله، فأكله الثلاثة، والشيخ مقبل على صلاته يُصلّي، فلمّا فرغوا، أقبل عليهم الشيخ، فقال: تدرون ما حبسني عنكم؟ قالوا: لا، يا أستاذ، قال: شاب ناولني الدينار، فكنت أسأل الله أن يعتقه من رقّ الدنيا، وقد فعل، فلم أتمالك أن قعدت بين يديه، وقلت: صدقت يا أستاذ، فلم أرجع إلى والدي إلّا بعد حجّتين، قال جعفر: وكان هذا الشيخ خاقان»[77].

---

[77]أبو بكر الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** (دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج8، ط3، 2011)، ص340. نقل عنه أبو الفرج ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** (دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج12، ط3، 2012)، ص329 – 330، ونقل عنه سبطه شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** (تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت: دار الكتب العلمية، ج10: 256 – 329هـ، ط1، 2013)، ص211، ونقل أيضًا ابن الملقن سراج الدين أبو حفص المصري، **طبقات الأولياء** (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2011)، ص245، وأبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (بيروت: دار الفكر، ج10، 1996)، ص331.

قلت – وبالله أستعين –: أبو عبد الله الصوفي توفّي سنة 279هـ، وهذه الحادثة التي سردها "ابن فضلان الرازي" عن شيخه لا شكّ أنّها وقعت قبل هذا التاريخ عندما لم يبلغ الحلم، والرواية تُفيد أنّ شخصًا عاش في بغداد إبّان منتصف القرن الثالث الهجري، ويُدعى "ابن فضلان الرازي" دون ذكر اسمه، وكان أبوه يمتلك حانوتًا، ويعمل في التجارة ببغداد، ولكن هل نفسه الرحّالة أحمد بن فضلان؟ يُجيب الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الموصلي (466 – 552هـ) برواية ينقلها من لسان: «أحمد بن فضلان الرازي: ورثت من والدي زيادةً على مئة ألف دينار، ففرّقت المالَ في أسبوع من بعد ما أبقيت منه عشرة آلاف دينار مخافة أن يشتت المال همّي، ويشغل قلبي، فأفقتُ من وجدي، وجاءني العلم في الباقي، ففرّقت العشرة آلاف دينار على شرط العلم، فلقيت إبراهيم الخواص، وحدّثته بذلك، فقبّل بين عيني، وقال: هل وقفت على فترتك إذ فترت، ورجعت من الوجد إلى العلم من العشرة آلاف؟ فقلت: لا يا أستاذ ما علمت، قال: بل؛ لتناولك ذلك المال، ثمّ ضحك، وقال: فديت يدًا عقوبتها رجعوها من الوجد إلى العلم ...»[78]، وهذه الرواية تقطع الشكّ باليقين، وتوضّح أنّ ابن فضلان الرازي الذي ذكره الخطيب البغدادي نفسه أحمد بن فضلان الرازي[79]، وتُعزّزه، ففي الرواية التي نقلها البغدادي والد ابن فضلان من تجّار بغداد، وفي هذه الرواية يذكر أنّ والده فضلان تُوفّي، وورثه، وفرّق ماله، ولقي أستاذه شيخ المتصوفة في وقته

---

[78] الحسين بن نصر ابن خميس الموصلي، **مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار** (تحقيق: محمد أديب الجادر، الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2006)، ص560.

[79] تُجدر الإشارة إلى أن يُوجد علم آخر يُعرَف بـ"ابن فضلان البغدادي"، وهو الفقيه الشافعي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن الفضل بن هبة الله (ت 631هـ)، وقد ترجم له شمس الدين الذهبي في كتابه **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج14، ط1، 2003)، ص57، ولهذا يُفضّل تعريف الرحالة ابن فضلان بالرازي كما ترجم له أول مرّة؛ لكيلا يحدث خلط بينه وبين الفقيه الشافعي الذي جاء بعده بثلاثة قرون تقريبًا.

إبراهيم الخواص (ت 291هـ)[80]، ومن العجيب تطابق وصف الدهّان لابن فضلان مع ما ورد في هاتين الروايتين اللتين لم تمرا قطعًا عليه؛ إذ ذكر أنّه كان على ثقافة دينية، وأدب رفيع، وورع وخلق، وحبّ لنشر الإسلام، وصدق في الحديث، وعفّة في المال[81]، وعلى العموم، بعد جمع الروايتين السابقتين تأكّد لي أنّ ابن فضلان من أسرة عجمية تعود جذورها إلى الري[82]، وموالية لبني العبّاس، ومن الطريف مُرور ابن فضلان في رحلته بمسقط رأسه الري وما حولها من بلدان العجم، ولم يُطنب في الحديث عنها، وإنّما اكتفى بذكر أسمائها توثيقًا لسير الرحلة دون مزيد من تفصيل أو تقديم صور من جوانب الحياة هناك، وكأنّه لم يرد تدوين المعلوم لديه تركيزًا على المجهول.

ويبدو أيضًا أن ابن فضلان كان على اتّصال واسع مع قادة الدولة العباسية ورموزها، ولديه أخبارهم إذ نقل ابن جميع الصيداوي (ت402هـ) عن أبي بكر القواس قوله «حدّثنا أبو بكر، حدّثنا أحمد بن فضلان، قال: قال علي بن يحيى الأرمني: غزونا من طرسوس، ففتحنا حصنًا

---

[80]أبو إسحاق الخوّاص (بائع الخوص)، إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، وُلد في سامراء، وكان أوحد مشايخ الصوفية في زمانه، من أقران الجنيد، والنوري، صحب أبا عبد الله المغربي. مات في جامع الري. أبو الفرج ابن الجوزي، **سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان** (تعليق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002)، ص49.

[81]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص39.

[82]الري: بلدة في بلاد الديلم من العراق العجمي، قريبة من طهران على 5 كيلومترات إلى جنوب شرقها، وقد فُتحت في خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سنة 22هـ/643م. يُنظر: محمد رضا، **عمر بن الخطاب الفاروق: ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم** (تحقيق: محمد أمين ضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2013)، ص257، ولقد نشر موقع "طريق الإسلام" مقالةً لم يذكر اسم كاتبها بعنوان "**قصة الأكراد – (10) شخصيات كردية بارزة**"، وجاء فيها أن ابن فضلان كردي الأصل دون أيّ توثيق لمصدر هذه المعلومة التي انفردت بها. نشرت في 27 مارس 2014، على: http://iswy.co/e11prn. (18 يناير 2020)، ونُرجّح ما قاله شاكر لعيبي بأنّ ابن فضلان: «**لم يكن عربيًّا البتة؛ فهو أحد الموالي، وربّما كان من أصل فارسي**». يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص32.

بحذاء عمورية، فدخلنا بيعة لهم، فإذا مكتوب على بابها بالذهب: واحدٌ من السّلف خيرٌ من ألف من الخلف»[83]، وعلي بن يحيى الأرمني المذكور (ت 249هـ) ولي الثغور الشامية، ثم أرمينية، وأذربيجان، ومصر[84].

وقد ذكر الخطيب البغدادي روايةً أخرى في سندها ابن فضلان، وهي: «أخبرنا علي بن أحمد بن عمر المقرئ، حدّثنا أبو بكر بن مقسم، قال: حدّثني ابن فضلان، حدثنا الكسائي الصغير، حدثنا أبو مسحل، قال: رأيت الكسائي في النوم كأنّ وجهه البدر، فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي بالقرآن، فقلت: ما فعل بحمزة الزيات؟ قال: ذاك في عليين، ما نراه إلّا كما يرى الكوكب الدري»[85]، وكذلك نقل الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي (ت 458هـ) روايةً لسماع ابن فضلان من أبي الفوارس شاه بن شجاع الكرماني الذي مات قبل الثلاثمائة للهجرة، وهي: «أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد، قال: سمعت أبا بكر الرازي، يقول: سمعت أحمد بن فضلان، يقول: سمعت شاه الكرماني يقول: علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات»[86]، وأيضًا نقل الإمام الحافظ ضياء الدين المقدّسي (569 – 643هـ) روايةً أورد سندها القاضي أبو بكر الباقلاني (ت 403هـ) الذي قال: «ثنا أبو الطيب المنتاب، ثنا أبو بكر محمد بن علي بن حمدان، ثنا أحمد

---

[83]ابن جميع الصيداوي، **معجم الشيوخ** (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: مؤسسة الرسالة، وطرابلس: دار الإيمان، ط1، 1985)، ص381.

[84]يُنظر: خير الدين الزركلي، **مرجع سابق**، ج5/ص31.

[85]أبو بكر الخطيب البغدادي، **مرجع سابق**، ج11/ص411 – 412.

[86]أبو بكر البيهقي، **كتاب الزهد الكبير** (تحقيق: عامر أحمد حيدر، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط3، 1996)، ص316.

بن فضلان، ثنا أحمد ابن محمد، ثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن شرحبيل بن عبد الكريم الصنعاني، عن إدريس بن سنان، عن وهب بن منبه اليماني»[87].

وكلّ هذه المرويات تستقيم مع كون ابن فضلان «عاش ما بين النصف الثاني من القرن الثالث، والنصف الأول من القرن الرابع الهجري»[88]، وقد خمّن شاكر لعيبي عمر ابن فضلان وقت قيامه بالرحلة بأربعين سنةً بدلالة صحّته الجيدة التي سمحت له خوض هذه المغامرة الخطرة، وتحمّل مشقّات السفر إلى الأصقاع البعيدة[89]، ولو فُرض أن عمره في الأربعين زمن رحلته، فهذا يعني أنّه ولد سنة 269هـ، وفي تاريخ قريب من هذا ذكر فهد الأحمدي (و1967م)[90] مولد ابن فضلان في عام 877م أي الموافق على وجه التقريب 263هـ إلّا أنّ الأحمدي لم يُوثق مصدر معلومته هذه[91]، ولكنّه يبدو أنّه أخذها من ويكيبيديا[92]، وهذه كلّها احتمالات لا تُفيد اليقين القاطع، وعلى هذا يكون تاريخ ميلاده مجهولًا لعدم توافر أيّ شاهد تاريخي يُوثقه.

---

[87]محمد بن عبد الواحد ضياء الدين المقدسي، **كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب** (تحقيق: محمد أحمد عاشور وجمال عبد المنعم الكومي، القاهرة: الدار الذهبية، 1994)، ص73.

[88]أحمد أمين، "4 سنوات في بلاد الصقالبة والروس: ابن فضلان". **(الوعي الإسلامي**، س52، ع603 (2015): 48 – 51)، ص48.

[89]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص30.

[90]فهد عامر الأحمدي إعلامي وكاتب سعودي يكتب في جريدة الرياض، وله عدة مؤلفات أشهرها: حول العالم، ونظرية الفستق.

[91]المعلومات التي أوردها الأحمدي عن ابن فضلان لم يوثّقها. يُنظر: فهد عامر الأحمدي، **الله وحده قادر على صنعهم: 55 شخصية مدهشة** (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 2019)، ص91.

[92]المعلومة نفسها وردت في الموسوعة الحرة "ويكيبيديا" دون إسناد، انظر مقالة "أحمد بن فضلان" المنشورة على: https://bit.ly/37xHl6s. (18 يناير 2020)

(2) شيوخه وتلامذته

لقد تبيّن من الروايات السابقة المُسندة إلى ابن فضلان أنّ مشايخه الذين جالسهم، وأخذ عنهم، هم: أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وأبو عبد الله خاقان الصوفي، وإبراهيم الخواص، وشاه الكرماني، وأحمد ابن محمّد، والكسائي الصغير (ت288هـ)، وأمّا تلامذته الذين روَوا عنه، فهم: أبو بكر بن مقسم العطار (265 – 354هـ)، وأبو بكر بن صدّيق المُؤدّب الأصبهاني، وأبو بكر الرازي، وأبو بكر محمد بن علي بن حمدان، وقد يكون هناك غيرهم ممّن اختفى ذكرهم؛ لتباعد الأزمان، وضياع الآثار[93].

(3) المؤلّفات التي تركها

لا يُعرف لابن فضلان أيّ مؤلّف سوى رسالته هذه التي اشتهرت باسمه، وقد ذكر إسماعيل باشا البغدادي (ت1920م) لابن فضلان «كتاب الجغرافيا»[94]، والقارئ قد يتوهّم للوهلة الأولى أنّ لابن فضلان مؤلّفًا آخر عنوانه "الجغرافيا"، ولكن إسماعيل باشا ذكر الرسالة على وفق تصنيفها ضمن مجال الجغرافيا على الرغم أنّها ليست متخصّصة في الجغرافيا، فابن فضلان لم يستعن بالمصطلحات الجغرافية المعروفة، ولم يتعرّض إلى مسائل جغرافية دقيقة، ولم يسند توصيفاته الجغرافية إلى أحد الجغرافيين[95]؛ إذ لم يذكر درجات الطول والعرض، ومواقع البلدان، وموازنة

---

[93]المعلومات مفتقرة عن المذكورين، فهم أيضًا كابن فضلان غير معروفين على وجه الدقة والتفصيل، فلم نقف مثلًا على تحديد هوية أحمد ابن محمد، وأبي بكر الرازي الذي يحتمل أن يكون الجصاص (305 – 370هـ)، وكذا محمد بن علي بن حمدان لم نقف على ترجمة له.

[94]إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون** (اعتناء: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، مج6، ط2، 2018)، ص53.

[95]يُنظر: خالد زيادة، "رحلة ابن فضلان". (**الفكر العربي**، مج9، ع51 (1988): 107 – 118)، ص109.

الأقاليم كما يصنع أهل الجغرافيا[96]، ولكن قد يكون إسماعيل باشا أطلق الجزء على الكل؛ ففي الرسالة الفضلانية بعض المعلومات الجغرافية المتفرّقة، وهي عادةً ما تصنّف ضمن الأدب الجغرافي، فهي ليست جغرافية بحتة كما أنّها ليست أدبية صرفة، وقد صنّفها الوزير التونسي أحمد خالد (و1936م) في الوسط بين أدب الجغرافيا وأدب الرحلة[97]، وعمومًا لفوزي العنتيل كلام يليق بهذا المقام؛ إذ قال: «ليست هناك معلومات مؤكّدة عن ... مؤلفاته غير هذه الرسالة»[98]، ولعلّ بمزيد من البحث تُكتشف له مؤلّفات أخرى في يومٍ ما، وأمّا الآن، فمن المؤكّد يقينًا بألّا مصنّف لابن فضلان سوى هذه الرسالة التي بين أيدي الناس.

(4) تاريخ وفاته

مثلما تاريخ مولد ابن فضلان مجهول كذا تاريخ وفاته، وقد عيّن إسماعيل باشا البغدادي وفاته في 309هـ[99]، وهذا خطأٌ ظاهرٌ؛ لأنّه تاريخ بداية رحلته، فكيف يكون متوفّيًا في السنة التي ارتحل فيها، وقد وصل إلى ديار الصقالبة[100] في 310هـ؟ والصواب أنّه توفّي بعد تاريخ رحلته

---

[96]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص28.

[97]فرّق أحمد خالد بين نوعين مختلفين من الأدب الجغرافي، الأول: الموسوعات المؤلفة لكتاب الدواوين ككتاب الخراج لقدامة بن جعفر، والآخر المسالك والممالك ويمثله ابن حوقل مؤلّف صورة الأرض، ولكن ابن فضلان تقريره بين النوعين. يُنظر: أحمد خالد، "رسالة ابن فضلان بين التقرير السفاري وأدب الرحلة". **(الفكر**، ع6 (مارس 1970): 33 – 45)، ص33، ص37.

[98]فوزي العنتيل، "رسالة ابن فضلان في وصف رحلته الى بلاد البلغار والخزر". **(تراث الإنسانية**، مج8، ع3 (1968): 113 – 136)، ص118.

[99]يُنظر: إسماعيل باشا البغدادي، **مرجع سابق**، ص53.

[100]تقع بلاد البلغار الصقالبة على أطراف نهر الفولجا (نهر إتل) على مقربة اليوم من قازان في جمهورية تتارستان بروسيا الاتحادية.

دون تحديد دقيق، فالمصادر التاريخية المتوافرة لم تتعرّض إلى ذلك؛ لغياب ترجمته، وقد أحسن الزركلي عندما حدّد وفاة ابن فضلان بعد 310هـ[101].

وبالعودة إلى فهد الأحمدي مرةً أخرى، يُلحظ أنه قد عيّن وفاة ابن فضلان في 960م أي 348هـ[102]، فيكون قد تُوفّي عن عمر ناهز 83 سنة إلا أنّ هذا لا سند له من التاريخ، فلا يُؤخذ به، والصواب ما قاله بطرس البستاني (1819 – 1883م): «ولم يذكر تاريخ وفاته»[103]، وكذا الرمزي صاحب كتاب "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار": «ولم أدر متى رحل من بلغار؟ ومتى تُوفّي؟ والله سبحانه أعلم»[104].

---

[101] يُنظر: خير الدين الزركلي، **مرجع سابق**، ج1/ص195.

[102] يُنظر: فهد عامر الأحمدي، **مرجع سابق**، ص91.

[103] بطرس البستاني، **كتاب دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فن ومطلب** (بيروت: مطبعة المعارف، مج2، 1877)، ص580 – 581.

[104] م. م. الرمزي، **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار** (تقديم: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002)، ج1/ص300.

ثانيًا – ملامح العصر الذي عاش فيه ابن فضلان:

(1) الملامح السياسية

عاش ابن فضلان في عصر متدهور سياسيًّا إبّان خلافة أبي الفضل المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد العبّاسي (282 – 320هـ) الذي يعدّ من أصغر الخلفاء في تاريخ المسلمين، فقد بُويع بالخلافة عندما كان عمره ثلاث عشرة سنة، وذلك في 295هـ خلفًا لأخيه المكتفي بالله (236 – 295هـ)، وهو الخليفة الثامن عشر من خلفاء بني العباس، ولم يُصبر عليه طويلًا، فقد خُلع سنة 296هـ، ونُصّب بدلًا منه عبد الله بن المعتز (247 – 296هـ) الذي قُتل، فأُعيد المقتدر بعد ذلك بيومين، ولم يستقم له الأمر تمامًا إذ راجت الفتن والقلاقل، فتسلّط القرامطة، وهاجموا المسجد الحرام، واقتلعوا الحجر الأسود 317هـ، واستولى الروم على ثغور المسلمين، وفرضوا عليهم الإتاوة، وعصاه خادمه "مؤنس"، ثمّ أطاعه، ثمّ عصاه مجدّدًا حتّى اقتحم وأنصاره دار المقتدر، فأخرجوه، وأهله، وخواصه منها، ونقلوهم إلى دار مؤنس سنة 317هـ، وعُقدت البيعة لأخيه القاهر بالله (286 – 339هـ)، فلم يدم له الأمر سوى يومين حيث ثار الجيش، وعادت الخلافة إلى المقتدر ثانيةً إلّا أنّ مؤنسًا استمرّ في عصيانه، وقصد الموصل، فاحتلّها، ثمّ هاجم بغداد، وبارزه المقتدر، ولكن انهزم أصحابه، فقُتل، وقد امتدّت خلافته خمسًا وعشرين سنة إلا قليلًا[105].

أُشتُهر عن المقتدر التبذير، وكانت خزينته مملوءة بالنفائس الثمينة، وفي داره أمم من الغلمان والخدم، ولأمه ونسائه وحاشيته تدخّل في قراره؛ إذ هو واقعٌ تحت سيطرتهم، وله من الحكم

---

[105] يُنظر: شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج10، ط2، 2010)، ص24 – 30؛ وسوزي حمود، **الدولة العباسية: مراحل تاريخها وحضارتها** (تقديم: عصام شبارو، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2015) ص135 وما بعدها، وخير الدين الزركلي، **مرجع سابق**، ج2/ص121.

اسم الخلافة، ولهم زمام الأمور، وهذا ما ترك أثرًا سلبيًا في الحالة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، فكثُرت الأزمات، وزادت المجاعات، وارتفعت الأسعار، وقلّ المحصول، واُحتُكرت السلع[106].

على الرغم من هذا الوضع الداخلي المضطرب، كانت للخلافة هيبتها الخارجية، فقد ذكر ابن مسكويه الرازي (320 – 421هـ) في كتابه "تجارب الأمم" حال بغداد في 305هـ أي قبيل الرحلة الفضلانية بأربع سنوات حيث ورد رسولان لملك الروم إلى بغداد، ومعهما الهدايا، وكانا يلتمسان مقابلة الخليفة المقتدر ليبلغاه الرسالة، فأُعلما بتعذّر ذلك إلّا بعد مقابلة وزيره ابن الفرات (241 – 312هـ)؛ لينظر في الأمر، ويسمح به، ثم جهّز الوزير الجيش، ونظّم الدار لاستقبال الرسولين، فأقبلا على الوزير، وأخبراه بأنّهما جاءا في طلب الفداء، والتمسا مقابلة الخليفة، ثمّ لما جاء يوم اللقاء اصطفّ الجند في أحسن زيّ، وشُحنت الدار بهم حتّى مشيا منبهرين لكثرة الرجال والسلاح، ثم أُدخلا على الخليفة، وكان على سرير الملك، وحُوله حاشيته، فلما دخلا قبّلا الأرض وأدّيا الرسالة، فأجابهما عنه الوزير، وانتهت المقابلة، ولما خرجا من حضرته خلع عليهما مطارف وعمائم، وأُطلق على القواد الشاخصين من بيت المال 170ألف دينار، وحمل كلّ واحد من الرسولين 20ألف درهم، وخرجا مع المترجم من حدود البلاد، وتمّ الفداء، وهذه الصورة لبغداد آنذاك تظهر حالة الحضارة الإسلامية المترفة التي لم يكن لها لا مثيل في الأرض وقتها كما تبرز مكانة بغداد العظيمة في زمن ابن فضلان، فقد كانت رسل الملوك تتوافد عليها؛ لتوثيق الصلة بها[107]، فلا عجب أن يطلب ملك الصقالبة العون من الخلافة الإسلامية آنذاك، ويدخل في طاعة الخليفة.

---

[106] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص18.

[107] المرجع نفسه، ص19 – 21.

(2) الملامح الثقافية

لم يؤثّر الوضع السياسي المتردّي في الحالة الحضارية العامّة، فالعصر الذي عاشه ابن فضلان من خيرة العصور الإسلامية من ناحية الازدهار في النشاط العلمي، والإنتاج الثقافي، فقد كانت بغداد عاصمة الحضارة الإسلامية، ومركز الحركة العلمية، ومقصد العلماء، ومحط أنظار الناس، وشهدت في عصر ابن فضلان ثورةً ثقافيةً كبيرةً خاصّةً على مستوى التأليف والتصنيف، فأمّات الكتب الإسلامية الشهيرة أُلّفت في القرنين الثالث والرابع الهجريين اللذين فيهما لمعت نجوم أعلام الإسلام في التخصّصات العلمية المتنوّعة من عقيدة وفقه، وتفسير وحديث، ولغة وأدب، وتاريخ وجغرافيا، فلم يترك المسلمون حينذاك بابًا للعلم إلّا طرقوه، ودخلوا فيه.

ولقد كان التاريخ والجغرافيا من أعظم المجالات التي حصلت على عناية فائقة في زمن ابن فضلان، فأعمدة كتب التاريخ الإسلامي تعود إلى ذلك الزمن، ومن مشاهير المؤرّخين الذين كانوا في عصره: ابن جرير الطبري (224 – 310هـ) مؤلّف "تاريخ الرسل والملوك" الذي قسّمه إلى قسمين، الأول: من بدء الخليقة، وتاريخ الرسل – عليهم السلام –، وتاريخ الأمم، والآخر تناول فيه تاريخ الإسلام منذ البعثة النبوية المباركة حتى خلافة المقتدر 302هـ[108]، وقدامة بن جعفر (ت337هـ) صاحب "الخراج وصناعة الكتابة"، والمسعودي (283 – 346هـ) صاحب "مروج الذهب"، وغيرهم كثُر يطول ذكرهم[109]، ومن الرحّالة والجغرافيين[110]: اليعقوبي (تُوفّي بعد

---

[108]يُنظر: سمر بنت عبد الله الأحمدي، "المؤرخون في القرن الرابع الهجري من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي". **(بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي** (إشراف: سعد الموسى)، السعودية: جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2009)، ص228.

[109]المرجع نفسه، ص126 وما بعدها.

[110]للمزيد، يُنظر: طه خضر عبيد، **الحضارة العربية الإسلامية: الوحدة – التنوع – الاتصال – التأثير** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2012)، ص107.

292هـ)، وابن رسته (تُوفّي نحو 300هـ)، وابن الفقيه (تُوفّي نحو 340هـ)، والإصطخري (تُوفّي حوالي 346هـ)، وابن حوقل (تُوفّي بعد 367هـ)، وأبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي، ومن الأئمّة الحفّاظ: محمد بن عقيل البلخي (236 – 316هـ)، وابن نفطويه (244 – 323هـ)، وابن قانع (265 – 351هـ) صاحب "معجم الصحابة"، وابن حبّان البستي (270 – 354هـ) إضافةً إلى ذلك، كان للأدباء وأهل اللغة نصيبٌ كبيرٌ حيث ذاع صيتُ أبي الفرج الأصفهاني (284 – 356هـ) المتوفّى ببغداد، وأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (284 – 368هـ) الذي سكن بغداد حتى وفاته، وأبي القاسم التنوخي (287 – 342هـ)، وأبي عبيد الله المرزباني محمّد بن عمران بن موسى (297 – 384هـ) الذي وُلد وتُوفّي ببغداد[111].

واتّسم عصر ابن فضلان باشتغال رجال الدولة أو القريبين منها بالتأليف، فلمّا كان الخليفة المقتدر صغير السن عند تولّيه الخلافة، ألّف وزيره علي بن عيسى بن الجراح (245 – 335هـ) كتاب "الكُتّاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء"؛ ليساعده في تدبير الملك[112]، وعندما تولّى حامد بن العباس الوزارة في 306هـ جعل حاجبه محمد بن عبدوس الجهشياري (ت331هـ) صاحب كتاب "الوزراء والكتاب"، وقد صنّف في أخبار المقتدر العباسي أكثر من ألف ورقة[113]، وممّا يُذكر عن المقتدر أنّ طبيبًا أخطأ في علاج مريض، فأصدر قرارًا يُحرّم على الأطباء مباشرة مهنتهم دون امتحان من طبيبه الخاصّ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة الحرّاني (ت365هـ)، فتقدّم للامتحان من بغداد وما حولها ثمانمائة وستون طبيبًا دون أطبّاء البلاط أو من تشهد لهم شهرتهم

---

[111] يُنظر: حسين أمين، "الحركة الثقافية في القرن الرابع الهجري في العراق". (**المورد**، ع1 (يناير 2007): 88 – 101)، ص95 – 97.

[112] يُنظر: سمر بنت عبد الله الأحمدي، **مرجع سابق**، ص154.

[113] يُنظر: سليمان الرحيلي، "التأليف التاريخ في المشرق خلال القرن الرابع الهجري". (**عالم الكتب**، مج16، ع4 (1 يوليو 1995): 315 – 329)، ص315 – 316.

أنّهم فوق الشبهات[114]، وثابت المذكور كان مؤرّخًا أيضًا، وله كتاب مطوّل في التاريخ ابتدأه من سنة 292هـ حتّى 363هـ[115]، وفي هذه الأجواء الثقافية اللطيفة، لا عجب أن ينبغ ابن فضلان، فهو ابن بيئة نشطة علمًا ومعرفةً.

ثالثًا – مضامين رحلة ابن فضلان:

(1) أسباب الرحلة

كفى ابن فضلان مؤونة البحث عن أسباب الرحلة ودوافعها، فقد استفتح الرسالة بقوله: «لمّا وصل كتاب ألمش بن يلطوار ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر، يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقّهه في الدين، ويعرّفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجدًا، وينصب له منبرًا؛ ليقيم عليه الدعوة له في بلده، وجميع مملكته، ويسأله بناء حصن يتحصّن فيه من الملوك المخالفين له، فأُجيب إلى ما سأل من ذلك»[116]، وبإنعام النظر في النصّ يُمكن تقسيم أسباب الرحلة إلى:

- أسباب دينية: تتمثّل بتعليم أهل مملكة الصقالبة الإسلام، وتعريفهم شعائره، وبناء مسجد لهم، وتنصيب منبر للدعوة إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله.
- أسباب سياسية: متمثّلة بإقامة تحالف سياسي مع الخلافة العباسية، والدخول في طاعة الخليفة ببغداد، وبناء حصن يحتمي فيه ملك الصقالبة ألمش بن يلطوار من ملك الخزر اليهودي الذي تسلّط عليه، وعلى أهل مملكته، فقد فرض عليهم ضريبة يؤدّونها إليه من

---

[114] يُنظر: فوزي العنتيل، **مرجع سابق**، ص117.

[115] يُنظر: سليمان الرحيلي، **مرجع سابق**، ص316.

[116] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص37 – 39.

كلّ بيت جلد سمور، وكان ابن ملك الصقالبة رهينةً عنده، وأخذ ابنته المسلمة غصبًا حتّى ماتت لديه، وأراد بنتًا أخرى له[117].

(2) سبب اختيار ابن فضلان ومهمّته

استنادًا إلى ما سلف إيراده عن حياة ابن فضلان، اتّضح أنّه مشتغلٌ بالعلم، ومقرّبٌ من علماء زمانه، وزهّاد عصره، فيُحدِّث عنهم، ويُحدَّث عنه، فكان راويًا معروفًا يُرجع إليه، وذا حكمة بليغة، وعلى دين سليم، وخلق عظيم، وورع مشهود، وهذه الصورة عن ابن فضلان نفسها الثابتة في رحلته، فقد كان شديد التمسّك بالإسلام فرحًا بإقامة شعائره، وغاضبًا لانتهاك حرمته[118]، وداعيًا إلى الله وحده، وناصرًا لسنّة النبي – ﷺ –، وآمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر، وفي هذا الصدد يقول أحمد خالد عن ابن فضلان: «رسالته تُظهر سمات شخصيّته، فلقد كان يبتعد عن المزح، وكان ورعًا متمسّكًا بدينه داعيًا إلى ربّه، وهذا ما يظهر عندما يصدر أحكامه على الظواهر الغريبة التي يشاهدها، ويُبرز عقيدته الإسلامية عند نفوره من العادات المنافية للأخلاق الإسلامية، مثل: كشف العورة، والاختلاط بين الجنسين التي تمثّل الحياة البدائية عند تلك الأمم»[119]، ويُضاف إلى ذلك أنّه ينحدر من أسرة موالية لبني العبّاس منذ أوّل أمرهم، ووالده عمل بالتجارة، وفي ذلك حظوة اجتماعية، فكان سبب اختياره للرحلة لما وجد فيه من مؤهلات رشّحته لهذه المهمّة الكبيرة في تعزيز علاقة الخلافة العباسية بالممالك الأخرى البعيدة ممّا يزيد من نفوذها، ولولا تميّزه لما وقع عليه اختيار الخليفة المقتدر بالله، ووزيره حامد بن العبّاس[120].

---

[117] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص99.

[118] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص27.

[119] أحمد خالد، **مرجع سابق**، ص35.

[120] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص41.

أمّا عن المهام التي أوكلت إلى ابن فضلان في الرحلة، فقد حدّدها بقوله: «فندبتُ أنا لقراءة الكتاب عليه، وتسليم الهدايا، والإشراف على الفقهاء والمعلّمين»[121]، إضافةً إلى تقديم أدوية وأموال طلبها ملك الصقالبة لبناء الحصن، والجراية على الفقهاء والمعلمين من خراج ضيعة "أرثخشمثين" من أرض خوارزم، وهي من ضياع الوزير المخلوع ابن الفرات الذي صودرت أملاكه، ووزّعت جراياته، وصارت نفقةً للدولة العباسية[122]، وقد ذكر شاكر لعيبي أنّ ابن فضلان كان رئيس الوفد[123] إلّا أنّ المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ينفي ذلك، وذكر أنّ الرئاسة لسوسن الرسي، وابن فضلان أحد أفرادها بصفته فقيهًا ذا خبرة، ولكنّه دائمًا ما يحاول أن ينسب الدور الرئيس إلى نفسه[124]، والرأي الأخير صائب؛ لأنّ ابن فضلان قال: «والرسول من جهة السلطان سوسن الرسي»[125]، ووصفه منفردًا بـ«الرسول»[126] أيضًا، وملك الصقالبة عندما دعا الوفد إلى المائدة أوّل من قُدّم إليه الطعام «سوسن الرّسول»[127]، ولا ريب أنّ شخصية ابن فضلان كانت مؤثّرةً، وقويةً، وطاغيةً طوال الرحلة، فكان الآمر والناهي فيها، وصاحب الرأي المعتبر، والحكم المقبول، وهذا ما أبرزه، وجعله رأسًا في الرحلة.

---

[121] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص39 – 40.

[122] المرجع نفسه، ص23.

[123] المرجع نفسه، ص32.

[124] يُنظر: إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، **مرجع سابق**، ص187.

[125] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص42.

[126] المرجع نفسه، ص60.

[127] المرجع نفسه، ص76.

(3) الأعلام المذكورون في الرحلة

يتوزّع الأعلام الواردة أسماؤهم أو صفتهم في الرسالة إلى مجموعتين طبقًا لتكرار ذكرهم في أثناء الرحلة مع العلم أنّ تراجم جلّهم مفقودة، ولم يحفظ ابن فضلان سوى أسمائهم وبعض من صفاتهم:

أ- **الأعلام الأساسيون:** الخليفة العباسي المقتدر، ووزيره حامد بن العبّاس، والسفير نذير الحرمي، وملك الصقالبة ألمش بن يلطوار، ورسوله عبد الله بن باشتو الخزري، وأعضاء الوفد الذي خرج من بغداد، وهم: سوسن الرسي، وتكين التركي، وبارس الصقلابي، والفقيه أحمد بن فضلان إضافةً إلى من تردّد اسمهم في خطّ الرحلة أكثر من مرّة، مثل: الوزير ابن الفرات، ووكيله الفضل بن موسى النصراني، وأحمد بن موسى الخوارزمي، وكوذركين، وأترك بن القطغان، وطرخان.

ب- **الأعلام الثانويون:** أحمد بن علي أخا صعلوك، وابن قارن، والداعي الزيدي الناصر الحسن بن القاسم بن الحسين الحسني العلوي، وليلى بن نعمان الديلمي، وحمويه كوسا (صاحب جيش خراسان)، وطاهر بن علي، ونصر بن أحمد الساماني، وكاتبه الجيهاني، ومحمد بن عراق خوارزم شاه، وقلواس، ويبغو ملك الترك، وينال الصغير، وإيلغز، وويرغ، والملك اسكل، والخاقان الكبير ملك الخزر، وخليفته خاقان به، وكوندر خاقان، وجاويشغر، وخز.

(4) مدّة الرحلة ومساراتها

امتدّت الرحلة 11 شهرًا ذهابًا حيث انطلق الوفد من بغداد يوم الخميس 11 صفر 309هـ (21 يونيو 921م)[128] حتّى وصلت بلاد الصقالبة يوم الأحد 18 محرم 310هـ (12 مايو 922م)[129] كما أرّخ ابن فضلان في رسالته التي وزّعها سامي الدهان على المسارات العظمى الآتية: العجم والترك (فارس، وبخارى، وخوارزم، والجرجانية، والغزية، والبنجاك، والباشغرد)، والصقالبة، والروسيّة، والخزر، ثم أجمل في رسم خطّ الرحلة إذ قال: «وظل يصعد شرقًا وشمالًا مارًّا بإقليم الجبال، فهمذان، فالري قرب طهران اليوم، وعبر نهر جيحون، فبلغ إلى بخارى، ثم أوغل في البراري والبوادي حتّى وصل إلى الفولجا عند ملك الصقالبة»[130].

على وجه الدقّة[131]، هذا مسار الرحلة طبقًا لما خطّه ابن فضلان في رسالته، فقد تحرّكت البعثة من بغداد، فالنهروان (يوم واحد)، فالدسكرة (ثلاثة أيام)، وحلوان (يومان)، فقرميسين (يومان)، فهمذان (ثلاثة أيام)، فساوة (يومان)، فالري (أحد عشر يومًا)، فخوار الري (ثلاثة أيام)، فسمنان، فالدامغان، فنيسابور، فسرخس، فمرو، فقشمهان (ثلاثة أيام)، ثمّ دخلت إلى مفازة آمل للوصول إلى آمل، ثم عبرت جيحون للتوجّه نحو آفرير، فبيكند، وبخارى (ثمانية وعشرون يومًا)، ثم إلى النهر، وركبت سفينة للانتقال إلى خوارزم، ثم الجرجانية (رجب، وشعبان، وشهر رمضان، وشوال، ووقت الرحيل منها يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمئة)، ثم زمجان (باب الترك)، وجيت (يومان)، ثم سارت في برية بلاد الترك عشرة أيام حتّى نزلت عند موضع فيه حطب

---

[128] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص43.

[129] المرجع نفسه، ص75.

[130] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص25.

[131] الرؤية مسار الرحلة على الخريطة، راجع: **الملحق (أ)**

الطاغ، ثم سارت خمس عشرة ليلة حتّى وصلت إلى جبل عظيم، فلما قطعته أفضت إلى قبيلة الغزية التركية، ثم مرّت بنهر يغندي، فالأنهار: جام، فجاخش، فأذل، فأردن، فوارش، فأختي، فوتبا، ثمّ نزلت على البنجاك (يومًا واحدًا)، ثمّ عبرت نهر جيخ، فنهر جاخا، فنهر أرخز، فباجاغ، فسمور، فكنال، فسوخ، فكنجلو حتّى وصلت عند بلاد الباشغرد من الأتراك، ثمّ عبرت نهر جرمشان، فنهر أورن، فنهر أورم، فنهر بياناخ، فنهر وتيغ، فنهر نياسنه، فنهر جاوشيز، وبين هذه الأنهار يومان، وثلاثة، وأربعة، وأقل من ذلك، أو أكثر؛ حتّى انتهت إلى المقصد بلاد الصقالبة، وعلى مسيرة يوم وليلة توجّه لاستقبال البعثة الملوك الأربعة الذين تحت يد ملك الصقالبة، ثمّ على فرسخين تلقّاهم الملك نفسه، ونصّب لهم القباب، فنزلوها، وكانت المسافة من الجرجانية إلى بلاد الصقالبة سبعين يومًا، وأقاموا من الأحد إلى الأربعاء في القباب المضروبة لهم حتّى جاء الخميس، واجتمع الناس؛ ليسمعوا كتاب الخليفة، ثمّ مكث الوفد أيامًا غير معلومة في بلاد الصقالبة، وفي أحد الأيام توجّه ابن فضلان إلى نهر إتل، وعند هذا النهر رأى الروس، ثم توقّفت الرسالة عند وصف الخزر دون أن يذكر ابن فضلان صراحةً رحيله إلى بلاد الخزر[132].

أمّا طريق العودة، فقد يُفهم أنّه كان من خلال بلاد الخزر لوقوف الرسالة عند الخزر إلّا أنّ في الحقيقة «لم يُعرف خطّ سير الرجعة؛ لضياع القسم الأخير من الرسالة»[133] كما لا يُعرف من أين كانت؟ وعلى أيّ مسار؟ ومتى؟ وما المدّة؟ والأهمّ هل حقّقت الرحلة كلّ أهدافها؟ أكّد ياقوت الحموي عودة ابن فضلان إذ قال: «حكى فيها ما عاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد

---

[132]ليس في مخطوطة ابن فضلان عن الخزر سوى ثلاثة سطور، ثمّ سطرين مبتورين في نهاية الصفحة، وبقية المخطوطة ضائعة، وقد أثبت ياقوت الحموي 3 صفحات عن الخزر نقلها من ابن فضلان، ولكنّها في الأصل للإصطخري كما يقول فوزي العنتيل، **مرجع سابق**، ص135.

[133]خير الدين الزركلي، **مرجع سابق**، ج1/ص196.

إليها»[134]، وممّا لا شكّ فيه عودة ابن فضلان إلى بغداد، وكتابته لرسالته فيها، فقد افتتح جملها بصيغة الماضي إذ قال: «فندبتُ ... فسلّمتُ ... فرحلّنا ...»[135]، وهذا يُوحي حقيقةً إلى أنّه كتبها بعد إنجازه للرحلة، وإلى هذا يذهب عددٌ من الباحثين كأحمد عبد السلام البقالي[136]، ونهلة الشقران[137].

وفي السياق نفسه، أشار أحمد خالد أنّ ابن فضلان عاد إلى بغداد في ربيع 923م، وبهذا تكون مدّة رحلته سنتين[138] في حين ترى الخامسة علاوي أن العودة كانت من طريق الذهاب نفسه[139]، ولكن يخالفها حيدر محمد غيبة الذي مدّ الرحلة إلى ثلاث سنوات (921 – 924م)، ووضع مسارًا محتملًا للرحلة، ففي الذهاب سار ابن فضلان والوفد إلى بلاد العجم والترك، ثم الروسية، ثم شمال أوروبّا وإسكندينافيا، والإياب كان من بلاد الصقالبة، ثمّ إقليم الخزر إلى بغداد[140]، وشاع ذلك في كتابات الباحثين، والأوساط الإعلامية، وليس فيه وجه صحّة، فلم يذهب ابن فضلان إلى إسكندينافيا قطعًا، وإنّما نتج ذلك عن خلط بين محتوى الرحلة الحقيقي والخيالي

---

[134]ياقوت الحموي، **مرجع سابق**، ج3/ص79.

[135]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص39 – 43.

[136]يُنظر: أحمد عبد السلام البقالي، "قصتي مع ابن فضلان". **(الدوحة**، ع11 (نوفمبر 1979): 120 – 121)، ص120.

[137]يُنظر: نهلة الشقران، **مرجع سابق**، ص21.

[138]يُنظر: أحمد خالد، **مرجع سابق**، ص36، والغريب أن أحمد أمين أوصل مدّة الرحلة إلى 4 سنوات، وقد انفرد بذلك دون أن يقدّم دليله، يُنظر: أحمد أمين، **مرجع سابق**، ص49.

[139]يُنظر: الخامسة علاوي، "العجائبية في أدب الرحلة: رحلة ابن فضلان نموذجًا". **(رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي** (إشراف: حمادي عبد الله). الجزائر: جامعة متنوري – قسنطينة، كليات اللغات والآداب، 2005)، ص163 – 166.

[140]يُنظر: حيدر محمد غيبة، **رسالة ابن فضلان: مبعوث الخليفة العباسي المقتدر إلى بلاد الصقالبة** (بيروت: الشركة العالمية للكتب ودار الكتاب العالمي – مكتبة المدرسة، ط1، 1994)، ص17.

كما ستوضّحه النقطة الخامسة، والأسلم التوقّف؛ فوضع الاحتمالات لا تُقام بها معلومة مُتيقّنة خصوصًا عندما يُحرّف النصّ الأصلي، وتُضاف إليه خيالات لا علاقة لها بالحقيقة بتاتًا.

(5) محتوى الرحلة بين الحقيقة والخيال:

للرحلة نصّان مختلفان أحدهما يمثّل النصّ الأصلي الحقيقي الذي كتبه ابن فضلان نفسه، وصحيح النسبة إليه، والآخر نصٌّ موضوعٌ مختلقٌ مزج بين الحقّ والباطل، وأصله رواية باللغة الإنجليزية ألّفها الروائي الأمريكي مايكل كرايتون (1942 – 2008م)، وتُرجمت إلى العربية، وبين النصّين اختلافٌ في غاية الرحلة وشخصياتها، ومدّتها، ومساراتها، وأحداثها، وأسلوب الكتابة ممّا يطول الشرح، ويكْفي النظر سريعًا إلى المحتويين، وبه يُدرك هذا الفارق الكبير بينهما[141]:

أ – المحتوى الحقيقي

يبدأ النصّ الأصلي الذي كتبه ابن فضلان بذكر وصول كتاب ملك الصقالبة إلى الخليفة المقتدر، وتبعته تلبية لدعوته بإرسال بعثة دينية إليه، ثم بيّن ابن فضلان مهامه في البعثة، وذكر أعضاءها، ثمّ انتقل إلى سرد مسار الرحلة كما ذُكر سلفًا، ولكن بشيء بسيط من الإضافات، فقد ذكر أنّهم انتظروا في الري أحمد بن علي أخا صعلوك الذي كان بخوار الري، وفي الدامغان صادفوا ابن قارن من طرف الداعي الزيدي الحسن بن القاسم العلوي، فتنكّروا في القافلة حتّى قدموا نيسابور، وقد قتل ليلى بن نعمان الديلمي قائد الداعي الزيدي، وأدركوا بها حمويه كوسا صاحب جيش خراسان، ثم مضوا حتّى ساروا إلى آفرير رباط طاهر بن علي، ثم توجّهوا إلى بخارى، فقابلوا

[141]سيأتي توضيحٌ لأبعاد الخلط بين المحتويين وأسبابه في الفصل الثالث من هذا البحث، وقد أثبتناهما هنا؛ ليكون القارئ على دراية بهما قبل الشروع في الفصول القادمة، وسنضرب صفحًا عن المحتوى الخيالي لعدم قيمته العلمية؛ إذ لا يقدّم معلومات مفيدة بل تشويهات استشراقية تنتقص من مكانة ابن فضلان – رحمه الله –، وجهده العظيم.

كاتب أمير خراسان الشيخ العميد محمد بن أحمد الجيهاني، فأخذ لهم دارًا، وأقام لهم رجلًا يقضي حوائجهم، ثم دخلوا على نصر بن أحمد الساماني، فقرئ عليه كتاب بتسليم "أرثخشمثين" من الفضل بن موسى النصراني إلى أحمد بن موسى الخوارزمي، فأجاب بالسمع والطاعة، ووصل الخبر إلى نصر بن موسى، واحتال عليه؛ حتّى ظفر به، واعتقله بمرو، ثمّ وصف ابن فضلان دراهم بخارى، وشروط أهلها في مهور النساء، ومن ثمّ غادرها الوفد تحسّبًا لقدوم البرد، فركبوا إلى خوارزم، وفيها التقوا أميرها محمد ابن عراق خوارزم شاه، فأكرمهم، وبعد ثلاثة أيام ناظرهم بشأن دخول بلاد الترك، فكان معترضًا على ذلك، فقالوا له إنّ هذا أمر أمير المؤمنين، فأذن لهم، ثم وصف المسافة بين خوارزم والجرجانية، ودراهم خوارزم وطبيعة أهلها، ومعتقد أهل قرية "أردكو"، ثمّ انتقلوا إلى الجرجانية، وفيها قدّم ابن فضلان مشاهداته الحيّة لتجمّد نهر جيحون، وطبيعة طقسها البارد، والثلوج المتساقطة، والريح العاصف، وتعامل الناس مع هذا البرد، وسعر الحطب، ورسم السائل عند الباب، وخبر موت رجلين من شدّة البرد، وخلو الأسواق والشوارع من الناس بسبب البرد، واستكثار الوفد من الثياب لدفع هذا البرد الشديد، ومن ثمّ انتقل الوفد إلى بلاد الترك، وفيها قابلوا الأتراك الغزية، وقد وصف ابن فضلان نمط حياتهم، واعتقاداتهم، ونظام الشورى عندهم، وقذارتهم، وتعرّي نسائهم، وضبطهم الاجتماعي كعقوبة الزنا واللواط، ورسومهم في الزواج والضيافة، ثم تحدّث عن لقاء الوفد برؤساء الترك، ثم رحيلهم عنهم حتّى قطع طريقهم رجلٌ من الترك، فأوقف القافلة، ثمّ تركهم يمرّون، ثمّ ذكر طريقة تعامل الترك مع مرضاهم، ودفنهم لموتاهم، ونتفهم للحاهم، ثم مضى الوفد، وعبروا سلسلة من الأنهار ذكرها ابن فضلان حتّى وصلوا إلى طائفة من الترك، يقال لها: البنجاك، ووصف ابن فضلان هيئتهم، ثمّ ارتحل الوفد إلى الباشغرد، ووصف ابن فضلان طبائعهم، وهيئتهم، وأكلهم للقمل، ومعتقداتهم.

بعد ذلك وصل الوفد إلى الصقالبة، وصوّر ابن فضلان مراسم استقبال الوفد بالتفصيل، والاجتماع لسماع كتاب الخليفة، ووزيره حامد بن العباس، وكتاب نذير الحرمي، ثمّ وصف مائدة الملك، وطريقة تقديم الطعام، ثم دارت عدّة حوارات بين ابن فضلان وملك الصقالبة، ومن ثمّ نقل مشاهداته لطبيعة بلاد الصقالبة وعجائبها، وأنواع أكلهم، والضرائب التي يؤدّيها الناس للملك، وطريقتهم في الطعام، ولباسهم، وتحيّتهم للملك، ونظام المواريث والعقوبات عندهم، وتعرّي الرجال والنساء واختلاطهم عند الاغتسال في النهر، وتجارتهم، وانتشار الدعوة الإسلامية بينهم، ثم وصف نهر إتل، وملاقاته لرجل من يأجوج ومأجوج، ثم تحدّث عن عاداتهم عند الموت، وعلاقة ملك الصقالبة بملك الخزر، ثم تطرّق إلى الروس النازلين على نهر إتل، ووصف هيئتهم، ولباسهم، وتجارتهم، ومكانة المرأة عندهم، وقذارتهم، والإباحية الجنسية لديهم، وديانتهم، وتعاملهم مع مرضاهم والسارق، وحرقهم للموتى، وشربهم المفرط للنبيذ، ومراسم الجنائز، ورسم ملكهم، وأخيرًا تقف الرسالة الفضلانية عند الخزر، فذكر ابن فضلان اسم ملكهم، وتوزيع السلطة السياسية بينه وبين خليفته، وأسس التعامل بينهما، ورسم الملك من حياته إلى مماته خاصةً حياته الزوجية، وطريقة موكبه، والتعامل بينه وبين الرعية، والعقوبات التي يفرضها على جيشه عند الهزيمة، ووضع المسلمين تحت حكمه، وهذا كله اختصار لأهمّ ما جاء في نصّ ابن فضلان الأصلي.

ب – المحتوى الخيالي

لقد قدّم أحمد عبد السلام البقالي لهذا المحتوى بقوله: «منذ ألف سنة اختطف الفايكنج – الإسكندنافيون – عالمًا عربيًّا اسمه ابن فضلان، وأخذوه معهم إلى بلادهم غير المتحضرة بالشمال، وكان هو رقيقًا حاضر البديهة، ومن سكان المدن المسالمين، أمّا مختطفوه، فكانوا همجًا

متوحشين»[142]، وبناءً على هذه المقدمة الزائفة أُسّس المحتوى الخيالي الذي صاغه الروائي الأمريكي مايكل كرايتون، فحوّر الرحلة، وغيّر مسارها.

تقول روايته إيجازًا[143]: لما وصل ابن فضلان نهر الفولجا رأى الفايكنج سكان إسكندنافيا، فوصف هيئتهم كطول قامتهم، وتعرّي أجسادهم، وقذارتهم، وكان هؤلاء يأتون من بلادهم بسفنهم، وعندما ينزلون عند نهر الفولجا يبنون بيتًا خشبيًّا يسكنه عشرة أو عشرون منهم، ومعهم جوارٍ أتوا بهن لبيعهن، وزعيمهم اسمه "ويغليف"، وقد مرض هذا، وعُزل حتّى مات، وعند دفنه مُدّ في قبره عشرة أيّام حتّى يُخيّطوا له ثيابًا، وقد قُسّم ماله إلى ثلاثة أثلاث: ثلث لعائلته، وثلث ثمن ثيابه المكفون به، وثلث لمراسم الدفن والوليمة، ومن مراسم الدفن أن تسلّم فتاةٌ نفسها لتموت معه، وفي يوم الدفن اقتربت السفينة من الشاطئ، ونقل الميت والفتاة إليها تحت إشراف عجوز تُعرف بـ"ملك الموت"، ثم أُحرقت السفينة بمن فيها، وحزن ابن فضلان لهذه المراسم، وأمّا الفايكنج، فقد اختاروا "بوليويف" زعيمًا جديدًا لهم، وكان له منافس اسمه "طوركيل"، وهذا الأخير اعتقد أنّ ابن فضلان ساحرٌ ومشعوذٌ ومسؤولٌ عن موت "ويغليف"؛ ليتزعّم "بوليويف"، فأراد قتله، ولما علم ابن فضلان تردّد بين الهرب أو البقاء، فاختار الخيار الأخير.

في يوم ما، وصل قارب من الشمال، وعليه شخص وبعض الخدم، فسأل عنه ابن فضلان، فقيل له إنه ابن روثغار قريب بوليويف، وقد جاء يطلب عودته إلى الشمال؛ لحاجة أهله إليه؛ لأنّهم مرعبون من شيء لا يعرفون له اسمًا، وذكره يجلب الشياطين، ثمّ تقرّر استنادًا إلى قرار العجوز

---

[142]أحمد عبد السلام البقالي، **مرجع سابق**، ص120.

[143]للتفصيل، اقرأ: مايكل كرايتون، **أكلة الموتى عن مخطوطة ابن فضلان**. ترجمة: تيسير كامل، القاهرة: دار الهلال، ط2، 1999، أو أحمد عبد السلام البقالي، **مغامرات سفير عربي في إسكاندينافيا منذ ألف عام**. الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2003.

الشمطاء "ملك الموت" أن يصطحب "بوليويف" 13 محاربًا أحدهم أجنبي ليس من أهل الشمال، فكان ابن فضلان، فأُخذ قسرًا إلى مملكة "روثغار" الشمالية، ثمّ بدأت تتوثّق علاقته ببوليويف الذي اهتمّ به، ولما وصل المحاربون إلى تلك المملكة رأوا آثار أقدام عظيمة للوندال، ثم جرت معركة خطرة مع "الوندال" قُتل فيها بوليويف وثمانية من رجاله، ونجا أربعة بينهم ابن فضلان، وبعد بضعة أسابيع بدأ يحن إلى وطنه، وأعلم ملك "روثغار" أنّه مندوب الخليفة إلى ملك الصقالبة، ويريد أن يُنفذ مهمّته، ولكنه تردّد في السماح له بالعودة، ثمّ اقتنع أخيرًا بفضل الترجمان "هيرغر"، ثمّ أُختُمت الرواية الخيالية بمشهد الوداع بين ابن فضلان وهيرغر، وقد أمسكا بكتفي بعضهما بعضًا، ثمّ انطلقت السفينة بابن فضلان؛ لتبعده عن شواطئ فندان، وآخر ما رأته عيناه قاعة روثغار، فكانت النهاية[144].

[144] يُنظر: محمد علي حسين الحريري، **مرجع سابق**، ص106 – 108.

الفصل الأول

منهج ابن فضلان في حوار الحضارات

المبحث الأول – المشاهدة والمعايشة:

المطلب الأول: المشاهدة

المطلب الثاني: المعايشة

المبحث الثاني – الوصف الديني والحضاري:

المطلب الأول: الوصف الديني

المطلب الثاني: الوصف الحضاري

المبحث الثالث – الرؤية النقدية للآخر عند ابن فضلان

الفصل الأوّل

منهج ابن فضلان في حوار الحضارات

تعود أهمّية رسالة ابن فضلان الكبرى في المنهج الذي سار عليه، فقد اعتمد على وصف أنثروبولوجي مُحدّد لا يُحيد عنه أكثر من الاعتماد على الوصف الجغرافي[145]، وهذا ما أعطى نصّ الرسالة حيويّته؛ لتنوّع المعلومات فيه، وتوسّع مجالات الاهتمام، وقصر الجمل، وسلاسة الأسلوب، وجمال الكتابة خلافًا للأوصاف الجغرافية الجافّة التي تجمّد منابع النصّ، وتشلّ قدراته، ويصعب على غير المختصّ قراءته، ولهذا خلّف ابن فضلان أثرًا منهجيًّا في حوار الحضارات قامت ركائزه على مشاهدة الآخر ومعايشته، وتسجيل ذلك في وصف متنوّع يُعرّف الآخر، ويصوّره في أوضاعه الدينية والحضارية المختلفة، ولا يقف عند هذا الحدّ الوصفي بل يُبدي أحيانًا انتقاده الشديد لما يخالف انطباعاته الشخصية أو ثقافته الإسلامية القوية، وتفصيل ذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأوّل – المشاهدة والمعايشة:

لقد استقى ابن فضلان معلوماته من مشاهداته المباشرة، ومعايشته المتفاعلة مع من يقابله في المحطّات التي مرّت بها الرحلة منذ بدايتها حتّى الوصول إلى مقصدها الأخير، ووثّق كلّ ذلك بمنتهى الإحكام والضبط، فكانت مشاهداته ومعايشته غنيةً بالصور التي التقطها ذهنه، وحفظها قلمه، والمطلبان القادمان يعرضان جملةً من هذه الصور المأخوذة بالمشاهدة والمعايشة:

---

[145] يُنظر: رضوان السائحي، "ابن فضلان... وثق في رحلته الفنون والتاريخ والانثروبولوجيا". **(جريدة الفنون**، ع152 (1 مايو 2014): 16 – 20)، ص16 – 17.

المطلب الأوّل: المشاهدة:

تُصنّف رسالة ابن فضلان أدبيًّا على أنّها تقريرٌ رسميٌّ مُفصّلٌ مُسجّلٌ فيه كلّ ما لاحظه في أثناء أداء مهمّته[146]، ولرسميّته حرص أشدّ الحرص على تسجيل الواقع الذي شاهده بنفسه من أحوال اجتماعية، ودينية، وسياسية، واقتصادية، وجغرافية، فلا ينقل ما يُروى إليه إلّا قليلًا، ويتوقّف للتثبّت من الخبر المروي، فيقول: «بلغني»[147]، أو «يذكرون»[148]، أو «حدّثني»[149]، أو «عرّفني»[150]، ويبتعد عن المزح خلافًا للجاحظ وابن الفقيه اللذين اعتمدا على المزج بين الجدّ والهزل في كتابيهما المتطابقين في العنوان "عجائب البلدان"[151]، وكان ابن فضلان يسبق مشاهداته بكلمة "رأيت" التي وردت مفردةً في الرسالة 38 مرّة، و"رأينا" جمعًا 6 مرّات، وقدّم نوعين من المشاهدة، الأولى: شخصية داخلية تخصّه، وهي نادرة، والأخرى: خارجية عامّة لكلّ الرحلة، وهي الأكثر كما يتّضح في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: المشاهدات الخاصّة

سجّل ابن فضلان مشاهدته للباسه ولباس الوفد قبل التوجّه إلى الجرجانية، فقال: «فكان كلّ رجل منّا عليه قرطق، وفوقه خفتان، وفوقه بوستين، وفوقه لبادة، وبرنس لا تبدو منه إلّا عيناه، وسراويل طاق، وآخر مبطّن وران وخف كيمخت، وفوق الخفّ خف آخر، فكان الواحد منّا إذا ركب

---

[146] يُنظر: أحمد خالد، **مرجع سابق**، ص35.

[147] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص105.

[148] المرجع نفسه، ص69.

[149] المرجع نفسه، ص84.

[150] المرجع نفسه، ص98.

[151] يُنظر: أحمد خالد، **مرجع سابق**، ص37.

الجمل لم يقدر أن يتحرّك لما عليه من الثياب»[152]، ولما وصل إلى الجرجانية عبّر عن إحساسه الشخصي ببردها إذ قال: «ولقد كنتُ أخرج من الحمام، فإذا دخلتُ إلى البيت، نظرتُ إلى لحيتي، وهي قطعةٌ واحدةٌ من الثلج حتّى كنت أُدنيها إلى النار، ولقد كنت أنام في بيت جوف بيت، وفيه قبة لبود تركية، وأنا مدثّر بالأكسية والفرى، فربّما التصق خدّي على المخدّة»[153].

الفرع الثاني: المشاهدات العامّة

لكثرتها أُختيرت مشاهد معيّنة منها على سبيل إثبات المنهج، فقد اهتمّ ابن فضلان في حفظ كلّ مشهد أمامه طوال مسار الرحلة اختصارًا تارةً، وتارةً أخرى إطنابًا، فمن مشاهداته عند الأتراك الغزية ما قاله إنّه رأى أكثر «ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحث بأظلافها تطلب الحشيش، فإذا لم تجده قضمت الثلج، فسمنت غاية السّمن، فإذا كان الصّيف، وأكلت الحشيش هزلت»[154]، وعند نهر جيخ شاهد «سفرة انقلبت فيه، فغرق من كان فيها، وذهبت رجال كثير من الناس، وغرقت عدّة جمال ودواب، ولم نعبره إلا بجهد»[155]، وأكثر مشاهداته في بلاد الصقالبة، وفيها من العجائب ما لا تُحصى، فمنها ما قاله: «أوّل ليلة بتناها في بلده، رأيت قبل مغيب الشّمس بساعة قياسية أفق السماء، وقد احمرّت احمرارًا شديدًا، وسمعتُ في الجوّ أصواتًا شديدةً، وهمهمةً عاليةً، فرفعتُ رأسي، فإذا غيم أحمر مثل النّار قريب منّي، وإذا تلك الهمهمة والأصوات منه، وإذا فيه أمثال النّاس والدّواب، وإذا في أيدي الأشباح التي فيه تشبه النّاس رماح وسيوف أتبيّنها وأتخيّلها، وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها أيضًا رجالًا ودواب وسلاحًا»[156]. كما شاهد طول النهار مدةً من

---

[152]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص59.

[153]المرجع نفسه، ص58.

[154]المرجع نفسه، ص72.

[155]المرجع نفسه، ص72.

[156]المرجع نفسه، ص82.

السنة، ثم يطول الليل، ويقصر النهار، ولم يشاهد «من الكواكب إلّا عددًا يسيرًا ظننت أنّه نحو الخمسة عشر كوكبًا متفرّقة، وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بتة، وإذا اللّيل قليل الظّلمة»[157]، ورأى أنّ القمر لا يتوسّط السماء، ويطلع ساعة، ثم يطلع الفجر، فيغيب، وعند طلوع الشمس تحمرّ الأرض والجبال وكلّ ما يراه الإنسان[158]، ومن دقّة مشاهداته وحرصه على تسجيلها سجّل لطبيعة الأشجار في بلاد الصقالبة، فقال: «ولم أر في بلدهم أكثر من شجر البندق، لقد رأيت منه غياضًا تكون الغيضة أربعين فرسخًا في مثلها، ورأيت لهم شجرًا لا أدري ما هو، مفرط الطّول، وساقه أجرد من الورق، ورؤوسه كرؤوس النخل له خوص دقاق»[159]، ويُلحظ في هذه المشاهدات براعة ابن فضلان في تصويره لها، ومهارته الكبيرة في إجادة النقل الذي يجعل القارئ حاضرًا بوعيه وكامل ذهنه في المشهد، وهذه ملكة لا يمتلكها إلّا المتمرّس في الرواية.

المطلب الثاني: المعايشة:

كان لابن فضلان أسلوبه في المعايشة والحضور وسط الآخرين، وقد قدّم فيها أمثلةً رائعةً تدلّ على حذاقته، وهذا شرح للمعايشة الفضلانية:

الفرع الأول: أسلوب ابن فضلان في المعايشة

سجّل ابن فضلان معايشته الحيّة ومخالطته المباشرة للأقوام التي رحل إليها، وتشارك معها سواءً مصادفةً في طريق الرحلة، أو نزل عندها لبعض الوقت، فكان شديد الحرص على تدوين ما عايشه توثيقًا للحدث لحظةً بلحظة، وقد كان متمكّنًا من «أصول الملاحظة المحايدة (العلمية)،

---

[157] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص84.

[158] المرجع نفسه، ص84.

[159] المرجع نفسه، ص86.

والتدقيق الحريص، والتدوين المباشر (المعايشة)، وقد درّب عينيه على رؤية ما وراء المشاهدة، ولم يكتف بالرصد بل أعمل عقله في التحليل، والتثبّت قبل إطلاق الحكم، وكان أسلوبه واضحًا، ومريحًا، ومشوّقًا، وممتعًا، ودقيقًا، لم ينشغل بوصف المكان في سرد طويل وممل؛ بل أولى اهتماماته بالعادات، والسلوك، وطرائق المعيشة التي تحكم تلك الأقوام كمراسمهم في الدفن، ومكانة المرأة، والحياة الأخلاقية، ولهذا بات مرجعًا شاملًا يُعتمد عليه»[160]؛ فقد اتّسمت معايشته بالتوسّع إذ تناول توزيع السلطة والنفوذ، ورسم الملوك كطريقة تحيّتهم واستقبالهم، والوضع الديني، والطقس والمناخ، والتجارة، وأنواع العملات، ووسائل النقل، والمأكل، والمشرب، والظواهر الغريبة والعجيبة التي كانت جديدةً عليه[161]، وقد سجّلها نتيجة معايشته لأولئك الناس في أدقّ جزئيّات حياتهم اليوميّة، وبهذا اتّصف بالإحاطة التامّة في تسجيل ما يعايشه، فلم يترك شيئًا يدور حول الحياة العامّة والخاصّة لتلك الأمم إلّا دوّنها.

الفرع الثاني: الفرق بين معايشة ابن فضلان والغربيين

لقد قارن أحمد عبد السلام البقالي بين المعايشة عند ابن فضلان والغربيين، وذكر أنّ المعايشة التي اعتمدها ابن فضلان مختلفة عن الطريقة الغربية التي ترمي إلى التسلية، وتتناسى عامل "الإحساس" بالقصّة، فلم يكن ابن فضلان يتسلّى بكتابته، أو يسعى من وراء تقريره تمجيد الزعماء، أو التركيز على الأساطير؛ بل كان عالمًا أنثروبولوجيًّا لا يقلّد الراوي الأسطوري، وعادةً ما يهمل عناصر الإثارة والتشويق؛ لكيلا تُؤثّر في أسلوبه الموضوعي، واتّزانه المنهجي، وهذا

---

[160] يُنظر: محمود بري، "رحلة أحمد بن فضلان: اجتاز بلاد الترك والروس وبلغ أسكندينافيا" من محمود حيدر (محرّر)، **تجارب استغرابية: الغرب في مرآة الرحالة العرب والمسلمين** (سلسلة التأسيس لعلم الاستغراب، العراق: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط1، 2019)، ص93.

[161] المرجع نفسه، ص96.

التجرّد الفضلاني أحيانًا يُحنق القارئ الذي لا يُدرك عظمة منهجه، ولكن بعد مضي مئات السنين على رحلة ابن فضلان عرف الغربيون التوازن في تسجيل مذكراتهم بعيدًا عن الأساطير، والحديث عن كائنات خُرافية في أسفارهم وحكاياتهم الغريبة[162].

الفرع الثالث: نماذج من المعايشة الفضلانية:

لقد احتوت الرحلة على نماذج كثيرة دالّة على المعايشة التي انتهجها ابن فضلان، فمن تلك النماذج:

أولًا – معايشة جماعة أترك بن القطغان

نقل ابن فضلان عن معايشته لجماعة "أترك بن القطغان" من رؤساء الترك الذي ضرب للوفد قبابًا تركية، وأنزلهم فيها، وساق إليهم الغنم لذبحها، وقاد الدواب لركوبها، ودعا أهل بيته وبني عمّه، فذبح لهم غنمًا كثيرة، ثمّ شاهد ابن فضلان امرأة أترك بن القطغان وقد «أخذت لحمًا، ولبنًا، وشيئًا ممّا أتحفناه به، وخرجت من البيوت إلى الصحراء، فحفرت حفيرة، ودفنت الذي كان معها فيها»[163]، ولاحظ أنّ أترك بن القطغان لا يخلع قرطقه الذي تحته حتّى يتقطّع من الوسخ، وقد كان هذا الرجل فارس قومه، وفي يومٍ ما سار مع ابن فضلان ورفاقه، وهو على فرسه، فـ«مرّت وزّة طائرة، فأوتر قوسه، وحرّك دابّته تحتها، ثمّ رماها، فإذا هو قد أنزلها»[164].

---

[162] يُنظر: أحمد عبد السلام البقالي، **مرجع سابق**، ص121.

[163] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص68.

[164] المرجع نفسه، ص69.

ثانيًا – معايشة الباشغرد والصقالبة

بمعايشة ابن فضلان للأتراك الباشغرد لاحظ أنّهم يأكلون القمل، وقال: «لقد كان معنا منهم واحد قد أسلم، وكان يخدمنا، فرأيته وجد قملةً في ثوبه، فقصعها بظفره، ثمّ لحسها، وقال لمّا رآني: جيّد»[165]، ولما عايش الصقالبة لاحظ أنّهم لا يقربون البيت الذي تقع عليه الصاعقة، ويدعون كلّ ما فيه من رجال ومال حتّى يتلف؛ لأنّه بيت مغضوب عليه[166].

ثالثًا – معايشة الروس

عندما رأى ابن فضلان الروس تتبّعهم مراقبًا لتحرّكاتهم، وواصفًا لسلوكهم وعاداتهم ممّا يُظهر أنّ لديه شغفًا كبيرًا في التعلّم والتعرّف على الجديد، فجذبت انتباهه مراسم حرق الروس لموتاهم، فأحبّ أن يقف عليها، فبلغه موت رجل جليل المكانة، وعظيم المنزلة عندهم، فتوجّه إليهم؛ ليعايشهم في تلك اللحظات المثيرة، ورآهم قد وضعوا الميت في قبر مسقوف مدّة عشرة أيام؛ ليفرغوا من قطع ثيابه وخياطته، ومن ثمّ طلب أهله من جواريه وغلمانه أن يموت أحدهم معه، فخرج من يقبل بذلك، ولا يجوز أن يتراجع، والجواري أكثر من يقدمن على هذا الأمر، ولقد خرجت جاريته؛ لتموت معه، فوكّلت إلى جاريتين كي «تحفظانها، وتكونان معها حيث سلكت حتّى إنّها ربما غسلتا رجليها بأيديهما، وأخذوا في شأنه، وقطع الثياب له، وإصلاح ما يحتاج إليه، والجارية في كلّ يوم تشرب، وتغني فرحةً مستبشرةً»[167].

---

[165]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص73.

[166]المرجع نفسه، ص88.

[167]المرجع نفسه، ص106.

لما يحين وقت الحرق تحضر الجارية إلى النهر عند السفينة، «فإذا هي قد أخرجت، وجُعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك وغيره، وجُعل أيضًا حولها مثل الأنابير الكبار من الخشب، ثم مدّت؛ حتّى جُعلت على ذلك الخشب، وأقبلوا يذهبون، ويجيئون، ويتكلمون بكلام» لم يفهمه ابن فضلان، وذاك الرجل الجليل في قبره لم يخرج، ثم جلبوا سريرًا، فجعلوه على السفينة، «وغشوه بالمضربات الديباج الرومي، والمساند الديباج الرومي»، ثم أتت امرأة عجوز تُدعى "ملك الموت"؛ لتفرش على السرير الفرش، وهي التي تخيّطه، وتصلحه، وتقتل الجواري، «ورأيتها جوان بيرة ضخمة مكفهرة»، ثم يضيف ابن فضلان: «فلمّا وافوا قبره نحّوا التراب عن الخشب، ونحّوا الخشب، واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه، فرأيته قد اسودّ لبرد البلد، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذًا، وفاكهة، وطنبورًا، فأخرجوا جميع ذلك، فإذا هو لم ينتن، ولم يتغيّر منه شيء غير لونه»، ثم ألبسوه الثياب، وأدخلوه القبّة التي على السفينة، وأجلسوه على المضربة، وأسندوه بالمساند، ومعه النبيذ، والفاكهة، والريحان، وجميع سلاحه، وبين يديه خبز، ولحم، وبصل، ثمّ أتوا بكلب، فقطعوه نصفين، وألقوا به في السفينة، وأخذوا دابتين، وقطعوهما بالسيف، وألقوا لحمهما في السفينة، وكذا فعلوا مع بقرتين وديك ودجاجة، وأمّا الجارية، فقبل أن تُقتل تدخل كلّ قبّة، فيجامعها صاحبها محبةً لمولاها[168].

يذكر ابن فضلان في عصر يوم الجمعة حيث أُتي بالجارية، فوضعت رجليها على أكف الرجال، وتكلّمت بكلام لها، فأنزلوها، ثم أصعدوها ثانيةً، فكرّرت ذلك مرتين، ثمّ دفعوا إليها دجاجةً، فقطعت رأسها، ورمت به، وأخذوا الدجاجة، فألقوها في السفينة، ثم مرّوا بالجارية نحو السفينة؛ لتنزع ملك الموت حُليها، وتقدّمها إلى ابنتيها، ثمّ صعدوا بها إلى السفينة، ولم يُدخلوها القبّة حتّى

---

[168] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص107.

شربت قدحًا من النبيذ، والرجال يضربون بالخشب على التراس؛ لكيلا يُسمع صوت صياحها، فلا تطلب الجواري الموت مع مواليهن، ثمّ يدخل ستة رجال إلى القبّة، فيجامعونها، ثم يضعونها إلى جانب سيّدها، فتضع العجوز (ملك الموت) في عنقها حبلًا، وتدخل خنجرًا عريضًا بين أضلاعها، ويخنقها رجلان بالحبل حتّى تموت، ويأتي أقرب الناس إلى الميت عاريًا، ويشعل النار بالسفينة، ثم يشارك الناس في إضرام النيران في السفينة حتّى تحترق نهائيًّا، ثم ينصّبون على موضعها خشبةً كبيرةً يكتبون عليها اسم الرجل، واسم ملك الروس، وبعد ذلك ينصرفون[169].

والنماذج أكثر من ذلك بكثير، فالرسالة «أسلوبها قصصي ذو ألوان عديدة، ولغتها طلية ثرية، ومؤلّفها أديبٌ أريبٌ يُسجلّ الجوانب المؤثّرة فيما يُشاهده من مخلوقات وأشياء بأسلوب ملائم، فيجتنب القوالب، ويجود الوصف، ويسوق الحوار الحي كما يصنع الكاتب الممتاز»[170]، ويبدو أنّ ذاكرة ابن فضلان كانت قوية حتّى احتوت تلك المشاهد، وسجّلها في بغداد بعد عودته أو يكون قد كتب شيئًا منها في أثناء رحلته، ثم أكمل لاحقًا، فالدقّة في سرد هذه التفاصيل التي عايشها واختزنها في ذاكرته دلالةٌ صريحةٌ على ذكائه وحذقه في التسجيل، ولا عجب؛ فهو راوٍ شهير في بغداد قبل هذه الرحلة، وله خبرةٌ في صنعته.

المبحث الثاني – الوصف الديني والحضاري:

طرح ابن فضلان مجموعةً كبيرةً من أوصاف الحالة الدينية والحضارية لدى شعوب تلك البلدان التي ارتحل إليها، فكان تقريره غنيًّا بمعلوماتٍ نادرةٍ، ولها أبعاد واسعة تمسّ كلّ زوايا حياة

---

[169] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص108 – 110.

[170] أحمد خالد، "رسالة ابن فضلان بين التقرير السفاري وأدب الرحلة –3". (**الفكر**، ع8 (مايو 1970): 50 – 57)، ص54.

الآخرين الذين التقى بهم، ولم يكن يفوّت شيئًا إلّا وصفه وصفًا دقيقًا بجمل قصيرة، ومختصرة، ومفيدة في آن واحد، وقد استند في هذا الوصف إلى مشاهداته ومعايشته التي أضفت على الرسالة أهمّيتها الأدبية بصفتها مثالًا «لأدب الرحلة الوصفية التي تنأى بنفسها عن الأهواء والمرددات؛ لتقدّم وصفًا دقيقًا محايدًا لما تراه عينا صاحبها، ويسجّله قلمه بانسلاخ تامّ عن الموضوع ممّا يكسب نصّه صدقية وموضوعية تتجاوز ما هو معهود عن أدب الرحلة»[171]، وهذا ما يظهره المطلبان الآتيان:

المطلب الأول: الوصف الديني:

سلّط ابن فضلان الضوء على الوصف الديني لدى كلّ قومٍ شاهدهم وعايشهم، واتّصف هذا الوصف في البحث عن المعتقد البارز لديهم، فذكر معبوداتهم، وطرائق عباداتهم، وتعاملهم مع غير أبناء ملّتهم، وعقيدتهم بالجنّة وغيرها، والأفرع القادمة تفصّل أكثر في الأمر:

الفرع الأول: الوصف الديني عند الكردلية

أوّل وصف ديني قدّمه ابن فضلان ذكره لقرية "أردكو" في خوارزم، وأهلها يُعرَفون بـ"الكردلية"، وكانوا ناصبةً ينصبون العداء لأمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، ففي دبر كلّ صلاة يعلنون البراءة منه[172]، وقد اكتفى بهذا الوصف السريع دون أن يفصّل في أبعاد دخول هذا المعتقد إلى تلك النواحي البعيدة، ولا تفيد المصادر التاريخية عن هؤلاء القوم شيئًا، وهذا النقل اليتيم من فوائد رحلة ابن فضلان.

---

[171]عبد النبي اصطيف، "تلقي الغرب لرسالة ابن فضلان". **(التراث العربي**، مج31، ع129 (2013): 67 – 76)، ص68.

[172]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص50.

الفرع الثاني: الوصف الديني عند الأتراك الغزية

عندما نزل ابن فضلان على الغزية – وهي قبيلةٌ تركيةٌ – وصف الوضع الديني عندهم، فذكر أنّهم: «لا يَدينون لله بدين، ولا يَرجعون إلى عقل، ولا يَعبدون شيئًا، بل يُسمّون كبراءهم أربابًا، فإذا استشار أحدهم رئيسه في شيءٍ، قال له: يا ربّ إيش أعمل في كذا وكذا»، وعلى الرغم من ذلك سمعهم ابن فضلان يشهدون الشهادتين لا اعتقادًا بل تقرّبًا وتملّقًا للمسلمين الذين يمرّون بهم، وإذا شعر أحدهم بظلم أو مكروه رفع «رأسه إلى السماء، وقال: بير تنكري، وهو بالتركية الله الواحد؛ لأنّ بير بالتركية واحد، وتنكري: الله بلغة الترك»[173]، ثمّ ذكر معاملتهم للمسلم عندما يدخل بلادهم، فلا بدّ أولًا أن يكون له صديق منهم ينزل عنده، ويحمل له ولامرأته من بلد المسلمين ثوبًا «وشيئًا من فلفل، وجاورس، وزبيب، وجوّز، فإذا قدّم على صديقه ضُرب له قبة، وحمل إليه من الغنم على قدره»[174]، ويترك الغنم؛ ليذبحها؛ لأنّ هؤلاء الترك لا يذبحون بل يضربون رأس الشاة حتّى تموت، ومن رسمهم السجود لمن يكرمهم[175]، وإذا مات رجل منهم، قتلوا من دوابه، «وقالوا: هذه دوابه يركبها إلى الجنة. فإن كان قتل إنسانًا، وكان شجاعًا، نحتوا صورًا من خشب على عدد من قتل، وجعلوها على قبره، وقالوا: هؤلاء غلمانه يخدمونه في الجنة»[176].

الفرع الثالث: الوصف الديني عند الأتراك الباشغرد

انتقل ابن فضلان إلى جماعة أخرى من الترك تُعرف بـ"الباشغرد"، وأطنب في شرح عقائدهم الدينية، فقد كانوا يؤمنون بتعدّد الآلهة، فكلّ «واحد منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل، ويعلّقها

---

[173] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص62.

[174] المرجع نفسه، ص64.

[175] المرجع نفسه، ص66.

[176] المرجع نفسه، ص67.

عليه، فإذا أراد سفرًا أو لقاء عدوّ قبّلها، وسجد لها، وقال: يا رب افعل بي كذا وكذا»[177]، ومنهم طائفة تعتقد باثني عشر ربًّا «للشتاء ربٌّ، وللصيف ربٌّ، وللمطر ربٌّ، وللريح ربٌّ، وللشّجر ربٌّ، وللنّاس ربٌّ، وللدواب ربٌّ، وللماء ربٌّ، ولليل ربٌّ، وللنّهار ربٌّ، وللموت ربٌّ، وللأرض ربٌّ، والربّ الذي في السماء أكبرهم إلّا أنّه يجتمع مع هؤلاء باتّفاق، ويرضى كلّ واحد منهم بما يعمل شريكه»، وهم طوائف شتّى، ولكلّ طائفة معبودها الخاصّ، فطائفة تعبد الحيّات، وثانية تعبد السّمك، وأخرى تعبد الكراكي، وفي سبب عبادتهم للكراكي، قالوا: إنّهم حاربوا قومًا، فهُزموا، ولما صاحت الكراكي فزع أولئك القوم؛ وانهزموا، ومنذ ذاك عبدوها، «وقالوا: هذه ربّنا، وهذه فعالاته هزم أعداءنا»[178].

الفرع الرابع: الوصف الديني عند الصقالبة

روى ابن فضلان عن ملك الصقالبة "زعمه" أنّ أجداده كانوا يعتقدون بمؤمني الجن وكفّارهم[179]، على الرغم أنّهم لم يكونوا مسلمين، فهو أوّل من أسلم منهم، ثمّ ذكر أنّ الصقالبة يتبرّكون بعواء الكلاب، ويفرحون به؛ لأنّه – كما يعتقدون – دالّ على سنة خصبة فيها بركة وسلامة[180]، ومن عجيب معتقداتهم إذا «رأوا إنسانًا له حركة ومعرفة بالأشياء، قالوا: هذا حقّه أن يخدم ربّنا، فأخذوه، وجعلوا في عنقه حبلًا، وعلّقوه في شجرة حتّى يتقطّع»[181]، ونقل ابن فضلان عن ملك الصقالبة أيضًا خبر رجل عظيم الخلق قيل له إنه من "يأجوج ومأجوج"، فذهب ابن فضلان لرؤيته، وقد قتله ملك الصقالبة، وعلّقه على «شجرة سقطت عظامه ورأسه تحتها، فرأيت رأسه مثل القفير الكبير، وإذا أضلاعه أكبر من عراجين النخل، وكذلك عظام ساقيه وذراعيه،

---

[177]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص73.

[178]المرجع نفسه، ص74.

[179]المرجع نفسه، ص83.

[180]المرجع نفسه، ص85.

[181]المرجع نفسه، ص88.

فتعجّبت منه، وانصرفت»[182]، ومما يجذب الانتباه أنّ ابن فضلان لم يثبت، أو ينفي نسبة هذا الرجل إلى يأجوج ومأجوج بل قبل أن يفتح خبره قال إن تكين التركي حدّثه عن هذا الرجل، ثم توجّه إلى الملك؛ ليتثبّت من الخبر، وأهل "ويسو" عرّفوا الملك أنّ الرجل من يأجوج ومأجوج.

ويبدو أنّ الإسلام لم ينتشر في كلّ أرجاء مملكة الصقالبة حينها، فقد رأى ابن فضلان قومًا يعرفون بـ"البرنجار"، وعددهم 5000 نفسًا أسلموا جميعًا، وبنوا لأنفسهم مسجدًا من خشب؛ ليُصلّوا فيه، ولكنّهم لا يجيدون قراءة القرآن، فعلّم ابن فضلان جماعةً منهم؛ ليصلّوا به[183]، وممّا يثبت أنّ الإسلام لم ينتشر في مملكة الصقالبة كلّها، فقد أقام الملك شهرين عند نهر "جاوشيز"، ولما أراد الرحيل بعث إلى قوم يقال لهم "سواز"، وأمرهم بمرافقته، فأبوا، وافترقوا إلى حزبين: حزب تملّك عليهم رجل اسمه "ويرغ"، وبعث إليه الملك يخبره أنّه قد أسلم، ودخل في طاعة الخليفة العباسي المقتدر بالله، وهدّدهم بالسيف إذا خالفوه، وحزب آخر تملّك عليهم ملك يدعى "اسكل"، وكان يطيع ملك الصقالبة إلّا أنّه لم يدخل الإسلام، فلمّا وصلت الرسالة خافوه، ورحلوا بأجمعهم معه[184].

الفرع الخامس: الوصف الديني عند الروس

وصف ابن فضلان معتقدات الروس وعبادتهم بمنتهى الدقّة، فذكر أنّهم عندما ينزلون من سفنهم عند نهر إتل «يخرج كلّ واحد منهم ومعه خبز، ولحم، وبصل، ولبن، ونبيذ حتّى يوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان، وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب

---

[182]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص96.

[183]المرجع نفسه، ص93.

[184]المرجع نفسه، ص97.

طوال قد نُصبت في الأرض، فيوافي إلى الصورة الكبيرة، ويسجد لها، ثم يقول لها: يا ربّ قد جئت من بلد بعيد، ومعي من الجواري كذا وكذا رأسًا، ومن السمور كذا وكذا جلدًا، حتّى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته. ثم يقول: وجئتك بهذه الهدية، ثمّ يترك الذي معه بين يدي الخشبة، ويقول: أريد أن ترزقني تاجرًا معه دنانير ودراهم كثيرة، فيشتري منّي كلّ ما أريد، ولا يُخالفني فيما أقول، ثمّ ينصرف»، وإذا طالت الأيام، ولم يبع الروسي ما معه يُعاود إلى معبوده، فيهديه ثانيةً وثالثةً، فإن لم يلبِّ له ما يُريد وزّع على كل تلك الصور الصغار هديةً، وطلب منها الشفاعة، «وقال: هؤلاء نساء ربّنا، وبناته، وبنوه»، ويستمرّ في الدعاء لكلّ الصور مستشفعًا بها، ومتضرّعًا بين يديها؛ لتُسهّل البيع، وإذا باع شيئًا، قال: «قد قضى ربّي حاجتي، وأحتاج أن أكافيه، فيعمد ما أريد، ولا يخالفني فيما أقول»، ثمّ يتصدّق ببعض من لحم الغنم، والبقر، ويحمل الباقي إلى الخشبة الكبيرة وما حولها، فيضع رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض، وفي الليل تأكلها الكلاب، ويقول الروسي: «قد رضي ربّي عنّي، وأكل هديّتي»[185].

الفرع السادس: الوصف الديني عند الخزر

لم يُفصّل ابن فضلان في الوصف الديني عند الخزر، ولكنّه قال إنهم يسمّون قبر ملكهم بالجنة، فإذا مات تُبنى له دار كبيرة، فيها عشرون بيتًا، ويُحفر له في كلّ بيت قبرٌ، وتُكسر الحجارة حتّى تصير كالكحل، وتفرش فيه، وتطرح النورة (أي الحجر الجيري) فوق ذلك، وتحت الدار نهر كبير يجري، والقبر فوقه لكيلا يصل إليه شيطان، أو إنسان، أو دود، وهوام، وبعد أن يُدفن؛ يُقتل

[185]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص104.

من دفنوه، فلا يُعلم أين قبره الذي يسمّونه الجنة، ويقولون: «قد دخل الجنة، وتُفرش البيوت كلّها بالديباج المنسوج بالذهب»[186].

المطلب الثاني: الوصف الحضاري:

نظر ابن فضلان في الوصف الحضاري إلى جوانب عديدة، فركّز على السياسة، والمجتمع، والجغرافيا، والعمران، وفي هذه الأفرع مزيدٌ من التفصيل:

الفرع الأول: الجانب السياسي:

في هذا الجانب، اهتمّ ابن فضلان بكلّ ما يرتبط بالسياسة من توزيع السلطة، والقوى، والنفوذ، وطريقة الحكم، وألقاب الحكّام وحياتهم كما يأتي:

أولًا – الجانب السياسي عند العجم والترك

بدأ من بخارى حيث صار الوفد إلى كاتب أمير خراسان الشيخ العميد الجيهاني، فاستقبلهم، وأكرم وفادتهم بإنزالهم في دار، ووفّر لهم رجلًا يقضي حوائجهم في كلّ ما يريدون، ثم استأذن لهم في الدخول على الأمير نصر بن أحمد الساماني، فدخلوا عليه، وقدّموا له كتاب تسليم "أرثخشمثين" من الفضل بن موسى النصراني وكيل الوزير المعزول ابن الفرات إلى أحمد بن موسى الخوارزمي، ولمّا وصل الخبر إلى النصراني احتال على الأمر، وكاتب عمّال المعاون بطريق خراسان من جند سرخس إلى بيكند؛ ليترصّدوا طريق الخوارزمي حتّى تمكّنوا من اعتقاله، وأخذه إلى مرو[187]، ويبدو أنّ النصراني كان رافضًا لأوامر بغداد، فأوقع هذه الحيلة، واعتقل الخوارزمي، وهذا المشهد السياسي

---

[186]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص116.

[187]المرجع نفسه، ص46 – 47.

الذي نقله ابن فضلان يُظهر أنّ السلطة المركزية في بغداد لم يكن أمرها قويًّا في تلك النواحي البعيدة بدليل احتيال النصراني على أوامر الخليفة.

وعندما نزل ابن فضلان عند الأتراك الغزية، رأى أنّ أمرهم شورى بينهم، ولكنّ إذا وقع الاتّفاق على أمر ما، «وعزموا عليه جاء أرذلهم، وأخسّهم، فنقض ما قد أجمعوا عليه»[188]، واسم ملكهم "يبغو"، وهذا اسم يُسمّى به كلّ من تأمّر عليهم، وله خليفةٌ يُدعى "كوذركين"، وكلّ من يخلفه في الرئاسة يُدعى بهذا اللقب[189].

ثانيًا – الجانب السياسي عند الصقالبة

فصّل ابن فضلان كثيرًا في الوضع السياسي لمملكة الصقالبة، وذكر العلاقة بين ملكها وشعبه، فهو لا يأخذ منهم شيئًا سوى من كلّ بيت جلد سمور سنويًّا، ومن زرع أخذ الثمار لنفسه، وفي الغزو له حصّةٌ، وكلّ من يعرس أو يُقيم «دعوة من زلة للملك على قدر الوليمة و(ساخرخ) من نبيذ العسل وحنطة ردية؛ لأنّ أرضهم سوداء منتنة»[190]، وعندما يركب الملك لا يرافقه أحدٌ لا غلام ولا غيره، ولمّا يجتاز السوق يرفع كلّ واحد من رعيته قلنسوته من رأسه، ويضعها تحت إبطه، ولمّا يجاوزهم يردّها، وكذا كلّ من يدخل عليه في قصره يفعل ذلك، وبعد أن يُحرّك برأسه يجلس، ثم يقوم حتّى يأمره بالجلوس، وهيئة الجلوس بين يديه أن يجلس المرء «باركًا، ولا يخرج قلنسوته، ولا يظهرها حتّى يخرج من بين يديه، فيلبسها عند ذلك»[191].

---

[188]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص62.

[189]المرجع نفسه، ص67.

[190]المرجع نفسه، ص86.

[191]المرجع نفسه، ص87.

ولم يكن ملك الصقالبة مستقلًّا استقلالًا تامًّا، فملك الخزر اليهودي يتدخّل في شؤون مملكته، ويفرض على كلّ بيت جلد سمور، وأخذ ابنه رهينةً عنده، «وقد كان اتّصل بملك الخزر عن ابنة ملك الصقالبة جمال، فوجّه يخطبها، فاحتجّ عليه وردّه، فبعث، وأخذها غصبًا، وهو يهودي، وهي مسلمة، فماتت عنده»، فطلب ابنته الأخرى، ولكن ملك الصقالبة زوجها للملك "اسكل" الذي في طاعته خشية أن يأخذها غصبًا كما فعل بأختها، وكان ذلك سبب دعوة ملك الصقالبة للدخول في طاعة الخليفة العباسي كي يبني له حصنًا يحمي نفسه من هذا اليهودي، ولمّا تأتي إلى الصقالبة سفينةٌ من بلد الخزر يركبها الملك، ويُحصي ما فيها، ويأخذ العشر، وإذا قدمت من بلد الروس وغيرهم ممن معهم الرقيق، فللملك أن يختار من كل عشرة رأسًا[192].

ثالثًا – الجانب السياسي عند الروس

ذكر ابن فضلان في وصف ملك الروس أنّ في قصره أربعمائة صنديد يثق بهم، يموتون بموته، ويقاتلون دونه، ومعهم جوارٍ يقمن بغسل رأسه، ويحضرن له الطعام، وله جارية يطؤها، «وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره، وسريره عظيم مرصّع بنفيس الجوهر، ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه، وربّما وطئ الواحدة منهن بحضرة أصحابه الذين ذكرنا»، ويمتنع هذا الملك عن النزول من سريره حتّى عندما يقضي حاجته إنّما يقضيها في طشت، وإذا أراد أن يركب دابته أُتي بها عند سريره، وكذا عندما ينزل منه، وله خليفةٌ يقود الجيوش، ويُشارك في الحروب، ويخلفه في إدارة شؤون الرعية[193].

---

[192] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص99.

[193] المرجع نفسه، ص110 – 111.

رابعًا – الجانب السياسي عند الخزر

أسهب ابن فضلان في وصف الجانب السياسي عند الخزر أكثر من غيرهم، فذكر أنّ ملكهم يُدعى خاقان الكبير، ولا يظهر سوى كلّ أربعة أشهر للتنزّه، وله خليفة يُدعى خاقان به، والأمر بيده، فهو قائد الجيوش عند الغزو، وسائس المملكة، والقائم عليها، والحلّ والعقد بيده، فيفرض العقوبات، وينزّلها، وله يذعن الملوك، ويدخل يوميًّا على الخاقان الكبير بتواضع وسكينة، حافي القدمين، وبيده حطب، فإذا سلّم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب، ولمّا يفرغ الوقود يجلس معه على سريره في جهة اليمين، ويقف خلفه رجل يُقال له: كندر خاقان، ويخلّفه رجلٌ آخر، يُقال له: جاوشيغر[194].

ومن رسم هذا الملك ألّا يجالس الناس، ولا يكلمهم، ولا يدخل عليه سوى خليفته وحرسه، وإذا خرج رافقته الجيوش، ويفصل بينه وبين المواكب ميل، فلا يراه أحدٌ من الرعية إلّا سجد له دون أن يرفع رأسه حتّى يعبر، وإذا بعث سريةً لم تولّ الدبر بوجه ولا سبب، فإن هُزمت قتل كلّ من ينصرف إليه منها، فأمّا خليفته وقوّاده عند الهزيمة يحضرهم ونساءهم، وأولادهم، ودوابهم، ومتاعهم، وسلاحهم، ودورهم، فيوهبهم لغيرهم، وهم يشاهدون، وقد يقطع كلّ واحد منهم قطعتين، ويصلبهم أو يعلّقهم على الشجر، ومدّة حكمه أربعون سنة إن تعدّاها قتلته رعيته وخاصّته، «وقالوا عنه: نقص عقله، واضطرب رأيه»[195]، وله مدينة عظيمة تطلّ على نهر إتل، وفي جانب منها الملك وأصحابه، وفي جانب آخر يعيش المسلمون، وعليهم رجل مسلم يُقال له "خز" من غلمان هذا

---

[194] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص111 – 115.

[195] المرجع نفسه، ص116 – 117.

الملك اليهودي، وهو يتولّى شؤون المسلمين، وينظر فيها، ولا يقضي غيره، والمعاملات التجارية مردودة إليه[196].

الفرع الثاني: الجانب الاجتماعي:

وسّع ابن فضلان نطاق وصفه في الجانب الاجتماعي، وحرص على تتبّع سلوك تلك المجتمعات التي جعلها تحت مجهر دراسته، ومحطّ أنظار مراقبته، فوصف بعضًا من أنماط حياتها، وهيئات أشكال أفرادها، والطبائع، وطريقة الكلام، ورسوم الزواج، والتعامل مع المرضى والموتى، وغيرها من المظاهر ذات الارتباط الاجتماعي كما يأتي:

أولًا – الجانب الاجتماعي عند العجم والترك

ذكر ابن فضلان أنّ أهل بخارى يشترطون في رسم الزواج عندهم أن يتزوّج «فلانٌ ابن فلان فلانة بنت فلان على كذا وكذا ألف درهم غطريفية»[197]، ومن عادة المتسوّل في الجرجانية ألّا يقف على الباب، «بل يدخل إلى دار الواحد منهم، فيقعد ساعةً عند ناره يصطلي، ثمّ يقول: بكند، يعني الخبز، فإن أعطوه شيئًا أخذ وإلّا خرج»[198]، وأمّا الأتراك الغزية، فهم من البدو الرحّل، وبيوتهم متنقّلة، ولا يعرفون الطهارة والاغتسال بالماء خاصّة في فصل الشتاء، ولا يقدر أحدٌ من التجّار أو غيرهم أن يغتسل من الجنابة إلّا ليلًا دون علمهم؛ لأنّ هذا يغضبهم، ويظنون أن المغتسل يُريد أن يسحرهم؛ لتفرّسه في الماء، ولهذا يفرضون عليه غرامةً من المال، ونساؤهم لا يسترن بدنهن عن أحد، فهن عاريات، وعلى الرغم من ذلك لا يزنون، ومن يزني «شقّوه بنصفين، وذلك

---

[196] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص117 – 118.

[197] المرجع نفسه، ص48.

[198] المرجع نفسه، ص52.

أنّهم يجمعون بين أغصان شجرتين، ثم يشدّونه بالأغصان، ويرسلون الشجرتين، فينشقّ الذي شدّ إليهما» كما أنّهم لا يقبلون بفعل "اللواط"[199].

وأمّا رسم الزواج، فالرجل يخطب إلى الآخر حرمه «على كذا وكذا ثوب خوارزمي، إذا وافقه حملها إليه، وربما كان المهر جمالًا أو دواب أو غير ذلك، وليس يصل الواحد إلى امرأته حتّى يُوفّي الصداق الذي قد وافق وليها عليه، فإذا وفّاه إيّاه جاء غير محتشم حتّى يدخل إلى المنزل الذي هي فيه، فيأخذها بحضرة أبيها، وأمها، وإخوتها، فلا يمنعونه من ذلك، وإذا مات الرجل، وله زوجة، وأولاد، تزوّج الأكبر من ولده بامرأته إذا لم تكن أمّه»[200]، وتختلف معاملتهم مع المريض نظرًا إلى وضعه الاقتصادي، فمثلًا لو كان له جوارٍ وعبيد خدموه، فلا يقترب منه أهل بيته، ويُوضع في مكان منفصل حتّى يتعافى أو يموت، وإن كان عبدًا أو فقيرًا رُمي في الصحراء، وتُرك، وإذا مات أحدهم ألبسوه «قرطقه، ومنطقته، وقوسه، وجعلوا في يده قدحًا من خشب فيه نبيذ، وتركوا بين يديه إناء من خشب فيه نبيذ، وجاءوا بكلّ ماله؛ فجعلوه معه» في قبر بُني على هيئة بيت، ثمّ يقتلون من دوابه[201].

وعند وصول ابن فضلان إلى قبيلة "البنجاك" التركية، وصف هيئتهم، وقال إنهم شديدو السمرة، ويحلقون لحاهم، وكذا الأتراك الباشغرد يلحقون لحاهم بل الترك «كلهم ينتفون لحاهم إلّا أسبلتهم، وربما رأيت الشيخ الهرم منهم، وقد نتف لحيته، وترك شيئًا منها تحت ذقنه، وعليه

---

[199] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، 63.

[200] المرجع نفسه، ص63.

[201] المرجع نفسه، ص66.

البوستين»[202]، وقال عن الأتراك الباشغرد إنّ أكلهم القمل حتّى «يتتبّع الواحد منهم درز قرطقه، فيقرض القمل بأسنانه»[203].

ثانيًا – الجانب الاجتماعي عند الصقالبة

تحدّث ابن فضلان عن الوصف الاجتماعي لدى الصقالبة، وبدأ بذكر طعامهم، فقال إنّ أكثر أكلهم الجاورس ولحم الدّابة، ولديهم كثيرٌ من الحنطة والشعير، ويضعون طعامهم في آبار يحفرونها، ولا تمضي عليه أيام قليلة حتّى يتغيّر، ولا يُنتفع به، ويستخدمون دهن السمك، وفي كلّ ما يستعملون زفر، ويصنعون من الشعير حساءً للجواري والغلمان، «وربّما طبخوا الشعير باللّحم، فأكل الموالي اللّحم، وأطعموا الجواري الشعير إلّا أن يكون رأس تيس، فيطعم من اللّحم»، ولباسهم القلانس[204]، وأمّا عن الضبط الاجتماعي والعقوبات، ففي حالة القتل عمدًا تكون العقوبة القصاص، وعند القتل خطأً يُوضع القاتل في صندوق خشبي، ويُدخل في جوفه، ويُنصّب له ثلاث خشبات يُعلّق بينها، ومن رسمهم إذا أراد أحدهم في الطريق أن يقضي حاجته، وعليه سلاحه انتهب كلّ أغراضه، ولكن لو جعله جانبًا لم يتعرضوا له[205].

ويغتسل عندهم الرجال والنساء عراةً دون ستر في النهر، وعلى الرغم من ذلك لا يزنون بتاتًا، وعقوبة الزاني والزانية شدّ اليدين والرجلين على أربع سكك، والقطع بالفأس من الرقبة إلى الفخذين، وتأخذ كلّ قطعة منه ومنها، فتعلّق على شجرةٍ، وكذا يُفعل بالسارق[206]، ولا يتعرّض

---

[202]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص67.

[203]المرجع نفسه، ص73.

[204]المرجع نفسه، ص87.

[205]المرجع نفسه، ص88.

[206]المرجع نفسه، ص89.

الصقالبة إلى دابة دون سبب، ويطلبونها من الصحراء، فيقتلونها، والقولنج سبب في موت أكثرهم حتّى الطفل الرضيع، وعندما يموت المسلم أو زوج المرأة الخوارزمية غسلوه كغسل المسلمين إذ يحفرون للميت القبر، ويجعلون له اللحد، ثمّ يدفنونه، والرجال هم من يبكون على الميت لا النساء، والعبيد منهم يضربون جنوبهم بالسيور كما يوضعون سلاح الميت حول قبره، ولا ينقطع البكاء عنه سنتين، ومن ثمّ يأخذون من شعورهم، ويدعون أقرباء الميت دعوةً بها ينتهي حزنهم، وإن كان للميت زوجة تزوّجت، وهذه المراسم تكون للرؤساء، وأمّا سائر الناس، فيفعلون بعض ما ذكر[207].

ثالثًا – الجانب الاجتماعي عند الروس

وصف ابن فضلان هيئة الروس، وقال إنّهم كالنخل «شقر، حمر، لا يلبسون القراطق، ولا الخفاتين، ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقّيه، ويخرج إحدى يديه منه، ومع كلّ واحد منهم فأس، وسيف، وسكّين لا يفارقه»، والمرأة تشدُّ ثدييها بحقة معدنية، وفي عنقها أطواق ذهب وفضة، وهم لا يتنظّفون، ولا يغتسلون بعد قضاء حاجتهم، ومن الجنابة، وكذلك بعد الطعام لا يغسلون أيديهم، ويمارسون الجنس علانيةً أمام الملأ، ويستخدمون أقذر الماء عندما يغسلون وجوههم ورؤوسهم، وكلّهم يشتركون بقذارتهم في هذا الماء الذي يمرّ عليهم جميعًا، وعندما يمرض أحدهم تُخصّص له خيمة يطرحونه فيها، ومعه خبز وماء، ولا يقتربون منه خاصةً لو كان ضعيفًا أو مملوكًا، فإن شُفي عاد إليهم، وإن مات أُحرق، والمملوك يُترك حتّى تأكله الكلاب والجوارح، وإذا أمسكوا بسارق أتوا به إلى شجرة، وشدّوا حول عنقه حبلًا، وعلّقوه فيها حتّى يتقطّع، ولديهم هوس بالنبيذ إذ إنّهم يشربونه ليل نهار، وقد يموت أحدهم والقدح في يده[208].

---

[207] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص98 – 99.

[208] المرجع نفسه، ص101 – 106.

رابعًا – الجانب الاجتماعي عند الخزر

عرض ابن فضلان جانبًا من حياة ملك الخزر الزوجية، فمن رسمه أن يتزوج خمس وعشرين امرأة كلهن بنات ملوك يجاورونه، ويأخذهن طوعًا أو كرهًا، وله ستون جارية فائقات الجمال، ولكلّ واحدة منهن حاجب، وإذا أراد أن يطأ بعضهن أخبر الحاجب، فيُسرع؛ ليجعلها على فراشه، ثمّ يقف عند باب القبة، فلما ينتهي يأخذ بيدها، وينصرف، ولا يتركها بعد ذلك لحظة[209].

الفرع الثالث: الجانب الاقتصادي

في بخارى، وصف ابن فضلان العملة المتداولة فيها، وهي دراهم من ألوان شتّى، منها ما ما «يقال لها الغطريفية، وهي نحاس، وشَبَه [النحاس الأصفر]، وصفر، يُؤخذ منها عدد بلا وزن، مئة منها بدرهم فضّة»، يستخدمونها في مهور نسائهم، وشراء العقار والعبيد كما «لهم دراهم أخر صفر وحده، أربعون منها بدانق، ولهم أيضًا دراهم صفر، يقال لها: السمرقندية، ستة منها بدانق»[210]، وعندما حلّ بخوارزم وصف دراهمها أيضًا، فقال إنّه رآها: «مزيّفةً، ورصاصًا، وزيوفًا وصفرًا، ويُسمّون الدرهم طازجة، ووزنه أربعة دوانيق ونصف، والصيرفي منهم يبيع الكعاب، والدوامات، والدراهم»[211]، وفي الجرجانية أشار إلى رخص سعر الحطب التي تستخدم في التدفئة، فـ«حمل عجلة من حطب الطاغ بدرهمين من دراهمهم تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل»[212].

---

[209] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص116 – 117.

[210] المرجع نفسه، ص47 – 48.

[211] المرجع نفسه، ص49.

[212] المرجع نفسه، ص61.

وعندما سار ابن فضلان إلى البنجاك قال إنّهم فقراء خلافًا للغزية الذين منهم من «يملك عشرة آلاف دابّة، ومئة ألف رأس من الغنم»[213]، وذكر أنّ في الصقالبة تجّارًا كثيرين، يجلبون الغنم من أرض الترك، والسمور والثعلب الأسود من بلد يقال له "ويسو"[214]، ووصف نهر إتل بأنّ فيه موضعًا تُقام عليه سوق، وتباع فيها أمتعة كثيرة، وعند هذا النهر رأى الروس ينزلون للتجارة، وقال إنّ الروسي عندما يملك عشرة آلاف درهم يصوغ لامرأته طوقًا، ولو «ملك عشرين ألفًا صاغ لها طوقين، وكذلك كلّ عشرة آلاف يزداد طوقًا لامرأته، فربّما كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة»، والخرز الأخضر أفضل الحلي عندهم، وقيمة الخرزة درهم[215].

الفرع الرابع: الجانب الجغرافي

حدّد ابن فضلان بعض المواقع الجغرافية في رحلته، وذكر المسافات بينها، وطبيعة تضاريسها، ومناخها:

أولًا – وصف أرض العجم والترك

ذكر ابن فضلان أنّ قشمهان تقع «طرف مفازة آمل»، وآفرير رباط لطاهر بن علي[216]، ولمّا رحل الوفد من بخارى، رجع إلى نهرٍ خشية هجوم الشتاء، «فتكارينا سفينة إلى خوارزم، والمسافة إليها من الموضع الذي اكترينا منه السفينة أكثر من مئتي فرسخ، فكنّا نسير بعض النهار، ولا يستوي لنا سيره كلّه من البرد وشدّته»[217]، وذكر أنّ في خوارزم قريةً على يوم يقال لها "أردكو"،

---

[213]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص72.

[214]المرجع نفسه، ص92.

[215]المرجع نفسه، ص102 – 103.

[216]المرجع نفسه، ص45.

[217]المرجع نفسه، ص50.

والمسافة بين خوارزم والجرجانية «في الماء خمسون فرسخًا»[218]، وشاهد تجمّد نهر جيحون، «وكان سُمك الجمد سبعة عشر شبرًا، وكانت الخيل، والبغال، والحمير، والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق، وهو ثابت لا يتخلخل، فأقام على ذلك ثلاثة أشهر»[219]، ووصف طقس الجرجانية، وشدّة برودتها، فلا يسقط الثلج إلّا مع ريح عاصف، و«الأرض تتشقّق فيها أودية عظام؛ لشدّة البرد، وأن الشجرة العظيمة العادية لتنفلق بنصفين لذلك»[220]، وحدّد موقع رباط "زمجان" بباب الترك[221]، ولما نزل الوفد منزلًا يُقال له "جيت"، وصف طقسه المثلج[222].

توغل الوفد في بلاد الترك ببرية قفر بغير جبل، والثلوج متواصلة في التساقط، فوصف ابن فضلان بردها بأنّه أشدّ من برد خوارزم حتّى صار والوفد إلى موضع فيه حطب الطاغ، فنزلوا عليه، ثمّ ساروا حتّى مضت خمس عشرة ليلة، فوصلوا إلى جبل وصفه بـ«عظيم، كثير الحجارة، وفيه عيون تنجرف عبره، وبالحفرة تستقرّ الماء»[223]، ثمّ ارتحلوا إلى نهر "يغندي"، وفصّل في طريقة عبورهم أكثر؛ إذ قال: «فأخرج الناس سفرهم، وهي من جلود الجمال، فبسطوها، وأخذوا بالأثاث من الجمال التركية؛ لأنها مدوّرة؛ فجعلوها في جوفها حتّى تمتدّ، ثمّ حشوها بالثّياب والمتاع؛ فإذا امتلأت جلس في كلّ سفرة جماعة من خمسة، وستة، وأربعة، وأقل، وأكثر، ويأخذون بأيديهم خشب الخدنك، فيجعلونه كالمجاديف، ولا يزالون يجدفون والماء يحملها، وهي تدور حتى نعبر،

---

[218]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص49.

[219]المرجع نفسه، ص51.

[220]المرجع نفسه، ص58.

[221]المرجع نفسه، ص60 – 61.

[222]المرجع نفسه، ص61.

[223]المرجع نفسه، ص61.

فأمّا الدوابّ والجمال، فإنّه يُصاح بها، فتعبر سباحة، ولا بدّ أن تعبر جماعة من المقاتلة، ومعهم السلاح قبل أن يعبر شيء من القافلة؛ ليكونوا طليعة للنّاس»[224].

وبعد عبورهم النهر، سرد ابن فضلان أسماء الأنهار الكبيرة في تلك النواحي، وهي: نهر جام، وجاخش، وأذل، وأردن، وارش، وأختي، وتبا، وجيخ؛ وهذا الأخير أكبر الأنهار وأعظمها، وأشدّها جرية، وأصعبها عبورًا حيث رأى «سفرة انقلبت فيه، فغرق من كان فيها، وذهبت رجال كثير من الناس، وغرقت عدّة جمال، ودواب، ولم نعبره إلّا بجهد»، ثمّ ذكر نهر جاخا، وأرخز، وباجاغ، وسمور، وكنال، وسوخ، وكنجلو حتّى وصل إلى ذكر نهر جرمشان، وأورن، وأورم، وبياناخ، ووتيغ، ونياسنه، وجاوشيز، وحدّد المسافة بين هذه الأنهار، فقال: «وبين النهر والنهر ممّا ذكرنا اليومان، والثلاثة، والأربعة، وأقلّ من ذلك وأكثر»[225].

ثانيًا – وصف أرض الصقالبة

لمّا قصد الوفد بلاد الصقالبة، وعلى مسيرة يوم وليلة توجّه لاستقبالهم الملوك الأربعة الذين تحت يد ملك الصقالبة وإخوته وأولاده، وعلى فرسخين تلقّاهم الملك بنفسه، وحدّد ابن فضلان المسافة بين الجرجانية وبلاد الصقالبة بسبعين يومًا[226]، ووصف عجائب هذه الأرض، وظواهرها الغريبة، فذكر أنّه رأى قبل مغيب الشمس أفق السماء احمرّت، وسمع في الجو أصواتًا شديدة، وهمهمات عالية، مصدرها غيم كالنار من احمراره، وقريب من الأرض، وفيه أشكال الناس والدواب وأشباح تشبه الناس، ووصف طول النهار عندهم مدةً من السنة، فيقصر الليل، ثمّ يحدث العكس،

---

[224]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص70 – 71.

[225]المرجع نفسه، ص72 – 74.

[226]المرجع نفسه، ص75.

ورأى عددًا قليلًا من الكواكب، ولا يغيب الشفق الأحمر قبل المغرب، والليل قليل الظلمة، والقمر لا يتوسط السماء بل يطلع ساعةً، ثمّ يغيب[227].

وذكر أنّ في بلاد الصقالبة تفاحًا شديد الخضرة والحموضة، وليس عندهم أكثر من شجر البندق، وشجرة أخرى ساقها مجرد من الورق، ورؤوسها كالنخل، وفي موضع من ساقه يثقب، فيخرج ماء أطيب من العسل، ومساكن النحل عندهم كثيرة، وكذا الصواعق[228]، وفي بلادهم موضع من الماء يقال له "خلجة"، وهي ثلاث بحيرات: اثنتان كبيرتان، وواحدة صغيرة، وبينه وبين نهر إتل نحو الفرسخ[229]، ثم وصف نهر "جاوشيز"، فقال إنه «نهر قليل العرض، يكون عرضه خمسة أذرع، وماؤه إلى السرّة، وفيه مواضع إلى الترقوة، وأكثره قامة، وحوله شجر كثير من الشجر الخدنك، وغيره»، وقريب منه صحراء بها حيوان غريب «دون الجمل في الكبر، وفوق الثور، رأسه رأس جمل، وذنبه ذنب ثور، وبدنه بدن بغل، وحوافره مثل أظلاف الثور، له في وسط رأسه قرن واحد، غليظ، مستدير، كلّما ارتفع دق حتى يصير مثل سنان الرمح، فمنه ما يكون طوله خمسة أذرع إلى ثلاثة أذرع إلى أكثر وأقل، يرتعي ورق الشجر جيد الخضرة»[230].

الفرع الخامس: الجانب العمراني

دوّن ابن فضلان عمران البيوت لدى تلك الأمم، وأغلبها تأخذ شكل قباب متفاوتة الأحجام على وفق مكانة أصحابها الاجتماعية أو نمط حياة أهلها، وقد ذكر أنّه كان في الجرجانية في

---

[227]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص82 – 84.

[228]المرجع نفسه، ص85 – 86.

[229]المرجع نفسه، ص93.

[230]المرجع نفسه، ص97.

«بيت جوف بيت، وفيه قبة لبود تركية»[231]، وبدو الأتراك الغزية يعيشون في بيوت شعر يتنقّلون بها من مكان إلى آخر، وعندما يمرض الرجل منهم تضرب له خيمة في ناحية بيوتهم، وإذا مات حفروا له حفيرة على هيئة بيت، يسقفونها بقبّة من الطين[232]، ولما نزل الوفد عند أترك بن القطغان، قال ابن فضلان: «فضرب لنا قبابًا تركية، وأنزلنا فيها، وإذا له ضبنة [بطانة]، وحاشية، وبيوت كبيرة»[233]، ولمّا لقي ينال الصغير قال له إن «بيوتي نائية عن الطريق»[234].

وعند نزول الوفد في ديار الصقالبة نُصبت لهم القباب، فنزلوا فيها، وذكر ابن فضلان أن هؤلاء الصقالبة يعيشون «في قباب إلّا أنّ قبّة الملك كبيرة جدًّا تسع ألف نفس وأكثر، مفروشة بالفرش الأرمني، وله في وسطها سرير مغشّى بالديباج الرومي»[235]، وعن بيوت الروس ذكر أنّهم يرسون سفنهم عند نهر إتل (الفولجا)، «ويبنون على شطّه بيوتًا كبارًا من الخشب»، ثمّ يُضيف بأنّ «يجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقلّ والأكثر، ولكلّ واحد سرير يجلس عليه»[236]، وأمّا ملكهم، فله قصر يعيش معه أربعمائة صنديد من صناديدهم، وفي المقابل يبدو أن ملك الخزر أكثر ملوك تلك الأصقاع ثراءً، فقد خصّص لكلّ نسوته الحرائر والسراري قصرًا مفردًا له «قبّة مغشاة بالساج، وحول كلّ قبة مضرب»، وعندما يموت تُبنى له «دار كبيرة، فيها عشرون بيتًا، ويُحفر له في كلّ بيت منها قبر»[237].

---

[231] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص58.

[232] المرجع نفسه، ص66.

[233] المرجع نفسه، ص68.

[234] المرجع نفسه، ص66.

[235] المرجع نفسه، ص87.

[236] المرجع نفسه، ص103.

[237] المرجع نفسه، ص116.

المبحث الثالث – الرؤية النقدية للآخر عند ابن فضلان

التزم ابن فضلان على طول الرسالة بالمنهج الوصفي، والأسلوب القصصي بكلّ حيادية مُبعدًا انطباعاته الشخصية، وفرض رأيه الخاصّ، وتقديم وجهة نظره، فقد كان يقلل من التصريح بنقده لما يشاهده إلّا في المواضع التي تُعارض صميم الإسلام، وشرعه الحنيف، فلا يتردّد في تعقيب الوصف بالنقد اللاذع، ويختار من الأوصاف أشدّها، ومن الكلمات أقواها غيرةً وحميةً، «ولكنه لا يضيع وقتًا كثيرًا في التعبير عن سخطه بل يعود إلى ملاحظاته الدقيقة بمجرّد إبداء عدم رضاه، ويحكي ما يراه بصراحة، ودون تعفّف»[238].

وفي نقده يستخدم تشبيهات بلاغية؛ لتكون أكثر إيضاحًا، وأقرب إلى الفهم، فعند حديثه عن أطباع أهل خوارزم وكلامهم، قال: «وهم أوحش الناس كلامًا وطبعًا، كلامهم أشبه شيء بصياح الزرازير»[239]، وأمّا كلام الكردلية، فـ«أشبه شيء بنقيق الضفادع»[240]، وعندما شرع في الحديث عن الحالة الدينية عند الأتراك الغزية، قال: «وإذا هم في شقاء، وهم مع ذلك كالحمير الضالّة»[241]، وقد وصف نتف هؤلاء الأتراك للحاهم، ثم قال: «فإذا رآه إنسان من بعد لم يشك أنه تيس»[242]، ولما شاهد أترك بن القطغان قد نتف كلّ لحيته وسباله، قال عنه: «فبقي كالخادم»[243]، وعندما التقى بالباشغرد، قال عنهم: «شرّ الأتراك، وأقذرهم، وأشدّهم إقدامًا على القتل، يلقى الرّجل

---

[238]أحمد عبد السلام البقالي، **مرجع سابق**، ص121.

[239]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص49.

[240]المرجع نفسه، ص50.

[241]المرجع نفسه، ص62.

[242]المرجع نفسه، ص67.

[243]المرجع نفسه، ص69.

الرّجل، فيفزّر هامته، ويأخذها ويتركه»[244]، ثم لما ذكر إشراكهم بالله، وتعدّد معبوداتهم ختم بقوله: «تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا»[245]، ولما وصف بكاء الصقالبة على الميت، قال: «فيقفون على باب قبته، فيضجون بأقبح بكاء يكون وأوحشه»[246]، وشنّع في وصف قذارة الروس إذ قال إنهم: «أقذر خلق الله، لا يستنجون من غائط ولا بول، ولا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون أيديهم من الطّعام، بل هم كالحمير الضّالة»، وأضاف أكثر من ذلك، فقال: «ولا بدّ لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأطفسه»[247].

---

[244]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص73.

[245]المرجع نفسه، ص74.

[246]المرجع نفسه، ص98.

[247]المرجع نفسه، ص103.

الفصل الثاني

أنواع الحوار الحضاري في رحلة ابن فضلان

المبحث الأول – الحوار الديني:

المطلب الأول: الحوارات الدينية التي جرت في بلاد الترك

المطلب الثاني: الحوارات الدينية التي جرت في بلاد الصقالبة

المطلب الثالث: الحوارات الدينية التي جرت مع الروس

المبحث الثاني – الحوار السياسي:

المطلب الأول: الحوارات السياسية في طريق الرحلة

المطلب الثاني: الحوارات السياسية في مقصد الرحلة (بلاد الصقالبة)

المبحث الثالث – الحوار الثقافي:

المطلب الأول: حوارات ثقافية في بلاد الترك

المطلب الثاني: حوارات ثقافية في بلاد الصقالبة

الفصل الثاني

أنواع الحوار الحضاري في رحلة ابن فضلان

لقد ترك ابن فضلان أثرًا عمليًّا في الحوار الحضاري، فقد ضمّت رسالته حواراتٍ كثيرةً سواءً أكان نفسه طرفًا فيها أم ناقلًا لها، وأحيانًا تكون طويلة، وأخرى قصيرة، وقد تنوّعت الحوارات بين ثلاثة موضوعات رئيسة تشمل: قضايا دينيّة فقهيّة ودعويّة، ثم شؤون سياسيّة، وأخيرًا معلومات ثقافية عامّة، والمباحث الآتية تُفصّل الأمر أكثر:

المبحث الأول – الحوار الديني:

تركّز الحوار الديني في بلاد الترك والصقالبة والروس، وكان النصيب الأكبر منها في بلاد الصقالبة، وقد تنوّعت المسائل الدينية التي جرى الحوار حولها بين معبودات هذه الأقوام، وطرائق عبادتها، ثم دعوة غير المسلمين إلى دخول الإسلام، والاعتقاد بالجن، ويأجوج ومأجوج، ومراسم الدفن الدينية، والمطالب الآتية تعرض ذلك:

المطلب الأول: الحوارات الدينية التي جرت في بلاد الترك:

هي المجموعة الأولى من الحوارات الدينية في الرسالة، وبدأت عندما دخل الوفد إلى بلاد الترك، ولم يغلب الإسلام وقتها على أهلها جميعهم، فقد كانت أكثر القبائل التركية القاطنة في بلاد ما وراء النهر على الوثنية كما تؤكّد هذه الحوارات:

الفرع الأوّل: حوار دعوي مع رجل من الترك

تمثّل أوّل حوار ديني بدعوة ابن فضلان لرجل من الأتراك إلى الإسلام، فبينما كان يسير مع تكين التركي، ومعهما رجلٌ من الأتراك لم يذكر اسمه ورسمه، وقد أصابهم برد شديد، تكلّم

الرجل التركي مع تكين بالتركية، فضحك، وقال لابن فضلان إنّ الرجل، يقول: «أيّ شيء يريد ربّنا منّا هوذا يقتلنا بالبرد، ولو علمنا ما يريد لرفعناه إليه؟»، فأجابه ابن فضلان المتمسّك بدينه، والداعي إلى ربّه سبحانه وتعالى: «قل له: يُريد منكم أن تقولوا لا إله إلا الله»، فضحك التركي، ورد عليه: «لو علمنا لفعلنا»[248]، وهذا الحوار على الرغم من قصره إلّا أنّه يظهر مكانة الدعوة عند ابن فضلان، ولهذا يجب على المحاور المسلم ألّا يتهاون في أمر الدعوة إلى الله، وطلب الهداية للناس عند كلّ موضع.

الفرع الثاني: حوار مع تركي سأله عن الله سبحانه وتعالى

يبرز الحوار الثاني عندما توقّفت البعثة عند قبيلة الغزية التركية، وكان ابن فضلان يقرأ القرآن الكريم، فاستمع إليه أحدهم، واستحسنه، فجاء إلى المترجم، وطلب منه ألّا يتوقّف ابن فضلان عن القراءة، ثمّ سأله «قل لهذا العربي: ألربنا عز وجل امرأة؟»، فاستعظم ابن فضلان ذلك، وسبّح الله، واستغفر، فقلّده الرجل، فسبّح واستغفر عادةً لا عبادةً؛ لأنّ رسم التركي تقليد المسلم عندما يُسبّح ويهلل[249]، وفي هذا الحوار يظهر انشغال ابن فضلان في قراءة القرآن عند نزوله على قومٍ لا يؤمنون بالله ربًّا، ولمّا سأله التركي هذا السؤال الشنيع لم ينفعل ابن فضلان؛ بل أظهر الهدوء والسكينة، واستعظم الأمر مسبّحًا الله ومستغفرًا، ولم يدخل في جدل كلامي لا يفقهه السائل التركي، وعلى هذا لا بدّ أن يكون المحاور المسلم منضبطًا ومتماسكًا عندما يحاور غير المسلم، فلا يجعل الانفعالات تُؤثّر فيه بل يذكر الله عندما تعرض عليه أيّ شبهة دون أن تكون ردّة فعله عنيفة.

---

[248] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص61.

[249] المرجع نفسه، ص63.

الفرع الثالث: حوار عن حجّة عبادة الباشغرد لمعبودهم

لمّا رأى ابن فضلان أنّ كلّ واحدٍ من الباشغرد ينحت خشبةً على قدر الإحليل، ويعلّقها عليه، وعندما يريد السفر أو مواجهة العدو يقبّلها، ويسجد لها داعيًا معبوده أن يُحقّق له مراده، طلب من ترجمانه أن يسألهم عن حجّتهم في ذلك، واتّخاذهم إيّاه ربًّا، فكان جواب بعضهم: «لأنّي خرجت من مثله، فلستُ أعرف لنفسي خالقًا غيره»[250]، وهذا نوعٌ فريد من الحوار المُستكشف الباحث عن معرفة الأديان ومعتقداتها من أصحابها أنفسهم لا ممّا ينقل عنهم، وعلى كلّ محاور أن يسلك هذا المنهج في الحوار الذي اتّبعه ابن فضلان، فينبغي معرفة العقائد من أهلها لا ممّا ينقل عنهم، وعندما يسأل المحاور عن عبادتهم سؤال الباحث لا يعني أنّه أقرهم بما هم عليه من كفر وإشراك بالله بل يعرف ما هم عليه؛ ليتمكّن من مناقشتهم، وبيان فساد عقيدتهم، وتصوّر العقائد مقدّمة للحكم عليها بالحقّ أو الباطل؛ لأنّ الحكم على الشيء فرع من تصوّره، وهذا الحوار يُثبت أيضًا براعة المحاور ابن فضلان في طرحه للسؤال، وسعيه في معرفة الحالة الدينية عند تلك الأقوام بالرجوع إليها مباشرةً، وحوار المعرفة يسبق حوار الدعوة.

المطلب الثاني: الحوارات الدينية التي جرت في بلاد الصقالبة:

أمّا المجموعة الأخرى من الحوارات الدينية، فقد جرت في بلاد الصقالبة، وكانت أكثر توسّعًا، وأخذت طابعًا مختلفًا ومتداخلًا، وتُظهر أنّ الإسلام لم ينتشر تمامًا في ربوع مملكة الصقالبة عند زيارة الوفد، وامتاز ابن فضلان في هذه الحوارات بشخصية قوية حتّى عندما يخفق يعترف بحجّة محاوره دون تردّد، وهذه فضيلة نادرة بين المتحاورين، وبقية التفاصيل في الأفرع الآتية:

---

[250] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص73.

الفرع الأوّل: حوار مع ملك الصقالبة حول صيغة الدعاء له على المنابر

استنكر ابن فضلان ما سمعه على منبر ملك الصقالبة من الدعاء له بهذه الصيغة: «اللهمّ وأصلح الملك يلطوار ملك بلغار»، فقال للملك – بهمّة العالم الصادع بالحقّ الذي لا يأبى إلّا الله، ولا يخشى سواه –: «إنّ الله هو الملك، ولا يُسمّى على المنبر بهذا الاسم غيره جلّ وعزّ، وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي لنفسه أن يُقال على منابره في الشرق والغرب: اللهمّ أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين، وكذا من كان قبله من آبائه الخلفاء»، ثم ليقوّي حجته استدلّ بقول النبي – ﷺ –: {لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله}[251]، فسأله الملك عن الصيغة التي يجوز أن يُخطب له بها، فردّ عليه ابن فضلان أن يكون باسمه واسم أبيه، فقال: إنّ أباه كان كافرًا، ولا يحبّ أن يُذكر اسمه على المنبر كذلك هو لا يحبّ أن يُذكر الاسم الذي سُمّي به أي "ألمش"؛ لأنّ من سمّاه كان كافرًا، فسأله عن اسم الخليفة العباسي، فأجاب: جعفر، ثمّ سأله إن كان يجوز له أن يتسمّى باسمه، فردّ عليه بالإيجاب، ثم صار اسمه جعفرًا، واسم أبيه عبد الله، وأعلم الخطيب بذلك، ومُذ ذاك خُطب له بهذه الصيغة: «اللهم وأصلح عبدك جعفر بن عبد الله، أمير بلغار، مولى أمير المؤمنين»[252]، والمفارقة هنا أن صيغة الدعاء القديمة ذكر فيها "الملك يلطوار"، وفي الحوار لم يجوّز الملك ذكر اسمه واسم أبيه الكافر، فكيف يستقيم ذلك؟ أليس يلطوار أباه؟

---

[251]إسناده صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: 16]، رقم الحديث: 3287. ويُنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** (القاهرة: دار الريان للتراث، ج6، د.ط، 1986)، ص565.

[252]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص80.

على أيّ حال، فإنّ هذا الحوار من أعظم الحوارات في الرسالة كلّها، وتظهر قوة شخصية ابن فضلان الدينية، وعدم تهاونه في بيان الحقّ خوفًا من سلطة الملك، وهو غريب عن بلده، ومثل هذا نادر في البشر، وعليه يجب أن يكون المحاور قوي الشخصية، ولا يخشى في قول الحق الذي يدين الله به أحدًا مهما بلغ من جاه ومكانة، وهذا ما كان عليه الأنبياء والمرسلون الذين أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر دون أن يهابوا غير الله سبحانه وتعالى، ثم يُلحظ أنّ ابن فضلان بنى موقفه على حديث نبوي استدلّ به، ولم يحتج على الملك رياءً وجدلًا عقيمًا، ولذا على المحاور المسلم أن يعتني بالنصوص الشرعية قرآنًا وسنةً، ويجعلها في مقدّمة استدلالاته خاصّة عندما يرى أخاه المسلم قد غفل عن القرآن الكريم والسنة المطهّرة، فيُعلّمه ممّا يعلم.

الفرع الثاني: حوار عن تثنية الإقامة بعد الأذان والأمانة في إيصال المال

سرد ابن فضلان حوارًا طويلًا بينه وبين ملك الصقالبة، ومدخله حوار ديني إلّا أنّ خلفيته سياسية، فعندما كان مؤذّن الملك يُثني الإقامة، استنكر ابن فضلان عليه ذلك، وبيّن له أنّ الخليفة العباسي في بغداد يُفرد الإقامة، فأمر الملك المؤذّن باتّباع ما يقوله ابن فضلان، فأقام المؤذّن على ذلك مدّةً، ثم ظلّ الملك يُكثر على ابن فضلان السؤال عن المال الذي أوصى به الخليفة، فلمّا يئس طلب من مؤذّنه أن يُثني الإقامة ثانيةً، وأراد بذلك أن يُناظر ابن فضلان الذي سمع المؤذن يُثنّي الإقامة، فنهاه، وصاح عليه مرةً أخرى، فعلم الملك بذلك، وأحضر ابن فضلان وأصحابه، وعندما اجتمعوا، طلب من الترجمان أن يسأل ابن فضلان عن رأيه في مؤذنين أفرد أحدهم والآخر ثنّى، ثم صلّى كلاهما بقومٍ هل تجوز صلاتهم؟ فأجاب ابن فضلان أنّها جائزة، فسأله: باختلاف أم إجماع؟ فأجاب بالإجماع، ثم سأله عن رأيه في رجل دفع إلى قومٍ مالًا لأناس ضعفاء محاصرين ومستعبدين، فخانوه؟ فردّ بأنّ هذا لا يجوز، وهؤلاء قوم سوء، فسأله: باختلاف أم إجماع؟ فردّ

بإجماع، ثمّ سأله لو بعث إليه الخليفة أو أمير خراسان جيشًا أيقدر عليه؟ فأجاب بالنفي، ثم قال له: «أليس لبعد المسافة وكثرة من بيننا من قبائل الكفّار؟»، فأجاب ابن فضلان: بلى. ثم قال الملك: «فوالله إنّي لبمكاني البعيد الذي تراني فيه، وإنّي لخائف من مولاي أمير المؤمنين، وذلك أنّي أخاف أن يبلغه عني شيء يكرهه، فيدعو عليّ، فأهلك بمكاني، وهو في مملكته وبيني وبينه البلدان الشاسعة، وأنتم تأكلون خبزه، وتلبسون ثيابه، وترونه في كلّ وقت؛ خنتموه في مقدار رسالة بعثكم بها إليّ، إلى قوم ضُعفى، وخنتم المسلمين، لا أقبل منكم أمر ديني حتّى يجيئني من ينصح لي فيما يقول، فإذا جاءني إنسان بهذه الصورة قبلت منه»[253]، وقد اعترف ابن فضلان بفشله في الرد عليه، فقد ألجمه، ولم يحر جوابًا، وانصرف، ولكن لاحقًا بدأ الملك يُقرّبه، ويباعد أصحابه، وهذه فضيلة يجب أن يتحلّى بها المحاور بأن يعترف لخصمه عندما يقيم عليه الحجّة دون مكابرة، فمتى ما كانت الحجّة غالبة – وإن ظهرت على يد الخصم –؛ فإن اتّباعها أولى من التمادي في الخطأ، وقد كان ملك الصقالبة قوي الحجّة، وسديد الرأي، وعظيم الكلام حتّى اعترف ابن فضلان له بذلك.

الفرع الثالث: حوار عن مؤمني الجن وكفارهم

ذكر ابن فضلان ما رآه من العجائب الكثيرة في بلاد الصقالبة، ومن ذلك احمرار السماء قبل مغيب الشمس بساعة قياسية، وصدور أصوات شديدة، وهمهمات عالية مع ظهور غيم أحمر كالنار، وفيه أمثال الناس والدواب، وأشباح في أيديهم رماح وسيوف، وقطعة أخرى من الغيم فيها رجال، ودواب، وسلاح، وأقبلت تحمل كحمل الكتيبة على الكتيبة، تختلطان ساعةً، ثُمّ تفترقان حتّى غابتا، ففزع ابن فضلان، وتضرّع إلى الله بالدعاء، والصقالبة يضحكون، فسأل الملك عن ذلك،

---

[253]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص82.

فأجابه بما سمعه من أجداده بأنّ هؤلاء من مؤمني الجن وكفّارهم، وهم يقتتلون في كلّ عشية، وإنّهم ما عدموا هذا مذ كانوا في كلّ ليلة[254]، وهذا القول يُظهر إشكالًا في مُعتقد أسلاف ملك الصقالبة قبل أن يُسلم، فمن المعلوم أنّه أول من أسلم كما أظهر ابن فضلان، وقد كان أهل تلك الناحية على الوثنية التي استمرّت بقاياها حتّى زمن زيارة ابن فضلان ورفاقه، فكيف اعتقدوا بمؤمني الجن وكفارهم؟ لم يقدّم ابن فضلان تفاصيل ذلك، وإنّما كان دوره في هذا الحوار إظهار إعجابه بما شاهده، ثم نقل كلام الملك، والمحاور أحيانًا يحتاج أن ينقل من كلام الآخر، ويثبت نسبة الكلام إليه، وقد لا يُقدّم شرحًا لقلّة علمه بالمسألة، والسكوت أفضل من تقديم معلومة لا دليل عليها، وهذا من حسن تصرّف ابن فضلان، فسكت، ولم يفتِ بما لا يعرف.

الفرع الرابع: حوار مع مؤذّن عن طريقتهم في الصلاة

بينما كان يتحدّث ابن فضلان في قبّته مع خيّاط بغدادي يعمل عند ملك الصقالبة، وهما ينتظران أذان العتمة، فإذا بالأذان، فخرج إلى المؤذّن، وقد طلع الفجر، فسأله أيّ أذان أذّن، فأجابه: أذان الفجر، ثمّ سأله عن أذان العشاء الآخر، فأجابه بأنّهم يصلّون العشاء مع المغرب، فسأله عن الليل، فقال إنّه قصير إلّا أنّه أخذ يطول، ومنذ شهر لم ينم المؤذن خشية أن تفُوته صلاة الغداة حتّى إنّهم يجعلون القدر على النار وقت المغرب، ثم يصلّون الغداة، وما آن لها النضوج[255].

هنا ابن فضلان يتحاور في مسألة فقهية عظيمة تتعلّق بتلك البلاد البعيدة التي يقصر فيها الليل فصلًا، ثم يطول فصلًا آخر، ولكنّه لم يبد رأيًا فقهيًّا في المسألة، وكأنّ سكوته دليل على صحّة رأي أهل البلد، ولهذا يلزم على المحاور أن يراعي أوضاع البلاد الأخرى، فقد تكون لبعض

---

[254] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص83.

[255] المرجع نفسه، ص83.

البلدان أحكام فقهية خاصّة، فلا يُزعج أهلها برأيه خاصّةً في المسائل التي تحتمل الاجتهاد الشرعي الموافق للكتاب والسنّة، وله أن يسألهم، ويستفيد منهم، فباب السؤال يغني المحاور بمعلومات عظيمة الفائدة، وكبيرة المنفعة.

الفرع الخامس: حوار مع الملك عن نظام المواريث

ذكر ابن فضلان أنّ من عادات الصقالبة إذا ولد لابن الرجل مولود أخذه جدّه دون أبيه، فيكون له حقّ الاحتضان حتّى يصبح رجلًا، وإذا مات الرجل ورثه أخوه دون ولده، فحاور الملك، وعرّفه أن هذا لا يجوز وفقًا لأحكام المواريث الإسلامية التي علّمه إياها حتّى فهمها[256]، وهذا حوار آخر يُبيّن تمكّن ابن فضلان في الحوار، وحرصه على تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى، وإبطال كلّ ما يخالف الشرع الحنيف من عادات بالية ومجحفة لم يشرّعها الله لعباده، ومتى ما وقف المحاور على مثل هذا، فعليه ألّا يتردّد في إظهار الحكم الشرعي لإبطال ما يخالفه.

الفرع السادس: حوار عن قتل رجل من السند تقرّبًا للآلهة

حدّث ترجمان الملك ابن فضلان عن رجل من بلاد السند قدم إلى الصقالبة، فأقام عند ملكهم مدّةً يخدمه، وكان خفيف الفهم، ولما أراد جماعة من التجّار الخروج في تجارتهم طلب السندي من الملك أن يسمح له بمرافقتهم، فنهاه إلّا أنّه أصرّ حتّى سمح له، فخرج معهم في سفينة، فرأوه أنّه كيّس وكثير النشاط، فتحاوروا فيما بينهم، وقالوا إنّه يصلح لخدمة ربهم، فتوجّهوا إليه به، ثمّ جعلوا في عنقه حبلًا، وشدّوه على شجرةٍ، ثم تركوه[257].

---

[256] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص87.

[257] المرجع نفسه، ص88.

الفرع السابع: حوار دعوي لستر العورة ومنع الاختلاط

شاهد ابن فضلان نزول الرجال والنساء إلى النهر مختلطين، فاغتسلوا جميعًا وهم عراة لا يستتر بعضهم من بعض، واجتهد كثيرًا في دعوتهم وحوارهم؛ لكي يلتزموا بالستر، ويمتنعوا عن المخالطة في السباحة، ولكن لم يحقّق حواره أيّ نتيجة[258]، وهم آنذاك قوم حديثو إسلام، ولم ترسخ فيهم تعاليمه جيدًا، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقّف ابن فضلان عن دعوتهم إلى الستر، ولم يعذرهم لحداثة إسلامهم، والإفراط في الإعذار أحيانًا يُضيّع ما أمر الله به، والمحاور يأخذ موقفًا وسطًا بين الإفراط والتفريط، والتيسير والتعسير، ولا يغلّب أحدهم على الآخر.

الفرع الثامن: حوار مع رجل دخل الإسلام

روى ابن فضلان حواره مع رجل أسلم على يديه، وكان يُدعى "طالوت"، ولمّا أسلم سمّاه عبد الله إلّا أنّه طلب من ابن فضلان أن يسمّيه باسمه "محمّد"، ففعل، وأسلم أهل بيته، وتسمّى كلّهم محمّدًا، وعلّمه ابن فضلان سورتي الفاتحة والإخلاص، ففرح بهما أكثر من فرحه لو صار ملك الصقالبة[259]، وبهذا حقّق الحوار غايته في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والدخول في دينه، وليس للمحاور المسلم أن يتنازل عن الدعوة كما يُلحظ في كثير من الحوارات الدينية المعاصرة التي تحاول أن تخفي جانب الدعوة، وكأنّ الدعوة إلى الله جريمة حقّها التكتم عنها، وإبعادها عن الحوارات!

---

[258] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص89.

[259] المرجع نفسه، ص93.

الفرع التاسع: حوار مع الملك عن رجل يُقال إنّه من يأجوج ومأجوج

أجرى ابن فضلان حوارًا مع ملك الصقالبة بعدما حدّثه تكين التركي أنّ في بلد الصقالبة رجلًا عظيم الخلق، فلمّا سأل ابن فضلان الملك عنه أجابه أنّه كان في بلده، ثمّ مات، ولم يكن من أهل البلد أو من الناس حتّى، وخبره أنّ تُجّارًا نزلوا نهر إتل، وقد مدّ وطغى ماؤه، فأتوا هؤلاء التجّار إليه؛ «فقالوا: أيّها الملك، قد قفا على الماء رجلٌ إن كان من أمّة تقرب منّا، فلا مقام لنا في هذه الديار، وليس لنا غير التحويل»، فركب إليه الملك، فشاهده، وكان له اثنا عشر ذراعًا، ورأسه كبير، وأنفه أكثر من شبر، وعيناه عظيمتان، وأصابعه أكثر من شبر، ففزع منه، وراعه أمره، وأقبلوا يكلّمونه، فلم يكلمهم بل ينظر إليهم، فحمله الملك إلى مكانه، وكاتب أهل ويسو، فقالوا له إنّ الرجل من قوم يأجوج ومأجوج، وهم على ثلاثة أشهر منهم، وأشبه ما يكونون بالبهائم، فينكح بعضهم بعضًا، ويخرج الله عزّ وجلّ لهم يوميًّا سمكة، ويجزون منها قدر ما يكفيهم، وإذا أخذوا فوق ذلك القدر اشتكت بطونهم، وربّما ماتوا، وإذا أخذوا منها حاجتهم رجعت إلى البحر، وهم على ذلك كلّ يوم، ويحول بينهم البحر من جانب، ومن جانب آخر تحيط الجبال، والسدّ أيضًا يحول بينهم وبين الباب الذي يخرجون منه، وإذا أراد الله خروجهم إلى العمارات فتح لهم السدّ، ونضب البحر، وانقطع عنهم السمك.

ومن ثمّ سأله ابن فضلان عن الرجل، فأجابه أنّه أقام مدّةً عنده، وإذا نظر إلى صبي مات، وكذا الحامل تطرح حملها، وإن تمكن من إنسان عصره بيديه حتّى يقتله، فلمّا كان هذا شأنه علّقه الملك في شجرة عالية حتّى مات، «إن أردت أن تنظر إلى عظامه ورأسه؛ مضيت معك حتّى تنظر إليها»، فقال ابن فضلان إنه يحبّ ذلك، فركب معه حتّى تقدّم عند شجرة سقطت عظامه ورأسه تحتها، وقال: «فرأيت رأسه مثل القفير الكبير، وإذا أضلاعه أكبر من عراجين النخل، وكذلك

عظام ساقيه وذراعيه فتعجّبت منه»، ثم انصرف[260]، وفي هذا الحوار يشير ابن فضلان إلى أمر عظيم في الحوار، وهو التثبّت من صحّة ما يُقال، وسؤال أهل الشأن، فلمّا حدّثه تكين عن أمر الرجل، لم يكتف ابن فضلان بحديثه بل توجّه إلى الملك، وحاوره بشأنه، ثمّ لم يقف عند حدود كلام الملك حتّى رأى الرجل بعينيه؛ لتتّضح الصورة أكثر، والتثبّت من صحّة المرويات واجب مؤكّد على كلّ محاور، فلا يُسلّم نفسه للقيل والقال.

المطلب الثالث: الحوارات الدينية التي جرت مع الروس:

تعلّق الحوار الديني مع الروس بمراسم حرق موتاهم التي تُشابه حرق الموتى عند الهندوس في بعض الجوانب، وقد شهد ابن فضلان بعينيه هذه المراسم، وناقش أهلها كما يأتي:

الفرع الأول: حوار عن مراسم حرق الجارية مع مولاها

لما تُوفّي رجلٌ جليل عند الروس الذين من رسمهم أن يحرق الميّت ومعه جاريته، وقف ابن فضلان أمام هذه المراسم الدينية، وذكر لحظة جلب الجارية «إلى شيء قد عملوه مثل ملبن الباب، فوضعت رجليها على أكف الرجال، وأشرفت على ذلك الملبن، وتكلّمت بكلام لها؛ فأنزلوها، ثم أصعدوها ثانيةً، ففعلت كفعلها في المرّة الأولى، ثم أنزلوها، وأصعدوها ثالثةً، ففعلت فعلها في المرّتين، ثم دفعوا إليها دجاجةً، فقطعت رأسها، ورمت به، وأخذوا الدجاجة، فألقوها في السفينة»، وقد أثار ذلك ابن فضلان، فسأل الترجمان عنه، فأجاب أنها قالت في أوّل مرّة أصعدوها أنّها رأت والديها، وفي المرّة الثانية رأت قرابتها الموتى قعودًا، وفي الثالثة رأت مولاها قاعدًا في الجنّة، ثمّ وصفت هذه الجنة بأنّها حسنة خضراء، ومعه رجال وغلمان، ودعاها، فطلبتْ أن يُذهب بها إليه، ثم أصعدوها إلى السفينة، وجاء الرجال بقدح من النبيذ، فغنت وشربته، ثمّ قال الترجمان لابن

---

[260] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص94 – 96.

فضلان: «إنها تودّع صواحباتها بذلك»، ثم شربت قدحًا آخر حتّى أطالت في الغناء، فأُدخلت في القبّة مع مولاها؛ لتُحرق[261]، وفي هذا الحوار يوضّح ابن فضلان أن المعايشة وحدها لا تكفي بل لا بدّ من المحاورة، والسؤال عند الجهل، فالمحاور أولًا وأخيرًا لا يعلم كلّ شيء، وعلمه ليس مطلقًا، والمحاور الناجح يعرف كيف يسأل؟ ومتى يسأل؟ ومن يسأل؟ هذا ما اتّبعه ابن فضلان عمليًّا.

الفرع الثاني: حوار مع روسي عن التعامل مع الموتى

بينما يشاهد ابن فضلان مراسم حرق الروس لموتاهم كان إلى جانبه روسيٌّ، فسمعه يكلّم الترجمان، فسأله ابن فضلان عمّا قال، فردّ بأنّه يقول: «أنتم يا معاشر العرب حمقى»، فسأله عن السبب، فأجاب أنّ العرب يدفنون أحبّ الناس إليهم، وأكرمهم تحت التراب، فتأكله الدود والهوام، وهم يحرقونه، وفي لحظة يدخل الجنّة، ثمّ ضحك بشدّة، فسأله عن سبب ذلك، فأجاب من محبّة ربّه أنّه يبعث الريح تأخذه في ساعة، فما تمضي ساعة حتّى يصير المولى وجاريته رمادًا[262].

ويظهر الحوار معرفة الروسي واطّلاعه على مراسم الدفن عند المسلمين، والروس حينها لم يكونوا نصارى بل كانوا وثنيين، ومع ذلك يعتقدون بالجنّة، والحياة الأُخروية، ثمّ يُلحظ تلفّظ الروسي بألفاظ غير لائقة عن العرب إلّا أنّ ابن فضلان نقل كلامه الذي قاله دون أيّ بتر أو قطع مع الإساءة التي فيها، والصدق في إيراد كلام الآخرين كاملًا صفة جليلة تُميّز المحاور الناجح عن غيره، وهذا ما كان عليه ابن فضلان – رحمه الله –.

---

[261] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص108.

[262] المرجع نفسه، ص109.

المبحث الثاني – الحوار السياسي:

برزت الحوارات ذات الطابع السياسي في محطّتين كبيرتين الأولى كانت في طريق الرحلة، والثانية عند الوصول إلى مقصد الرحلة أي بلاد الصقالبة، وقد أوضحت طبيعة علاقة السلطات العبّاسية بتلك البلدان البعيدة عن العاصمة بغداد، وفي هذين المطلبين استعراضٌ لهذه الحوارات:

المطلب الأوّل: الحوارات السياسية في طريق الرحلة:

احتوت محطّات الرحلة طوال طريقها على بعض الحوارات السياسية التي حرص ابن فضلان على تدوينها؛ ليُبيّن الوضع السياسي لتلك البلدان التي زارها، فينقل إلى الخلافة العباسية في بغداد صورةً مباشرةً عن دراية واطّلاع، وفي أغلب هذه الحوارات السياسية لم يكن ابن فضلان طرفًا رئيسًا، وإنّما ينقل بصفته جزءًا من الوفد كما تُبيّن هذه الأفرع:

الفرع الأول: حوار مع الأمير أحمد بن نصر الساماني

في بخارى، التقى الوفد بصاحب خراسان وما وراء النهر نصر بن أحمد الساماني، وكان غلامًا أمرد، فسلّم الوفد عليه بالإمرة، وأمرهم بالجلوس، ثمّ سألهم عن حال الخليفة، فأجابوه بخير، فردّ: «زاده الله خيرًا»، ثمّ قرئ عليه الكتاب الذي فيه أمر بتسليم "أرثخشمثين" من وكيل ابن الفرات الفضل بن موسى النصراني إلى أحمد بن موسى الخوارزمي، فقال: أين أحمد بن موسى؟ قالوا إنهم خلّفوه ببغداد؛ ليأتي خلفهم لخمسة أيام، فأجاب: «سمعًا وطاعةً لما أمر به مولاي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه»[263]، وهذا الحوار على قصره يُبيّن علاقة بغداد ببلاد خراسان وما وراء النهر، وتبعية السامانيين للعباسيين، وطاعتهم لأوامر الخلفاء.

[263] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص46 – 47.

الفرع الثاني: حوار مع الأمير محمد بن عراق خوارزم شاه

لمّا قدم الوفد على خوارزم، دخلوا على أميرها محمد بن عراق خوارزم شاه، فأكرمهم، وقرّبهم، وأنزلهم دارًا، وبعد ذلك بثلاثة أيام أحضرهم، وحاورهم في أمر الدخول إلى بلاد الترك، وقال لهم إنّه لا يأذن لهم في دخولها، ولا يحلّ لهم أن يغرّروا بأنفسهم، واتّهم تكين التركي بأنّه محتال غرّ نذير الحرمي، وحمله على مكاتبة الخليفة العباسي، وإيصال كتاب ملك الصقالبة إليه، وكان أمير خراسان أحقّ أن يُقيم الدعوة للخليفة العبّاسي في بلاد الصقالبة لو وجد محيصًا؛ فبين بغداد وبلاد الصقالبة ألف قبيلة من الكفّار، وعدّ ذلك تمويهًا على السلطان، وقد نصحهم، وذكر لهم بأنّ لا بدّ من مكاتبة أمير خراسان حتّى يُراجع السلطان، وإلى حين ورود الجواب طلب منهم أن يقيموا عنده إلّا أنّ الوفد انصرفوا عنه، ثمّ عادوا إليه مجددًا، وطلبوا منه أن يرفق بهم، وقالوا له إن هذا أمر الخليفة وكتابه، ولا وجه للمراجعة فيه، فأذن لهم طاعةً لأمر الخليفة، فمضوا في مسير الرحلة[264].

وفي هذا الحوار يُلحظ أن الوفد لم يصروا في المرّة الأولى على موقف معيّن بل تركوا الأمير على رأيه، ثم راجعوه مرةً أخرى، وبيّنوا له بأنّ هذا أمر الخليفة، ويجب أن يُنفّذ حتّى سمح لهم بإكمال مسيرهم، ولهذا المحاور الجيّد لا يستعجل في نتائج الحوار منذ أول مرة بل لا بدّ أن يكرّر المحاولة أكثر من مرّة حتّى الوصول إلى النتيجة المرجوّة.

الفرع الثالث: حوار بشأن تحصيل المال لملك الصقالبة

لم يتحصّل الوفد على الأموال التي أمرت بها بغداد للصقالبة، وفي يوم المسير ناحية بلاد الصقالبة حاور ابن فضلان الوفد، وقال لهم: «يا قوم معكم غلام الملك، وقد وقف على أمركم

---

[264] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص48 – 49.

كلّه، ومعكم كتب السلطان، ولا أشكّ أنّ فيها ذكر توجيه أربعة آلاف دينار المسيبية له، وتصيرون إلى ملك أعجمي، فيطالبكم بذلك»، فردّوا عليه بألّا يخشى من ذلك؛ لأنّه غير مطالب لهم، فحذّرهم ابن فضلان، وأخبرهم أنّه يعلم بأنّه سيطالب بالمال، ولكن لم يقبل الوفد كلامه[265]، وهذا حوار يدلّ على حرص ابن فضلان في إيصال الأمانة، وصدقه إلّا أنّ الوفد المرافق له هوّنوا من الأمر، وغلّبوا رأيهم على رأي ابن فضلان.

الفرع الرابع: حوار يبيّن سلطة خليفة ملك الترك القضائية

نقل ابن فضلان حوارًا يُبيّن سلطة كوذركين (خليفة ملك الترك) القضائية، وطريقته في القضاء بين المتخاصمين، فقد جاء خوارزمي إلى ناحيته ليبيع الأغنام، ورأى تركيًّا أمرد، فراوده حتى طاوعه، وفعل به، وجاء أبوه، فوجدهما في ذلك الوضع، فرفع الأمر إلى كوذركين، فأمر بجمع الترك، فاجتمعوا، ثم قال لأبي الأمرد: «بالحقّ تحب أن أحكم أم بالباطل؟ قال: بالحق»، ثمّ طلب منه أن يحضر ابنه، فحضر، فحكم بقتل الابن والتاجر الخوارزمي، فامتعض الأب من الحكم، ورفض أن يُسلّم ابنه للقتل، وقال على التاجر أن يفدي نفسه، فصار ذلك، فدفع للتركي غنمًا، ولكوذركين أربعمائة شاة، وارتحل عن بلاد الترك[266].

الفرع الخامس: حوار مع ينال الصغير عندما قطع الطريق على الوفد

لما أراد الوفد الرحيل عن بلاد الترك لقيهم ينال الصغير (أحد ملوك الترك ورؤسائهم)، وقال عنه ابن فضلان إنه أسلم، ثم ارتدّ طاعةً لقومه الذين قالوا له إنّه لن يرأسهم ما دامه مسلمًا، وعند وصول الوفد إلى الموضع الذي كان فيه، قال لهم إنّه لن يسمح لهم بالعبور، فتحاوروا معه

---

[265] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص60.

[266] المرجع نفسه، ص65.

وطلبوا منه الرفق حتّى رضي أن يدعهم مقابل خفتان جرجاني (الدرع من اللبد) يساوي عشرة دراهم، وشقة باي باف (لباس للمرأة)، وأقراص خبز، وكف زبيب، ومئة جوزة، ثم قال: «لولا أن بيوتي نائية عن الطريق لحملت إليكم غنمًا وبرًّا»، وانصرف عنهم، فرحل الوفد[267].

الفرع السادس: حوار مع قاطع طريق تركي

كان الطريق إلى الصقالبة المارّ ببلاد الترك مملوء بقطّاع الطرق، ويبدو أنّهم خارجون عن سلطة ملوكهم السياسية، ولا يحترمونهم، فقد ذكر ابن فضلان أنّهم لقوا رجلًا تركيًّا دميم الخلقة، رثّ الثياب، قميء المنظر، خسيس المخبر، والأجواء كانت ممطرة بشدّة، فأوقف القافلة، فوقفت بأسرها (وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل) طاعةً لأمره، ثم قال إنّه لن يسمح بمرور أحد منهم، فقالوا له إنّهم أصدقاء كوذركين، فضحك، وقال: «من كوذركين أنا أخرى على لحية كوذركين»، ثم طلب منهم "بكند" أي الخبز بالخوارزمية، فأعطوه أقراصًا من الخبز، وقال لهم: «مرّوا قد رحمتكم»[268].

الفرع السابع: حوار أترك بن القطغان مع قوّاده حول التعامل مع الوفد

في بعض الأيام، تشاور الزعيم التركي أترك بن القطغان مع قوّاده، وهم: طرخان (وهو أنبلهم، وكان أعرج، وأعمى، وأشل)، وينال، وابن أخيهما، وإيلغز، وقال لهم عن أمر الوفد، وذكر أنّهم رسل ملك العرب أي الخليفة العباسي إلى صهره ملك الصقالبة ألمش بن شلكي، ولن يطلقهم إلّا بعد مشورتهم، فقال طرخان: «هذا شيء ما رأيناه قطّ، ولا سمعنا به، ولا اجتاز بنا رسول سلطان مذ كنّا نحن وآباؤنا، وما أظن إلّا أنّ السّلطان قد أعمل الحيلة، ووجّه هؤلاء إلى الخزر؛ ليستجيش

---

[267] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص65 – 66.

[268] المرجع نفسه، ص66.

بهم علينا»، واقترح أن يقطع أعضاء الوفد نصفين، ويُؤخذ ما معهم، واقترح آخرون أن يؤخذ ما معهم، ويتركون عراةً؛ ليعودوا من حيث أتوا، ولم يستحسن غيرهم هذا الرأي؛ فقدّموا رأيًا آخر بأن يفادى بهم أسراهم عند ملك الخزر، وظلّوا يتحاورون فيما بينهم مدّة أسبوع، والوفد في حالة الموت حتّى اجتمع رأيهم أن يخلوا سبيل الوفد الذي قابل ذلك بتوزيع هدايا على طرخان «خفتانًا مرويًا، وشقتين باي باف، وعلى أصحابه كلّ واحد قرطقًا، وكذلك على ينال، ودفعنا إليهم فلفلًا، وجاورس، وأقراصًا من خبز»، ومن ثمّ انصرف الوفد[269].

المطلب الثاني: الحوارات السياسية في مقصد الرحلة (بلاد الصقالبة):

دارت الحوارات السياسية في بلاد الصقالبة حول طريقة التعامل عند قراءة كتاب الخليفة، ومساءلة ملك الصقالبة لابن فضلان بشأن الأموال التي أمر بها الخليفة العباسي، ثم سؤال ابن فضلان لملك الصقالبة عن سبب دخوله في طاعة الخلافة العباسية:

الفرع الأوّل: حوار عن طريقة التعامل عند قراءة كتاب الخليفة ووزيره

لمّا وصل الوفد إلى بلاد الصقالبة، وأقام بالقباب التي ضُربت لهم ثلاثة أيام حتّى جاء يوم الخميس، فاجتمع أهل البلد؛ ليستمعوا إلى كتاب الخليفة، ووزيره حامد بن العباس، ونذير الحرمي، وقد نُشرت الرايات المطارد التي كانت مع الوفد، وأُسرجت الدابة بالسرج الموجّه إلى الملك، وألبسوه السواد الذي يعدّ شعار العبّاسيين، ثم عمّموه، ومن ثمّ أخرج ابن فضلان كتاب الخليفة العباسي، وقبل قراءته قال للملك بأن ليس من الجائز أن يجلس والكتاب يُقرأ، فقام ومن حضر من أهل مملكته، فقرأ ابن فضلان صدر الكتاب، فلمّا بلغ: «سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو» طلب من الملك أن يردّ على أمير المؤمنين السّلام، فردّ وردّوا معه جميعًا،

---

[269] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص69 – 70.

ثم واصل القراءة، والمترجم يترجم لهم، وبعد انتهائه كبّر الناس تكبيرةً قويةً، ثمّ قرأ ابن فضلان كتاب الوزير حامد بن العبّاس، وكان الملك قائمًا، ثمّ لما جاء لكتاب نذير الحرمي أمره بالجلوس، وهذا يظهر المراسم الدبلوماسية عند قراءة الكتب في الخلافة العباسية، فعند قراءة كتاب الخليفة ووزيره يقف الناس، ولغيرهما يجلسون، وبعد ذلك كلّه، نُثرت الدراهم الكثيرة، وأُخرجت الهدايا من طيب، وثياب، ولؤلؤ قدّمتها الخلافة العباسية للملك وامرأته، وقد عُرضت عليهم شيئًا، فشيئًا حتّى فُرغ منها، ثمّ خلع ابن فضلان على امرأة الملك بحضرة الناس، وكانت جالسةً إلى جانبه، فنثرت النساء عليها الدراهم، ومن ثمّ غادر الوفد[270].

الفرع الثاني: حوار مع الملك عن الأموال التي أُمر له بها

بعد ثلاثة أيام من قراءة الكتب وإيصال الهدايا، بلغ ملك الصقالبة أمر الأربعة آلاف دينار، وحيلة النصراني في تأخيرها، وكان خبرها في الكتاب الذي قرئ عليه، فبعث إلى ابن فضلان؛ ليحاوره في أمر هذا المال، فدخل عليه، وأمره بالجلوس، ولمّا جلس رمى إليه كتاب الخليفة العباسي، فسأله من جاء به؟ فقال ابن فضلان: أنا، ثم كرّر ذلك مع كتاب الوزير حامد بن العباس، فأجاب ابن فضلان مجدّدًا: أنا، ثم سأله عن المال المذكور فيهما ما فُعل به؟ فردّ ابن فضلان تعذّر جمعه لضيق الوقت، وخشيت فوت الدخول، فتُرك؛ ليُلحق بهم، فقال الملك: «إنّما جئتم بأجمعكم، وأنفق عليكم مولاي ما أنفق لحمل هذا المال إليّ حتّى أبني به حصنًا يمنعني من اليهود الذين قد استعبدوني، فأمّا الهدية، فغلامي قد كان يحسن أن يجيء بها»، فردّ عليه ابن فضلان أنّهم اجتهدوا في ذلك، فطلب الملك من التّرجمان أن يقول له بأنه لا يعرف هؤلاء، وإنما يعرف ابن فضلان، وهؤلاء قوم عجم، ولو علم الأستاذ أي الخليفة العباسي لما بعث به، ثم قال إنه لا يطالب

---

[270] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص75 – 76.

بدرهم إلّا من ابن فضلان، وطلب منه أن يخرج المال أصلح له، ثم خرج من عنده ابن فضلان مغمومًا، وذهب إلى أصحابه، وأخبرهم بما حدث بينهما، وقال لهم: «من هذا حذّرت»[271].

الفرع الثالث: حوار مع الملك عن سبب دخوله في طاعة الخليفة

يبدو أنّ مملكة الصقالبة كانت غنيةً، فقد سأل ابن فضلان ملكها يومًا بأنّ مملكته واسعة، وأمواله وافرة، وخراجه كثير، فلمَ سأل الخليفة العباسي؛ ليبني له حصنًا بماله؟ فأجاب: «رأيتُ دولة الإسلام مقبلةً، وأموالهم يُؤخذ من حلّها؛ فالتمستُ ذلك لهذه العلّة، ولو أنّي أردتُ أن أبني حصنًا من أموالي من فضّة أو ذهب؛ لما تعذّر ذلك عليّ، وإنّما تبرّكت بمال أمير المؤمنين، فسألته ذلك»[272].

---

[271]أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص80 – 81.

[272]المرجع نفسه، ص99.

المبحث الثالث – الحوار الثقافي:

اهتمّ ابن فضلان بالحوارات التي تدور حول ثقافات الشعوب، وتعاملها مع غيرها، وإن كانت هذه الثقافات تختلف عن ثقافته الإسلاميّة، وقد تمثّلت نماذجها الحوارية في بلاد الترك والصقالبة، وكما يأتي:

المطلب الأول: حوارات ثقافية في بلاد الترك:

خصّت هذه الحوارات ثقافة الترك في كشف عورات نسائهم، وتعاملهم مع ضيوفهم، وكذا تعامل الشيخ الكبير منهم مع الميت، وفي الأفرع الآتية إيضاح ذلك:

الفرع الأول: حوار مع رجل كشفت امرأته عورتها علنًا

نزل ابن فضلان يومًا على رجل من قبيلة الغزية التركية، وبينما هم جالسون كشفت امرأة الرجل عن فرجها، فحكّته، فقال ابن فضلان، ومن معه: أستغفر الله، فضحك الرجل، وقال للترجمان أن يقول لهم إنها تكشفه بحضورهم، فيرونه وتصونه دون أن يصلوا إليه خيرٌ من تغطيته، وتمكّن منه[273].

الفرع الثاني: حوار التركي مع ضيفه عندما ينزل إليه

عرض ابن فضلان لحوار يجسّد تعامل التركي مع ضيوفه، فإذا «أراد الرجل منهم الرحيل، وقد قام عليه شيء من جماله ودوابه، أو أحتاج إلى مال ترك، ما قد قام عند صديقه التركي، وأخذ من جماله، ودوابه، وماله حاجته ورحل، فإذا عاد من الوجه الذي يقصده، قضاه ماله، وردّ إليه جماله ودوابه»، فلو اجتاز إنسان بتركي لا يعرفه، وقال له إنه ضيفه، ويريد جماله، ودوابه، ودراهم،

---

[273]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص62.

دفع له ما أراد، فإن مات، وكان تاجرًا، وعادت قافلته لقيهم التركي، وسألهم عن ضيفه، فإن قالوا له مات حطّ القافلة، واتّجه إلى أجلّ تاجر يراه منهم، فيحلّ متاعه – وهو ينظر –، ويأخذ من دراهمه بعدد الدراهم التي أخذها منه التاجر الميت دون أيّ زيادة، وكذا من دوابه وجماله، ثمّ يقول له: «ذلك ابن عمّك، وأنت أحقّ من غرم عنه»، وإن كان مسلمًا قال له ذاك مسلم، وأنت مثله، فخُذ منه، وإن لم ير المسلم سأل عن بلاده، فذهب إليها؛ ليأخذ ماله، وما يهديه له، وإذا دخل التركي الجرجانية بحثًا عن ضيفه ينزل عنده حتى رحيله، وإن مات عند صديقه المسلم، واجتازت القافلة، وفيها صديقه قتلوه زاعمين أنّه قتله بحبسه إياه، فلو لم يحبسه لما مات، وأيضًا إن سقاه من النبيذ، فاضطربت حالته، قتلوه به، وإن لم يكن في القافلة قتلوا أجلّ من فيها[274].

الفرع الثالث: حوار شيخ من كبار الترك مع ميت في المنام

عندما يموت رجلٌ من الترك تُؤخذ دوابه، فتُصلب، ثم يقولون إنّه سيركبها إلى الجنّة، وقد يتغافلون عن ذلك ليوم أو يومين، فيأتي شيخ من كبارهم، ويحاورهم قائلًا إنّه رأى الميت في المنام، وقال له: «هو ذا تراني، وقد سبقني أصحابي، وشقّقت رجلاي من اتّباعي لهم، ولستُ ألحقهم، وقد بقيت وحدي»، وبعد ذلك يصلبون دوابه عند قبره، ثمّ بعد يوم أو يومين، يأتي الشيخ نفسه، فيقول إنّه رأى الميت، وقال له: «عرّف أهلي وأصحابي أنّي قد لحقت من تقدّمني، واسترحت من التعب»[275].

---

[274] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص64 – 65.

[275] المرجع السابق، ص67.

المطلب الثاني: حوارات ثقافية في بلاد الصقالبة:

اتّسمت الحوارات الثقافية في بلاد الصقالبة بالقصر، وكانت تناقش ظواهر غريبة عن ابن فضلان الذي لم يشاهدها من قبل في بلاده بغداد، فأثارته، وأراد التعرّف عليها أكثر:

الفرع الأول: حوار مع الملك عن ظاهرة فلكية

رأى ابن فضلان أنّ القمر لا يتوسّط السماء بل يطلع ساعةً، ثمّ يعقبه الفجر، فيغيب، فحاور ملك الصقالبة في ذلك، وأضاف إلى معلوماته أن وراء بلاده بمسيرة ثلاثة أشهر قوم يُقال لهم "ويسو" الليل عندهم أقل من ساعة[276]، وهذه الظاهرة أشار إليها عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (1927 – 2004م) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[277]، فقد ذكر: «وقد يدلّ إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل على ما يحدث من قصر الليل، وطول النهار أحيانًا، وما يحدث من قصر النهار، وطول الليل أحيانًا، فكان الذي قصر منهما يلج في الذي طال منهما»[278].

الفرع الثاني: حوار مع الملك عن الحيّات

لمّا شاهد ابن فضلان حيّات كثيرةً ملتفةً حول الشجرة حتّى إنّ غصنها تلتف عليه عشرة منها، والصقالبة لا يقتلونها، ولا تُؤذيهم، وفي بعض المواضع شجرة طولها يتجاوز أكثر من مئة ذراع، وقد تسقط وبدنها عظيم جدًّا، فنظر ابن فضلان إليها، وإذا هي تتحرّك، فخاف، ولمّا تأمّل

---

[276]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص84.

[277]فاطر: 13.

[278]عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر** (دمشق: دار القلم، مج2، ط1، 2000)، ص337.

رأى حيةً قريبةً من الشجرة غلظًا وطولًا، ثم غابت بين الشجر، فذهب ابن فضلان إلى الملك مذعورًا خائفًا، فأخبره عنها، ولكنّه ومن معه في المجلس لم يكترثوا بالأمر، وقال له الملك: «لا تجزع فليس تؤذيك»[279].

[279]المرجع السابق، ص85.

الفصل الثالث

التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته

المبحث الأول – تفاعل المسلمين مع ابن فضلان ورحلته:

المطلب الأول: التفاعل الإسلامي قبل تحقيق سامي الدهان

المطلب الثاني: التفاعل الإسلامي بعد تحقيق سامي الدهان

المبحث الثاني – تفاعل غير المسلمين مع ابن فضلان ورحلته:

المطلب الأول: التفاعل الإيجابي قبل ظهور رواية "أكلة الموتى" لمايكل كرايتون

المطلب الثاني: التفاعل السلبي بعد ظهور رواية "أكلة الموتى" لمايكل كرايتون

المبحث الثالث – مجالات التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته:

المطلب الأول: المجال السياسي والثقافي

المطلب الثاني: مجال الأدب والفن

الفصل الثالث

التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته

لم تمرّ رحلة ابن فضلان دون تفاعل حضاري معها على الرغم من مضي قرون طويلة عليها، ولو قيل إنّها من أكثر الرحلات المُثيرة التي عرفها البشر، وقد حظيت بتفاعل منقطع النظير؛ لكان حقًّا لا مبالغة فيه، فما زالت آثارها باقية إلى اليوم، فهي تُعدّ نادرة الرحلات التي لن تكرّر، وعلى هذا يَلزم تتبّع أوجه التفاعل الحضاري معها في هذه المباحث القادمة:

المبحث الأول – تفاعل المسلمين مع ابن فضلان ورحلته:

برز تفاعل المسلمين مع ابن فضلان ورحلته في مرحلتين مهمّتين، الأولى: قبل تحقيق سامي الدهان لرسالة ابن فضلان، والمرحلة الأخيرة بعد تحقيق الرسالة، وفي المطلبين الآتيين شرح لهما:

المطلب الأول: التفاعل الإسلامي قبل تحقيق سامي الدهان:

اتّسمت هذه المرحلة برجوع ثُلّة قليلة من العلماء المسلمين إلى الرسالة الفضلانية، والاستفادة منها أو الإشارة إليها، وقد بدأت من القرن السابع إلى التاسع الهجري مع ياقوت الحموي، ثم القزويني، ثم ابن الوردي، ومن ثمّ انقطع هذا التفاعل حتّى القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين:

الفرع الأول: التفاعل الإسلامي من القرن السابع إلى التاسع الهجري:

كانت رحلة ابن فضلان في بداية القرن الرابع الهجري إلّا أنّ لم يُشر إليها صراحةً في المصادر التاريخية والجغرافية التي كُتبت في ذلك القرن بل حتّى في القرنين الخامس والسادس

الهجريين، ومع ذلك يذكر سامي الدهان أنّ الإصطخري، وابن رسته، والمسعودي قرأوا رسالة ابن فضلان، واستفادوا منها، ولكنّهم لم يذكروا اسمه[280]، وهذا أمر عجيب! كيف بعَلَم عظيم مثل ابن فضلان يُهمل ذكره أكثر من قرنين على رحلته، ولا يُشار إلى رسالته بتاتًا خاصّةً أنّه عاش في عصر زاخر بالعلماء، وغني بالإنتاج الثقافي؟ أجاب المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي (1877 – 1966م) بأنّ فكرة الانتحال للمعلومة في ذلك الوقت لم تكن مذمومةً ومستقبحةً كما في هذا الزمان؛ إذ كثير من المؤلّفين يُعيدون إنتاج مؤلّفات سابقيهم، وأضاف أنّه يغلب الظن بأنّ الجيهاني الذي التقى به ابن فضلان في بخارى استغلّ المعلومات التي جمعها في رحلته[281]، ويُخفّف زكي محمد حسن من وتيرة هذا التعجّب، فقد زار بلاد الصقالبة البلغار بعد ابن فضلان رحّالة مسلمون كأبي حامد الأندلسي الغرناطي صاحب "الألباب ونخبة الأعجاب" في 530هـ/1135م، وصحب قاضيها يعقوب بن النعمان، وذكر أنّ هذا القاضي ألّف كتابًا في تاريخ البلغار، ولا يُعرف عنه شيء، ولم يكتب الأندلسي عن رحلته سوى إشارات نزيرة نشرها المستشرق درون[282]، فلم تشتهر رحلته، ولم يُهتم بها كثيرًا، وأما رحلة ابن فضلان، فإن لم تترك أثرًا مباشرًا في القرون التالية عليها، فأثرها البعيد كان أقوى، فالله أراد أن يُخلّد ذكره في الأرض على المدى البعيد لا القريب كما سيتّضح فيما يأتي:

---

[280] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص41.

[281] يُنظر: م. ف. مينورسكي، "الجغرافيون والرحالة المسلمون". (ترجمة: عبد الرحمن حميدة، **دورية جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية**، ع73، 1985)، ص9.

[282] يُنظر: زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013)، ص26.

أولًا – فضل ياقوت الحموي في إبراز رسالة ابن فضلان

كانت رسالة ابن فضلان في طي النسيان التامّ حتّى أُبرزت في القرن السابع الهجري بمساهمة ياقوت الحموي في حفظ شذرات منها، وتسجيلها في معجمه الشهير "معجم البلدان"، فقد كانت نقولاته منها المصدر الرئيس والفريد لما كُتب عن ابن فضلان قبل ظهور مخطوطة مشهد (1924م)، وقد نقل ياقوت الحموي أجزاء كبيرة من الرسالة التي اعتمد عليها، فأثبت اسم صاحبها، ورسمه، وصحّة نسبة الرسالة إليه، وكانت نقولاته في قرابة عشر صفحات عند ستة مواضع، وهي:

1. بلغار: «وقرأتُ رسالة عملها أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد، مولى محمد بن سليمان، رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد إلى أن عاد إليها ...»[283].
2. الروس: «وقرأتُ في رسالة أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد، مولى محمد بن سليمان، رسول المقتدر إلى ملك الصقالبة، حكى فيها ما عاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها، فحكيت ما ذكره على وجهه استعجابًا به ... هذا ما نقلته من رسالة ابن فضلان حرفًا حرفًا، وعليه عهدة ما حكاه، والله أعلم بصحّته، وأمّا الآن، فالمشهور من دينهم دين النصرانية»[284].
3. خوارزم: «وقرأتُ في الرسالة التي كتبها أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد، مولى محمد بن سليمان، رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة، ذكر فيها ما شاهده منذ خرج من بغداد إلى أنّ عاد إليها، فقال بعد وصوله إلى بخارى، قال: وانفصلنا من بخارى

---

[283] ياقوت الحموي، **مرجع سابق**، ج1/ص486 – 488.

[284] المرجع نفسه، ج3/ص79 – 83.

إلى خوارزم، وانحدرنا من خوارزم إلى الجرجانية، وبينها وبين خوارزم في الماء خمسون فرسخًا»[285].

4. نهر إتل: «قرأتُ في كتاب أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد ابن حمّاد، رسول المقتدر إلى بلاد الصقالبة، وهم أهل بلغار: بلغني أنّ فيها رجلًا عظيم الخلق جدًّا، فلمّا سرت إلى الملك سألته عنه ... وقصّة ابن فضلان، وإنفاذ المقتدر له إلى بلغار مدونةٌ معروفةٌ مشهورةٌ بأيدي الناس، رأيت منها عدّة نسخ»[286].
5. باشغرد: «وكان المقتدر بالله، قد أرسل أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد ابن حمّاد، مولى أمير المؤمنين، ثمّ مولى محمّد بن سليمان إلى ملك الصقالبة، وكان قد أسلم وأهل بلاده؛ ليفيض عليهم الخلع، ويعلّمهم الشرائع الإسلامية، فحكى جميع ما شاهد منذ خرج من بغداد إلى أن عاد، وكان انفصاله في صفر سنة 309»[287].
6. الخزر: «وقال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة له، ذكر فيها ما شاهده بتلك البلاد، فقال: الخزر اسم إقليم من قصبة تُسمّى إتل، وإتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار، وإتل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم مدينة، والإتل قطعتان: قطعة على غربي هذا النهر المُسمّى إتل، وهي أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن الغربي منهما، ويُسمّى الملك بلسانهم ويلك، ويُسمّى أيضًا باك، وهذه القطعة

---

[285] ياقوت الحموي، **مرجع سابق**، ج2/ص397. ملحوظة: في هذا الموضع، كذّب الحموي ما دوّنه ابن فضلان عن مشاهداته؛ لتجمّد نهر جيحون، وشدة برودة الأجواء في خوارزم.

[286] المرجع نفسه، ج1/ص87 –88.

[287] المرجع نفسه، ج1/ص332.

الغربية مقدارها في الطول نحو فرسخ، ويُحيط بها سور إلّا أنّه مفترش البناء، وأبنيتهم خركاهات[288] ...»[289].

إضافة إلى ذلك، أورد الحموي عند تطرّقه إلى اللاذقية هذا القول: «قال ابن فضلان: واللاذقية مدينةٌ قديمةٌ سُمّيت باسم بانيها»[290]، وهذا النقل ليس موجودًا في نصّ الرسالة، فإمّا أن يكون ابن فضلان المذكور شخصًا آخر، فوقع التوافق بين الاسمين، وإمّا أن يكون نفسه، ونقل الحموي من تصنيف آخر له مجهول، والمصادر التاريخية لا تُساعد في رفع هذا الالتباس خاصّةً أنّ رحلة ابن فضلان لم تمرّ بالشام أصلًا، فما الحاجة لذكر اللاذقية؟

ثانيًا – استناد القزويني وابن الوردي إلى ابن فضلان

قدّم شاكر لعيبي إضافةً جديدةً عند تحقيقه لرسالة ابن فضلان[291]؛ إذ ذكر أنّ زكريا بن محمد القزويني (605 – 682هـ) رجع إلى رسالة ابن فضلان، واعتمد عليها في ثلاثة مواضع من كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد"، وهي:

1. عند حديثه عن تجمّد جيحون: «قال ابن فضلان في رسالته: رأيتُ جيحون، وقد جُمّد سبعة عشر شبرًا. والله أعلم بصحّته»[292].

---

[288]جمع كلمة "خركاه" الفارسية التي تعني الخيمة، وهي بيت تصنع من الخشب، وتغشى بالجوخ، وتحمل في السفر. يُنظر: جمال الدين ابن تغري بردي، **مرجع سابق**، ص369.

[289]ياقوت الحموي، **مرجع سابق**، ج2/ص367.

[290]المرجع نفسه، ج5/ص6.

[291]يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص 15.

[292]زكريا القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد** (بيروت: دار صادر، ط1، 1960)، ص526.

2. ما ذكره عن الباشغرد: «حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة لمَّا أسلم، فقال: عند ذكر باشغرت وقعنا في ...»[293].

3. ما شاهده عند الصقالبة: «حكى أحمد بن فضلان لمّا أرسله المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة، وقد أسلم، حُمل إليه الخلع، وذكر من الصقالبة عادات عجيبة، منها ما قال: دخلنا عليه...»[294].

ولكن فات شاكر لعيبي أنّ نقولات القزويني من ابن فضلان أكثر من ذلك، فيُوجد موضع آخر من الكتاب نفسه، نقل فيه القزويني من ابن فضلان حديثه لمّا رأى الروس، فقال: «قال أحمد بن فضلان في رسالته: رأيتُ الروسية، وقد وافوا بتجاراتهم على نهر إتل، فلم أر أتمّ بدنًا منهم كأنّهم النخل، شقر بيض، لهم شريعة ولغة مخالفة لسائر الترك ...»[295]، واستشهد به أيضًا في كتابه الآخر "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"؛ إذ نقل منه الآتي عن نهر إتل: «وفي هذا النهر، حيواناتٌ عجيبةٌ؛ ذكر أحمد بن فضلان عن رسول المقتدر بالله إلى بلغار، قال: لمّا وصلت إلى بلغار، سمعتُ أنّ عندهم رجلًا عظيم الخلقة، فسألتُ الملك عنه، فقال: نعم، ما كان من أهل بلادنا، ومن خبره أنّ قومًا خرجوا إلى نهر إتل، وكان قد مدّ وطغى، فقالوا: أيّها الملك، قد وقف على الماء رجلٌ إن كان من أمّة تقرب منّا، فلا مقام لنا، فركبتُ معهم حتّى صرتُ إلى النهر، وإذا رجل طوله اثنا عشر ذراعًا، ورأسه كأكبر ما يكون من القدر، وأنفه أطول من شبر، وعيناه عظيمتان، وكل إصبع منه شبر؛ فأقبلنا نكلّمه، وهو لا يزيد على النظر إلينا، فحملته إلى مكان، وكتبتُ إلى أهل ويسو، وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر، فعرّفوني أنّ هذا الرجل من يأجوج ومأجوج، قالوا:

---

[293]زكريا بن محمد القزويني، **مرجع سابق**، ص609.

[294]المرجع نفسه، ص615.

[295]المرجع نفسه، ص586.

يحول بيننا وبينهم البحر، قالوا: فأقام عندنا مدة، ثمّ أصابه في نحره علّة مات منها، فخرجت، ورأيتُ جثةً هائلةً جدًّا»[296].

بعد القزويني، نقل سراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر ابن الوردي القرشي البكري (ت 852هـ) من ابن فضلان النصّ نفسه عن نهر إتل، فقال: «وفي هذا النهر، حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء بني العبّاس إلى بلغار، قال: لما دخلت بلغار سمعتُ أنّ عندهم رجلًا عظيم الخلقة، فسألتُ الملك عنه، فقال: نعم، ما كان من بلادنا، ولكنْ قوم خرجوا إلى نهر إتل، وكان قد طغى على وجه الماء رجلٌ كأنّه من أمّة بالقرب منّا، فإن كان ذلك، فلا مقام لنا، فركبت معهم حتّى وصلت إلى النهر، فإذا برجل طوله اثني عشر ذراعًا، ورأسه كأكبر ما يكون من القدور، وأنفه نصف ذراع، وعيناه عظيمتان، وكلّ إصبع أطول من شبر؛ فأخذنا نكلّمه، وهو لا يزيد على النظر إلينا، فحملته إلى مكان، وكتبت إلى وارسو بيننا وبينهم ثلاثة أشهر أستخبرهم عن أمره؛ فعرّفونا أنّ هذا الرجل من ملجأ يأجوج ومأجوج، وقالوا إنّ هذا النهر يحول بيننا وبينهم؛ فأقام بين أظهرنا مدّة، ثم اعتلّ فمات»[297].

يبدو أنّ هذا النص لارتباطه بيأجوج ومأجوج نُقل مرارًا من ياقوت الحموي إلى القزويني، ثمّ ابن الوردي، ولكن هل القزويني وابن الوردي وقفا على رسالة ابن فضلان نفسها أو اعتمدا في النقل ممّا نقله ياقوت الحموي؟ ليس من الواضح أنّ ابن الوردي أعاد نقل القزويني على الرغم أنّ الكلمات المنقولة من ابن فضلان شديدة التقارب مع بعض التغييرات الطفيفة، ودون إضافات

---

[296]زكريا بن محمد القزويني، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 2000)، ص155.

[297]سراج الدين ابن الوردي، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب** (أوبسالة: المطبعة المدرسية، 1838)، ص101 – 102.

جديدة، وأمّا عن نقل القزويني من الحموي، فيذهب شاكر لعيبي إلى الشكّ في ذلك «لأنّ من غير المستبعد البتة (بل من المؤكّد) أن تكون نسخة من كتاب ابن فضلان قد وقعت بين يديه هو نفسه؛ وذلك لطبيعة إشاراته الصريحة المُشار إليها لرسالة ابن فضلان، إضافة إلى أنّ معاصرته لمؤلّف آخر يشتغل مثله على المادّة والمعلومات المتوفّرة نفسها في عصريهما، لا تنفي وقوع نسخة من الرسالة بين يديه»[298]، وبتدقيق النظر في نقولات الحموي والقزويني يتّضح الاختلاف الكبير الذي يُبعد احتمال نقل أحدهم من الآخر، وبهذا يكون شاكر لعيبي مصيبًا فيما ذهب إليه، والله أعلم.

الفرع الثاني: التفاعل الإسلامي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين:

بعد ابن الوردي، انقطع ذكر ابن فضلان في المصادر الإسلامية المُتاحة منذ منتصف القرن التاسع الهجري حتّى القرن الثالث عشر الهجري الذي فيه أشار القنوجي إلى ذكره مجدّدًا، وكما يأتي:

أولًا – إشارة محمّد صديق حسن خان القنوجي إلى ابن فضلان

ناقش محمد صدّيق حسن خان القنوجي البخاري (1248 – 1307هـ) مسألةَ تحديد بداية وصول الإسلام إلى بلاد البلغار، وقدّم آراء متعدّدة في ذلك حتّى أورد ذكر ابن فضلان في هذا النصّ: «وممّا يشهد بذلك أنّ إسلام أهل بلغار كان بزمان كثير قبل زمان أولئك الفضلاء الذي يُعزى إليهم الإفتاء بسقوط العشاء عن سكّان هذه الديار في ليالٍ من السنة تنتهي إلى غاية القصر، فمنهم من قال إنّهم أسلموا في صدر ملك بني مروان في كبد القرن الأول من الهجرة، ومنهم من قال إنّهم أسلموا في خلافة المأمون، ومنهم من قال في خلافة ابن أخيه الواثق بالله، ثم ظهر الإسلام فيها بإسلام ملك بلغار ألماش خان بن سلكي خان في خلافة المقتدر؛ فتسمّى بالأمير

---

[298] أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص16.

جعفر، ولأحمد بن فضلان رسالة كتب فيها ما شاهده في سفره إلى بلغار»[299]، وهذا النقل يُثير تساؤل هل اطّلع القنوجي على رسالة ابن فضلان أم اعتمد على ما نقله ياقوت الحموي؟ يُلحظ أنّ القنوجي ذكر اسم ملك الصقالبة «ألماش خان بن سلكي خان»، وهذا يُخالف ما أورده الحموي «ألمس بن شلكي»[300]، ولكن مع ذلك لا دليل يقطع رجوع القنوجي إلى رسالة ابن فضلان مباشرةً أو نقله من الحموي كدأب الباحثين نتيجة فقدان الرسالة في عصرهم.

ثانيًا – تناول محمد مراد الرمزي لشخصية ابن فضلان

ألّف العلامة والرحّالة والداعية محمّد مراد مكي الرمزي التتاري الأصل (ت 1935م) كتابه "تلفيق الأخبار وتلقيح الأسرار في أحوال قازان وبلغار وملوك التتار" باللغة العربية في مجلدين، وقد طُبع بالمطبعة الكريمية والحسينية في أورينبورغ عام 1908م، ثمّ أعاد إبراهيم شمس الدين تقديمه، وعلّق عليه، ووضع فهارسه، ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت في طبعته الأولى عام 2002م، وهذا الكتاب في عمومه يدور حول تاريخ المسلمين في روسيا، ولمركزية ابن فضلان في هذا التاريخ، تناول الرمزي شخصيته بعدما ذكر تنظيم الخليفة المقتدر للبعثة إلى بلاد الصقالبة استجابةً لدعوة ملكها إذ قال: «وضمّ إليهم أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حمّاد البغدادي الكاتب، وأمره بأنّ يكتب جميع ما يشاهده، ويعاينه في الطريق، وفي بلاد بلغار، وما يجاورها من سائر البلاد عن العجائب والغرائب، وأجناس الأمم، وعوائد القبائل، وألسنتهم، وديانتهم، وتعبداتهم، وكيفية أراضيهم، ومساكنهم، ومنازلهم، وكيفية معايشهم، ومقدار أطوال الليالي والأيام وقصرها، وغير ذلك من وقت خروجه من بغداد إلى أن يدخلها راجعًا، ففعل ما أُمر به، وألّف في ذلك رسالةً،

---

[299]محمد صديق حسن خان، **لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985)، ص210.

[300]ياقوت الحموي، **مرجع سابق**، ج1/ص486.

وهذه الرسالة مشهورة برسالة ابن فضلان، وهي عزيزة الوجود لا تكاد تُوجد بل ادّعى الفاضل المرجاني أنّها مفقودة بالكلية»[301]، ثمّ ذكر أنّه لم يرَ الرسالة بعينها، وإنما نقل من الحموي، وقال عن ابن فضلان أيضًا إنّه أوّل علماء المسلمين الواردين إلى بلاد البلغار، وأعظمهم، وأقدمهم، ثُمّ أضاف أنّ الحموي اعترض على مواضع كثيرة من رسالة ابن فضلان كمبالغته في وصف الجليد فوق نهر جيحون، ثمّ أشار مجدّدًا إلى فقدان رسالته الأصلية حتّى قيل إنّ جماعةً من الأوروبيين المعتنين بالجمع والضبط طلبوها بنشر الإعلانات في جميع الممالك، ولم يقفوا على أثر منها[302]، وهذا التناول من الرمزي يُفيد أن رسالة ابن فضلان لم تكن في زمانه، فقد استمرّ الاعتماد على ما نقله ياقوت الحموي.

ثالثًا – إشارات مُتفرّقة إلى ابن فضلان عند الكُتّاب العرب

في 1900م، نشر محمّد كرد علي مقالةً في مجلة المقتطف بعنوان "الجغرافية عند المشارقة"، وفي سياق حديثه عن بعثات الخلفاء ذكر: «وبعثة المقتدر بالله عام 309هـ إلى البلغار للدعوة الإسلامية فيها، وأخذ أحد أعضاء البعثة أحمد بن فضلان معلومات مفيدة عن بلادهم وبلاد الروس»[303]، فكانت هذه إشارة يتيمة إلى ابن فضلان ورسالته، ثمّ ترجم خير الدين الزركلي لابن فضلان في موسوعته الشهيرة عن "الأعلام"[304]، وكذا الأمير مصطفى الشِّهابي (1893 – 1968م) في كتابه "الجغرافيون العرب"[305]، وأشار أيضًا المُؤرّخ اليمني أحمد بن أحمد بن محمد

---

[301] م. م. الرمزي، **مرجع سابق**، ص292.

[302] المرجع نفسه، ص330.

[303] محمد كرد علي، "الجغرافية عند المشارقة" (**المقتطف**، ع12 (ديسمبر 1900م): 515 – 522)، ص517.

[304] يُنظر: خير الدين الزركلي، **مرجع سابق**، ج1/ ص105 – 106.

[305] يُنظر: مصطفى الشهابي، **مرجع سابق**، ص54 – 57.

المطاع (1907 – 1948م) إلى ابن فضلان بقوله: «ومن أمثلة تقارير سوّاح المسلمين: تقرير أحمد بن فضلان سفير المقتدر العبّاسي في بلاط ملك البلغار سنة 309هـ. ذكر فيه أحوال البلاد الطبيعية، وعادات السكّان، وأخلاقهم، وتقاليدهم بأسلوب ممتع أورده ياقوت في معجمه»[306]، وكذلك عالم الآثار المصري زكي محمّد حسن (1908 – 1957م) تطرّق في كتابه "الرحالة المسلمون في العصور الوسطى" إلى ابن فضلان[307].

وكلّ ما كتبه هؤلاء الكتّاب الأعلام من إشارات مُتفرّقة ومختصرة شديدة التطابق والشبه؛ لقلّة المعلومات عن ابن فضلان بل في بعضها أخطاء، فمثلًا أخطأ الشهابي في اسم ابن فضلان إذ قال إنّه: «أحمد بن عباس بن رشيد»[308]، وهم معذورون جميعًا، فلم تُكتشف مخطوطة الرسالة في زمن كتاباتهم؛ ليعودوا إليها، فالمجهول من سيرة ابن فضلان أكثر من المعلوم إلّا أنّ تلك الإشارات كانت مُمهّدةً للوصول إلى نسخة من رسالة ابن فضلان، فلمحمّد كرد علي الفضل الكبير في إخراج الرسالة إلى ميدان الثقافة العربية كما سيتّضح في القادم من الصفحات.

رابعًا – إسهام التركي زكي وليد طوغان في تحقيق رسالة ابن فضلان

لما عثُرت على مخطوطة رسالة ابن فضلان في مشهد 1924م، نهض العالم التركي زكي وليدي طوغان (1890 – 1970م) إلى تحقيقها، والتعليق عليها وترجمتها، فسدّ ما فيها من نقص، وقابلها مع ما كتبه ياقوت الحموي وغيره، وألحق بها نصوصًا من الجغرافيين العرب، ونشرها

---

[306]أحمد بن أحمد بن محمد المطاع، **تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204هـ – إلى سنة 1006** (تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1986)، ص19.

[307]يُنظر: زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013)، ص23 – 26.

[308]مصطفى الشهابي، **مرجع سابق**، ص54.

بالحروف العربية، والترجمة الألمانية، وطبعها عام 1939م، وسبق ذلك نشره لمقالة بيّن فيها أهمّيّة الرسالة، وفائدة العثور عليها[309]، وبذلك صار أوّل مُسلم يُحقّق رسالة ابن فضلان إلّا أنّ تحقيقه لم يأخذ شهرة تحقيق سامي الدهان خاصةً أنّه لم يستهدف الجمهور العربي.

المطلب الثاني: التفاعل الإسلامي بعد تحقيق سامي الدهان

بدأت هذه المرحلة بتحقيق سامي الدهان لمخطوطة الرسالة، واتّسمت باهتمام مكثّف من المثقفين العرب، فتوالت الكتابات عن ابن فضلان ورحلته، وأُعيد تحقيق الرسالة مرةً أخرى، وما زال التفاعل مع رحلة ابن فضلان مستمرًّا إلى كتابة هذه الدراسة:

الفرع الأول: تحقيق سامي الدهان للرسالة الفضلانية

لقد ذكر سامي الدهان دوافع تحقيقه واهتمامه برسالة ابن فضلان، ففي صيف 1951م زار منزل محمّد كرد علي بدمشق، وكان حينها يتصفّح المجلّات التي تَرد إلى المجمع العلمي بدمشق، فقدّم إليه مجلةً هنغاريةً صدرت في العاصمة المجرية بودابست، وتضمّنت مقالةً بالألمانية عن ابن فضلان ورحلته من كتابة مُستشرق، وأُثبتت فيها صور شمسية؛ لنصّ رحلة ابن فضلان، فحدّث محمد كرد علي سامي الدهان بأهمية هذه الرسالة، وحاجة الثقافة العربية إليها؛ لاستخراج العبر منها، فالروس عادوا إليها، ودرسوها منذ مئة عام، وجعلوها مصدرًا من مصادر تاريخهم، وما زالوا يعودون إليها في مقالاتهم ودراساتهم؛ ليزدادوا فهمًا ومعرفةً، ولم يعرف أكثر العرب هذه الذخيرة الدفينة، ولم يقفوا عليها، والغرب طبع أجزاءً منها بعد ترجمتها في المقابل الخزائن العربية خالية منها، ولهذا حثّ محمد كرد علي على إخراجها، والعناية بها، وتحقيقها، والتعليق عليها، ولمّا نظر الدهّان في تلك الصورة الشمسية وقف عليها طويلًا دون أن يفهم عباراتها، وتعثّر في تخريج

---

[309] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص48.

كلماتها، فالنسخة فريدة، وشديد التصحيف، وفي كثير من عباراتها نقص، وتغصّ بأسماء ألبسة، وأعلام، وأماكن، وكلّ كلمة تثير الريبة والشكّ في تحديدها، وتحتاج إلى مراجعة، وتثبّت، وتعليق؛ لهذا كاد الدهان ينصرف عن تحقيقها لولا إرشاد صديقه المستشرق نيكيتا أليسيف إلى المصادر الروسية والألمانية، وقد كان نفسه معتنيًّا بالرسالة عند تحضيره للدكتوراه، ولكنّه انصرف عنها إلى غيرها، فشجّع الدهان على الإقدام نحو تحقيقها[310].

لقي الدهان في كامبريدج المستشرق الإنجليزي دنلوب، فحدّثه عن رسالة ابن فضلان، وقد كان مهتمًّا بها أيضًا، وقد كتب مقالًا معلّقًا على ما يخصّ قبائل الترك فيها، فرجع الدهان إليها، واستفاد منها، وفي 1954م زار الدهان جامعة هارفارد الأمريكية، وقدّم إليه ريتشارد فراي تعليقاته على الرسالة موقعةً بتوقيعه وصديقه "بلاد"، واهتمّ بتصحيح بعض الكلمات في أوراق معدودة من الرسالة، ثمّ في السنة نفسها، أبلغه رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق خليل مردم بك بأنّه اختاره ضمن وفد المجمع إلى الاتّحاد السوفيتي، وعندما وصل هناك، تفضّل الأستاذ ف. بيلايف على الدهان برسالة ابن فضلان مترجمةً إلى الروسية مع التعليق عليها، ومن حينها عكف عليها، وقابل الغامض منها بما نقله ياقوت الحموي وغيره من الجغرافيين العرب حتّى أنجز التحقيق، وهو على شكّ ببعض عباراتها، وأرجع سامي الدهان فضل التفاعل الإسلامي المعاصر مع رسالة ابن فضلان إلى محمد كرد علي، وخليل مردم بك[311]، ويُلحظ أن تحقيق الدهان تمّ نتيجة تفاعل بين المسلمين وغيرهم، وهذه صورة حيّة تمثّل الحوار بين الحضارات، وكان المؤثّر فيه ابن فضلان.

---

[310] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص7 – 9.

[311] المرجع نفسه، ص9 – 10.

وتُجدر الإشارة إلى أنّ رسالة ابن فضلان بتحقيق سامي الدهان طُبعت ثلاث طبعات، الأولى في 1959م، ونشرتها مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، والثانية في 1987م، ونشرتها مكتبة الثقافة العالمية ببيروت، والثالثة في 1993م، ونشرتها دار صادر ببيروت، ويقع عدد صفحات الكتاب الذي حقّقه الدهان في قرابة المئتين صفحة مع الفهارس، وقد بدأ المحقّق دراسته بمقدمة، ثم كَتب فصلين، الأوّل عن رحلة ابن فضلان، وكُتب الرحلة في عصره، وحال عصره، والوفد، والخطّة، وأهمّية الرحلة، ثم خصّص الفصل الثاني لتحقيق الرسالة، فتناول مؤلّفها، وفصولها، ومخطوطتها، وطريقته في التحقيق، ثم عرض الرسالة، وختم بفهارس للأعلام من قبائل، وطوائف، ومواضع، ولغات، ثمّ أثبت الكتب والمراجع التي رجع إليها عند تحقيقه.

الفرع الثاني: مزج الحقيقة بالخيال بين غيبة والمدني والبقالي

لمّا كانت مخطوطة مشهد التي اعتمد عليها سامي الدهان في تحقيق رسالة ابن فضلان ناقصة الآخر إذ تقف عند ذكر الخزر دون أيّ تكملة، أصدر الدكتور السوري حيدر محمد غيبة كتابًا عنونه بـ"رسالة ابن فضلان مبعوث الخليفة العباسي المقتدر إلى بلاد الترك والخزر والصقالبة والروس وإسكندنافيا في القرن العاشر ميلادي"، والكتاب كما يُقال يتّضح من عنوانه، فهذا المسار الذي ورد في العنوان مخالف تمامًا للنصّ الأصلي، فرحلة ابن فضلان مرّت ببلاد العجم والترك، ثم الصقالبة، ومن ثَم ذكر أنّه رأى الروس، وأخيرًا كتب عن الخزر، ولم يشر إلى غير ذلك بتاتًا إلّا أنّ في هذا العنوان نجد غياب للعجم في بلاد فارس الذين مرّ بهم ابن فضلان، ثم تقديم الخزر على الصقالبة والروس على الرغم أنّ الخزر آخر من وقف عندهم ابن فضلان، ثم أتى بالجديد إذ ختم مسار الرحلة إلى إسكندنافيا، وبهذا حاول أن يُقدّم – منذ البداية – ابن فضلان آخر غير ابن فضلان الحقيقي الذي حقّق الدهان رسالته!

قيّد غيبة دوره على غلاف كتابه بأنّه جامع، ومترجم، ومُقدّم، وكأنّ بهذا يُريد أن يبعد نفسه عن مسؤولية التحرّي والتدقيق، وقد بلغ عدد صفحات كتابه 222 صفحة احتوت على مقدّمة، ثمّ ما زعم أنها رسالة ابن فضلان، وقسّم هذه الرسالة إلى 17 فصلًا بدءًا من انطلاقة ابن فضلان من بغداد وزيارته لبلاد العجم والأتراك، ثم أتراك الغزية (الأوغوز)، ثم الصقالبة، وهذه الفصول الثلاثة الأولى أخذت من رسالة ابن فضلان الأصلية مع تعديلات، ثم أضاف من الفصل الرابع عن زيارة بلاد الروس والاتّصال الأولى بالإسكندنافيين القدماء أي الفايكنج، ثم عنون بقية الفصول بالعناوين الآتية: عقب جنازة أهل الشمال، والرحيل إلى بلاد الشمال البعيدة، والعسكرة في تريلبورغ، ومملكة روثغار في أرض الوند والمعركة الأولى، والأحداث التي تلت المعركة الأولى مع الوندال، وهجوم التنين (الكورغون)، وصحراء الرعب، ومجلس الأقزام، وأحداث الليلة السابقة للمعركة الأخيرة، وكهوف الرعد، واحتضار الوندال، والعودة من بلاد الشمال إلى الوطن، وأخيرًا زيارة بلاد الخزر[312]، وهذا الفصل الأخير مأخوذ من رسالة ابن فضلان الأصلية، ولكن من أين جاء غيبة بثلاثة عشر فصلًا من الفصل الرابع حتى السادس عشر؟

ذكر غيبة في مقدّمة كتابه أنّه عَلِم أوّل مرّة عن ابن فضلان من زوجته التي قدّمت إليه مقالةً نُشرت في صحيفة دنماركية، وتضمّنت وصف ابن فضلان لشعب الفايكنج، ولم يكن حينها قد قرأ شيئًا عن ابن فضلان خاصّةً الرسالة التي حقّقها الدهان، واسترعى انتباهه الأوصاف الواردة في المقالة المنسوبة إلى ابن فضلان لشعب الفايكنج "الهمجي والمتخلّف" مقارنةً بالمسلمين المتقدّمين حضاريًّا[313]، ثمّ في 1984م قدّمت إليه زوجته أيضًا كتابًا بالإنجليزية لمايكل كرايتون،

---

[312]انظر إلى "المحتويات" في: حيدر محمد غيبة، **مرجع سابق**، ص221 – 222.

[313]المرجع نفسه، ص7.

وعنوانه "أكلة الأموات: مخطوط ابن فضلان عن خبرته بأهل الشمال في عام 922 ميلادية"، ولمّا قرأه وجد أنّ مهمّة كرايتون في الكتاب جمع أجزاء الرسالة، وترجمة بعضها، والتقديم لها معتمدًا على الفصول الأولى من مخطوط ابن فضلان كما صرّح نفسه، فلم يكن لكرايتون أيّ دور في تأليف أيّ جزء بل كان دوره الترجمة، والتقديم، والتعقيب[314]، ثمّ عقد غيبة مقارنةً بين نصّ ابن فضلان الأصلي بعدما رجع إليه، ونصّ كرايتون، فوجد أنّ زيارة ابن فضلان إلى الصقالبة التي هي أصل الرحلة وأساسها لم يدرجها كرايتون الذي أكّد أنّ ابن فضلان لم يزر بلاد الصقالبة؛ لأنّ الفايكنج اختطفوه، وأخذوه إلى إسكندنافيا[315]، وعلى هذا مزج غيبة بين النصّين المتناقضين، والجمع بين النقيضين محال مع ذلك أخرج غيبة كتابه المتناقض، فتعامل مع رواية كرايتون الخيالية على أنّها وثيقة تاريخية مكمّلة لنقائص مخطوطة مشهد، ودعّم رأيه في «مقدمة دفاعية وحواشٍ حاول من خلالهما أن يثبت أنّه حقّق عملًا تراثيًّا، ولم يقدّم عملًا روائيًّا متخيّلًا»[316]، ولم يقف خطأ غيبة الفادح عند هذا الحد بل أخطأ حتى في اسم ابن فضلان إذ ذكر أنه «أحمد بن فضلان بن عباس بن رشيد بن حماد»[317] مخالفًا ما ذكره ياقوت الحموي، وبهذا شوّه الرسالة الفضلانية تشويهًا بالغًا، وارتكب جناية عظيمة بحقّ ابن فضلان، وفي نقد عمله تقول رؤى حسين قداح إنّ غيبة قدّم في نصّه صورتين متناقضتين لابن فضلان، ففي النصّ الحقيقي ابن فضلان بطل الرحلة

---

[314]يُنظر: حيدر محمد غيبة، **مرجع سابق**، ص7 – 8.

[315]المرجع نفسه، ص10 – 11.

[316]رؤى حسين قداح، "في أدب الرحلة: ابن فضلان في نص حيدر محمد غيبة". **(الموقف الأدبي: اتحاد الكتاب العرب**، مج 42، ع512 (2013): 121 – 134)، ص123.

[317]حيدر محمد غيبة، **مرجع سابق**، ص33.

المنتصر المحافظ على هويته وثقافته، وأمّا النصّ الخيالي، فقد أظهر ابن فضلان منهزمًا بتخلّيه عن ذاته وهويته الثقافية، وابتلاعه من قبل الآخر الشمالي[318].

لقد ترجم غيبة نصّ الرواية الأمريكية بدافع الإعجاب بها، والاقتناع أنّها لابن فضلان، وأمّا كرايتون، فليس المؤلّف بل لم يكن سوى جامع لها، وعلى الرغم من ذلك لدى غيبة شك فيها، وقد عبّر عنها في حواشي كتابه إلّا أنّ شكوكه لم تمنعه من استمرار عمله حتّى أُخرج إلى الوسط الثقافي العربي، فأُفتُتن به، وحظي بانتشار واسع، وتبنّى باحثون وأكاديميون أبرزهم الدكتور عبد الله إبراهيم نص هذا الكتاب دون أيّ تحقيق أو تمحيص[319]، وقد طبع الكتاب ونشر في 1994م، ثم جاء بعده سليمان المدني، فقدّم في 1995م كتابه الشبيه بكتاب غيبة، وعنوانه "أكلة لحوم البشر عن مخطوطة لابن فضلان" من نشر دار الأنوار بدمشق، ويقع الكتاب في 194 صفحة، ولكن لم يحظ كتاب المدني بانتشار مثيل لغيبة، وفي 2001م نبّه الكاتب الفلسطيني محمد الأسعد إلى خطأ حيدر محمد غيبة في مقالة نشرها بمجلة الزمن الكويتية، وأثبت أنّ رواية كرايتون خيالية، وليست من مخطوطة ابن فضلان الحقيقية، ولكن تنبيهه لم يحد من انتشار ما روّجه غيبة[320]؛ ففي 2003م كرّر أحمد عبد السلام البقالي الخطأ نفسه، وأصدر كتابه "مغامرات سفير عربي في إسكاندينافيا منذ ألف عام"[321] الذي يقع في 270 صفحة دون أن يشير إلى كتاب غيبة، ولم يكن البقالي في كتابه محقّقًا، فليس فيه أي حاشية، فكلّ ما قام به ترجمة النص الذي ألّفه كرايتون مع

---

[318] يُنظر: رؤى حسين قداح، **مرجع سابق**، ص131.

[319] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص26.

[320] يُنظر: محمد الأسعد، "هل زار أحمد بن فضلان بلاد الفايكنج؟". **منصة Academia**، د.ت، على: https://bit.ly/38pgwkM. (1 فبراير 2020)

[321] أحمد عبد السلام البقالي، **مغامرات سفير عربي في إسكاندينافيا منذ ألف عام**. الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2003.

مقدّمة من عنده، والعجيب أنّ رواية كرايتون نفسها تُرجمت إلى العربية، فلم تنل الرواج الذي ناله كتاب غيبة والبقالي.

الفرع الثالث: تحقيق شاكر لعيبي وردّ الاعتبار إلى النص الحقيقي

أعاد شاكر لعيبي تحقيق رسالة ابن فضلان مرةً أخرى بعدما عُبث بها بوساطة دراسة غيبة، وتطرّق في تحقيقه إلى خلفية الرسالة، وطريقة العثور عليها، ودور الحموي في إبرازها، ثُمّ إشارة القزويني إليها، ثُمّ بَحَثَ ما أثاره غيبة من زيارة ابن فضلان إلى البلدان الإسكندنافية، ومزجه بين المحتوى الأصلي والخيالي الذي ارتكبه استنادًا إلى رواية كرايتون الخيالية، فقدّم نقدًا قويًا لطرح غيبة، وأيضًا إلى الدكتور عبد الله إبراهيم الذي ساهم في ترويج ذهاب ابن فضلان إلى الدول الإسكندنافية، ثمّ عرّف لعيبي بابن فضلان، والمسار الحقيقي الذي اختطه في رحلته لا الذي اختلقه غيبة، ثم خصّص فقرةً قصيرةً عن ظاهرة هجرة الأيدي العاملة إلى مراكز الثروة، وبعد ذلك كلّه عرض نصّ الرحلة محقّقًا إيّاه في الحاشية، وختم تحقيقه بملحق لما ذكره المستشرق إغناطيوس كراتشكوفسكي عن ابن فضلان ورحلته، وأخيرًا أنهى بكشف حضاري وفهارس[322].

وأطال لعيبي التركيز على الرسالة نفسها، وحاول أن يُوضّح الغامض من الكلمات، والجمل، والمعلومات عن الأعلام مختصرًا ما أنجزه الدهان، ومعتمدًا عليه، وكأنّه أراد بذلك أيضًا أن يُردّ الاعتبار إلى النص الحقيقي بعد تنظيفه من مدخلات المحتوى الخيالي الذي مزجه غيبة، فكان له الفضل الكبير في صيانة النص الأصيل من العبث والتلاعب فيه، وترويج لأمور لا تمّت إلى

[322] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: شاكر لعيبي)**، ص 151.

حقيقة الرحلة بصلة مع العلم بأنّ دار السويدي بأبوظبي نشرت ثلاث طبعات لتحقيق شاكر لعيبي: الأولى في 2003، والثانية في 2013، والثالثة في 2019، والكتاب يقع في 151 صفحة.

المبحث الثاني – تفاعل غير المسلمين مع ابن فضلان ورحلته:

يعُود تفاعل غير المسلمين مع رحلة ابن فضلان إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وقبل ذلك ليس من المُؤكّد أن يكون أحدٌ منهم علم بابن فضلان ورسالته، ولهذا كان تفاعلهم مُتأخرًا جدًّا إلّا أنّه أعظم أثرًا، ومن المعلوم أنّ في القرنين التاسع عشر الميلادي والعشرين بلغ النشاط الاستشراقي مبلغًا صعبًا خاصّةً بما يتعلّق بالدراسات الإسلامية، والنبش وراء كل صغيرة وكبيرة تخصّ المسلمين وتراثهم، ولمّا علم المستشرقون بابن فضلان بحثوا عن أيّ خيط يصلهم إلى رسالته، وقد انقسموا في تفاعلهم مع ابن فضلان ورحلته بين متفاعل إيجابي يبحث عن الحقيقة، وآخر سلبي يعرف الحقيقة إلّا أنّه يُريد أن يشوهها كما صنع مايكل كرايتون الذي غيّر في سيرة ابن فضلان تغييرًا شنيعًا، وفي هذين المطلبين توضيحٌ لذلك:

المطلب الأول: التفاعل الإيجابي قبل ظهور رواية "أكلة الموتى" لكرايتون

عندما اهتمّ غير المسلمين بابن فضلان لم يجدوا ضالتهم سوى في المقاطع التي أوردها ياقوت الحموي في معجمه، فدرسوها، وعلّقوا عليها منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي حيث نُشر ما دوّنه الجغرافيون المسلمون عن الروس خاصّةً، ففي عام 1814م ترجم المستشرق راسموسن نقولات الحموي من ابن فضلان إلى الروسية، وفي 1819م جمع المستشرق الألماني فرهن مخطوطات الحموي، واستخرج منها ما قاله ابن فضلان أيضًا، وفي 1822م نشر باللاتينية الفصل الخاصّ بالخزر إضافةً إلى ما قاله ابن حوقل فيهم، وبعد ذلك بعام واحد نشر الفصل الخاصّ بالروس إلى الألمانية مع تفصيلات وتعليقات، فكان مُؤلّفًا ضخمًا يقع في 268 صفحة من القطع الكبير مع أنّ الفصل الخاصّ بالروس لا يتعدّى 11 صفحة ترجمها في 11 صفحة إلى الألمانية، وعلّق عليها بـ115 صفحة زخرت بالنقل عن اليونانية، والفرنسية، والإنجليزية، والعربية، وأتبعها

بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع القيصري، وعنونها بـ"رسالة ابن فضلان والجغرافيين العرب الآخرين عن الروس من أقدم الأزمان نص وترجمة مع نقد لغوي وملحوظات وثلاثة ملاحق بطرسبرغ 1823م"، ثم في 1832م نشر فرهن الفصل الخاص بالبلغار، ونهر الفولجا (إتل) في منشورات الجمعية الآسيوية بلننغراد (سان بطرسبرغ)، وهكذا نشر أكثر فصول الرسالة عن ياقوت الحموي، وكان يتمنّى الحصول على الرسالة كاملةً، ولكنّه تُوفّي قبل ذلك، ثمّ في 1863م نشر وستنفلد دراسةً ألمانيةً عن الرحلات عند ياقوت الحموي، وفيها رحلة ابن فضلان[323]، ثم في 1877م ترجم بطرس البستاني (وهو من نصارى العرب) لابن فضلان في دائرة المعارف إذ قال عنه: «هو أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد، مولى محمّد بن سليمان، كان المقتدر قد أرسله إلى ملك الصقالبة حين أسلم هو وأهل بلاده؛ ليُعلّمهم الشرائع، ويفيض عليهم الخلع، فحكى في رحلته هذه جميع ما شاهده منذ خروجه من بغداد إلى أن عاد، وكان انفصاله في صفر 309 هجرية ذُكر ذلك في كشف الظنون، ولم يذكر تاريخ وفاته»[324].

وفي 1891م نشر فستبرغ دراسةً عن ابن فضلان، وفي 1902م نشر المستشرق الروسي فون روزن مقالًا بالروسية عن ابن فضلان ووصفه لنهر إتل، وخوارزم، وروسيا، وفي 1911م كتب المستشرق التشيكي فورجاك دراسةً عن ابن فضلان، ونشرها في براغ، ثم تواصل التفاعل الغربي حتّى عام 1924م حيث أصدر ماركوارت دراسةً عن رحلة ابن فضلان في ليبتسيك، وفي السنة نفسها تسلّم المعهد الآسيوي للاستشراق في بطرسبرغ ورقتين مصوّرتين من النسخة الخطية التي أُكتُشفت في مدينة مشهد (طوس) بإيران، وبعد عشر سنوات وصلت بقية الأوراق المصورة

---

[323] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص44 – 46.

[324] بطرس البستاني، **مرجع سابق**، ص580 – 581.

من الرسالة، واكتملت النسخة كاملة، ونُشرت مقالة بالروسية في مجلة P.A.H للتعريف بالنسخة المكتشفة في خزانة المخطوطة بمشهد، ولما اكتشفت المخطوطة علّق عليها كثيرون، مثل: المستشرق الألماني ريتر في مجلة المستشرقين الألمان ZDMG عام 1942م، والمستشرقين الأمريكيين بلاك وفراي في مجلة بيزنطينيا عام 1949م، والمستشرق الإنجليزي دنلوب في المجلة الألمانية عالم الشرق، والمستشرق تشاكلاري في المجلة المجرية في بودابست عام 1951م، وأرفقها بصور شمسية للرسالة، وفي العام نفسه صدرت دراسة روسية برعاية المستشرق الكبير كراتشفوفسكي في مدينة موسكو، وقد ترجم الرسالة إلى الروسية في 120 صفحة مع تقديم بعض الملحوظات، وفي آخر الدراسة نشر صورةً شمسيةً من المخطوطة، وتتميّز هذه الدراسة بالدقّة وصحّة التعليقات، فقد قرّب الفهم إلى النصّ خاصةً فيما يخصّ البلغار وروسيا، وقد ظهرت الدراسة المذكورة في منشورات المجمع العلمي بالاتّحاد السوفيتي بعنوان "رحلة ابن فضلان إلى البلغار مع مقدمة للمستشرق الأكاديمي إغناطيوس كراتشفوفسكي في موسكو 1939م، في 193 صفحة، و33 صورة شمسية"، ولم تعتن الدراسة بطبع النص العربي تحقيقًا وتصحيحًا كما فعل زكي وليدي طوغان، وفي 1957م صدرت دراسة روسية أخرى عن الرحلة في مدينة خاركوف بعناية المستشرق كوفالسكي في 309 صفحة مع 33 صفحة للنصّ العربي، وفيها شروح وتعليقات بالروسية[325].

وعلى صعيد ترجمة رسالة ابن فضلان إلى لغات أخرى، فقد ظهرت منذ 1971م أربع ترجمات إلى الإنجليزية والفرنسية، أولها: رسالة جامعية قدّمها ماكيثين إلى جامعة إنديانا (بلومنغتون) في 1979م، ثم في 2005م نشرت برنستون ترجمة ريتشارد فراي مع تعليقات ماركوس، ثمّ في 2012م ظهرت طبعة شعبية ضمن سلسلة روائع بنغوين المخصّصة لروائع

[325] يُنظر: أحمد بن فضلان، **مرجع سابق (تحقيق: سامي الدهان)**، ص47 – 50.

الأدب العالمي، وهي ترجمة بول لندي، وقد قدّمها كارولاين ستون، وأمّا الترجمات الفرنسية، فمن أشهرها: ترجمة بول شارل – دومينيك من نشر غاليمار باريس في 1995م.

وكما ظهرت دراسات أكاديمية عديدة عن رحلة ابن فضلان، ومن أبرزها: دراسة جيمس مونتغمري (أستاذ كرسي العربية في جامعة كامبريدج) التي تناولت الرسالة، وأظهرت أهميتها في التاريخ الإنساني، وموقعها في العلاقات الشرقية – الغربية، وأخرج هذا الباحث لواذ ست دراسات إنجليزية عن ابن فضلان، وتعدّ مراجع رئيسة لأي دارس لابن فضلان في الغرب، وقد كتب أيضًا مقالةً عن ابن فضلان في موسوعة "أدب الرحلة والاستكشاف" التي صدرت في ثلاثة مجلدات بتحرير جنيفر سبيك، ونُشرت في 2003م، وهي من المقالات الموسوعية عن ابن فضلان[326].

إنّ مقالة كارولاين ستون "ابن فضلان وشمس منتصف الليل" التي نشرت في مجلة عالم أرامكو السعودية في 1979م، ومقالة جوديث غابرييل "ضمن القبائل الشمالية: الرواية المميزة لابن فضلان" المنشورة في المجلة نفسها عام 1999م «تعدّان إسهامًا مهمًّا في دمج الرسالة بمتن الثقافة العالمية الراهنة؛ لأنّهما منشورتان في مجلة واسعة الانتشار توزّع على المعنيين بالثقافة العربية الإسلامية وعلاقاتها بنظيراتها الغربية من رجال الأعمال والمثقفين»، وتضاف إليهما مقالة روبرت بليك وريتشارد ن. فراي المعنونة بـ"ملحوظات حول رسالة ابن فضلان"، وقد نُشرت في 1947م، ومقالة ماريا كوفالسكا "رواية ابن فضلان لرحلته إلى دولة البلغار" التي نُشرت في 1973 – 1972م[327].

---

[326] يُنظر: عبد النبي اصطيف، **مرجع سابق**، ص69.

[327] المرجع نفسه، ص70 – 71.

وبهذا يُلحظ تفاعل جمهرة كبيرة من علماء الغرب، واهتمامهم المكثّف بابن فضلان حتّى توصّلوا إلى المخطوطة، فدرسوها، وترجموها، وعلّقوا عليها، وعرضوها على الأوساط العلمية في بلادهم، فكان تفاعلهم إيجابيًّا إجمالًا، وفي هذا يذكر الأكاديمي السوري المهتم بالاستشراق عبد النبي اصطيف (و1952م) أنّ مواد البيبليوغرافية لرسالة ابن فضلان بلغت بين عامي 1794م إلى 1971م 1042 مرجعًا باللغات الإنجليزية، والنرويجية، والسويدية، والدانماركية، والروسية، والفرنسية، والإسبانية، والعربية، وهذا مؤشّر على حجم التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته، ولم ينقطع هذا التفاعل حتى اليوم حيث باتت رسالة ابن فضلان ضمن الأدب العالمي لأهمّيتها[328].

المطلب الثاني: التفاعل السلبي بعد رواية "أكلة الموتى" لكرايتون

لم يسلم ابن فضلان كغيره من أعلام الأمّة الإسلامية من عدوان الاستشراق السلبي، فتعرّضت شخصيته إلى تشويهات صريحة وصلت إلى مستوى العبث بهويته الإسلامية ترسيخًا للصور الجاهزة التي يتخيّلها بعض كُتّاب الاستشراق عن المسلمين، وقد تزعّم هذا التشويه المتعمّد الروائي الأمريكي مايكل كرايتون، وفي الأفرع القادمة مزيد من التفصيل:

الفرع الأول: استلاب الروائي كرايتون لهوية ابن فضلان الحضارية

في 1976م، أصدر الروائي الأمريكي العالمي مايكل كرايتون روايته "أكلة الموتى" عن رحلة ابن فضلان، ونالت شهرة عالمية اكتسحت الأسواق حتّى وصفتها الديلي تلغراف آنذاك بأنها من أروع روايات السنة[329]، ولقد اعتمد مايكل كرايتون على ما تُرجم من رحلة ابن فضلان، ثم

---

[328] يُنظر: عبد النبي اصطيف، **مرجع سابق**، ص68.

[329] يُنظر: محمد علي حسين الحريري، **مرجع سابق**، ص106.

حوّلها من رحلة حقيقية إلى خيالية عندما أوصل ابن فضلان إلى الشمال الإسكندنافي مقلّدًا أسلوب رسالة ابن فضلان، ومُضيفًا إليها تعليقات هامشية؛ ليعزّز المحاكاة كما سعى إلى توطين النصّ العربي في الثقافة الغربية، وقد درس الروائي كلّ ما قُدّم من أعمال بحثية عن ابن فضلان، واستوعبها؛ ليبني عليها روايته مقتسمًا التأليف مع ابن فضلان، فاعتمد على أشياء من رسالة ابن فضلان، واستخدمها في الفصول الأولى من روايته، ثم انطلق به إلى عالم الفايكنج، وحوّله إلى مغامر ومقاتل إلى جانب 12 مقاتلًا من الفايكنج[330].

بدأ تحريف كرايتون من سبب رحلة ابن فضلان إذ زعم أنّه ارتكب الزنا مع امرأة تاجر بغدادي يُدعى ابن قارن؛ فنُفي من بغداد، ولم يكن سبب رحلته ابتعاث الخليفة له ضمن بعثة رسمية إلى ملك الصقالبة[331]، ثم غيّر مسار رحلته حيث اُختُطف إلى بلاد الفايكنج قبل أن يصل إلى مملكة الصقالبة، وهناك جُرّد ابن فضلان من عبادته، ولغته، وعاداته؛ ليغدو محاربًا شماليًّا لم يبق من إسلامه شيء، وبهذا قدّمت رواية كرايتون حالة من الصدام الحضاري، وحقّقت انتصار الوثنية على الإسلام بإظهار الفقيه ابن فضلان في صورة المهزوم؛ إذ تخلّى عن هويته الإسلامية، وتبنّى ثقافة الآخر بما فيها وثنيّته، وعاداته، وتقاليده، فكان ابن فضلان الذي شكّله كرايتون منقطع الانتماء والصلة بدينه الإسلام، ومنهزم في هويته الحضارية، وهذا ما يعلل توقّف الرحلة في رواية كرايتون عند شواطئ بلاد الفايكنج[332].

---

[330] يُنظر: عبد النبي اصطيف، **مرجع سابق**، ص72 – 73.

[331] يُنظر: معجب بن سعيد العدواني، "مرايا الآخر: مقاربة ثقافية لرسالة ابن فضلان وانعكاساتها في الثقافة الغربية". **(مجلة منتدى الأستاذ**، ع18 (2016): 9 – 28)، ص103.

[332] يُنظر: رؤى حسين قداح، **مرجع سابق**، ص124.

ولم يتوقّف كرايتون عند هذا الحدّ بل تمادى في إظهار ابن فضلان في صورة «رجل داكن البشرة، غريب، أجنبي، مشعوذ، ساحر، يجلب الشؤم، عاجز أمام مظاهر الحياة والجنس، يرتجف أمامها كما ترتجف عجائز النساء، أحمق، غبي، أبله، ينشغل بالأسئلة، ومعرفة الأسباب الكامنة وراء كل شيء، ولكنّه يجهل العالم الخارجي حوله، قدري يستسلم لإلهه الواحد؛ ليفعل به ما يشاء على وفق إرادته، صامت، عاجز عن التعبير عن ذاته وعن ثقافته»[333]، وهكذا نزع عن ابن فضلان تديّنه الواضح في رسالته الأصلية، وجعله مستخفًّا بشعائر الإسلام بعدما كان غيورًا عليها في النصّ الأصلي، ثمّ زاد في إعادة تدوير الصورة الاستشراقية عن المسلم، ووصف ابن فضلان بأن لديه شبق جنسي، ويشرب النبيذ بسعادة، ويُسمّي بالله عندما يأكل اللحم غير المذبوح، ومولع بنساء إسكندنافيا الجميلات[334]. ورواية كرايتون تُرجمت إلى لغات عديدة منها اللغة العربية في أكثر من طبعة، ترجمها تيسير كامل، ونشرتها دار الهلال بالقاهرة، وبكلّ أسف تعاملت معها على أنّها تمثّل الحقيقة التاريخية على الرغم من التحريفات الواضحة فيها[335].

الفرع الثاني: تصحيح أنور خيري لأخطاء الروس في تحقيق مخطوطة ابن فضلان

في 2013م، ألّف الباحث أنور خيري من تتارستان كتابًا بثلاث لغات الروسية، والتتارية، والعربية عن رحلة ابن فضلان في 511 صفحة من القطع الكبير بعنوان "سرد عن رحلة أحمد بن فضلان إلى دولة البلغار التي كتبها في أثناء سفرته عامي 921 – 922م"، وأشار في مقدّمة الكتاب أنّ رحلة ابن فضلان التي نُشرت أوّل مرة بالروسية في الاتّحاد السوفيتي 1939م بإشراف المستشرق كراتشكوفسكي، وأعيد نشره في 1956م تعرّضت إلى التحريف والتشويه في بعض

---

[333] رؤى حسين قداح، **مرجع سابق**، ص129 – 130.

[334] يُنظر: معجب بن سعيد العدواني، **مرجع سابق**، ص104 – 105.

[335] يُنظر: مايكل كرايتون، **مرجع سابق**، ص9 – 11.

فقراتها، والهوامش التي لم تكن دقيقة ومطابقة للنصّ العربي، وسبب ذلك يعود إلى أنّ المحقّقين انطلقوا من منطلقاتهم الأيديولوجية، فأخضعوا رسالة ابن فضلان إليها، وبهذا خرج الباحث من كتابه بأهم استنتاج، وهو أنّ الترجمة الروسية لم تكن طبقًا للمتطلبات العلمية الدقيقة للنصّ الأصلي، وكذا الهوامش والتعليقات، وعلى هذا الأساس أعاد أنور خيري ترجمة رسالة ابن فضلان، وحقّقها مرةً أخرى، ونظّفها من تحريفات المستشرقين[336].

[336]لم يتمكّن الباحث من التوصّل إلى دراسة أنور خيري لتقديم أمثلة على تحريف المستشرقين الروس لرسالة ابن فضلان، ولكن اعتمد على ما نُشر عنها. يُنظر: "آراء جديدة في روسيا حول رحلة ابن فضلان". **صحيفة المدى**، 29 أغسطس 2016، على: https://almadapaper.net/view.php?cat=156079. (11 فبراير 2020)

المبحث الثالث – مجالات التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته:

نظرًا إلى حجم التفاعل الحضاري الكبير مع الرحلة الفضلانية شرقًا وغربًا، فإنّ مساهمة ابن فضلان واضحة في حوار الحضارات المعاصر؛ فهو من الأعلام القلائل المرتبطة أسماؤهم بين الشرق والغرب، وما زال ذكْره حيًّا في العديد من المناسبات السياسية والثقافية، وهذا دليل صريح على التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته في مجالات متنوّعة كما يأتي:

المطلب الأوّل: المجال السياسي والثقافي:

للسياسة دور كبير في حياة المجتمعات، ولها الأثر البالغ في إبراز الشخصيات، والتفاعل مع منجزاتها، وابن فضلان من الشخصيات التاريخية التي تُذكر مرارًا في اللقاءات الرسمية ذات الصبغة الدبلوماسية والثقافية بين الدول العربية وروسيا خاصةً والدول الإسكندنافية أحيانًا، وهذا بعض أوجه التفاعل مع ابن فضلان في المجال السياسي والثقافي:

الفرع الأول: تخليد اسم ابن فضلان على المستوى الرسمي

تكريمًا لابن فضلان، اعتنت عدّة دول عربية بتسجيل اسمه، وتخليد ذكره، ففي بلده العراق أطلقت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي اسم "أحمد بن فضلان" على قاعة في المجتمع التربوي بشارع النضال الواقع مقابل القصر الأبيض سابقًا في بغداد[337]، وأدرجت وزارة التربية العراقية رحلة ابن فضلان في كتاب اللغة العربية للصفّ الأول المتوسط[338]، وذكر محمد بن ناصر

---

[337] يُنظر: **الملحق (ب)**

[338] يُنظر: "10 أحمد ابن فضلان ورحلته العجيبة IBC". **قناة المناهج الدراسية لمكفوفي العراق IBC**، 25 أبريل 2019، على: https://youtu.be/JT_EdOPt-ZQ. (11 فبراير 2020)

العبودي أنّ روسيًّا من المتحدثين بالعربية أخبره أنّ دراسة رسالة ابن فضلان على طلاب اللغة العربية في المرحلة الجامعية أمر إلزامي لما تتضمنه من معلومات مهمّة[339].

وإلى جانب ذلك، أُطلق اسم ابن فضلان على عدد من الشوارع في العواصم العربية، ففي منطقة الكريعات شمال بغداد شارع باسمه، وكذا في حي العليا أهمّ أحياء العاصمة السعودية الرياض شارع باسم أحمد بن فضلان، وأيضًا في مدينة نصر بالعاصمة المصرية القاهرة، وكذلك في منطقة الشميساني بالعاصمة الأردنية عمّان، وقد شيّد مسلمون مسجدًا باسم ابن فضلان في مدينة دونيتسك الأوكرانية[340].

الفرع الثاني: ابن فضلان في لقاءات ثقافية تجمع الشرق بالغرب

في نوفمبر 2013م، شهدت السويد حوارًا ثقافيًّا بين وفد خليجي يضمّ دبلوماسيين وباحثين وأكاديميين برئاسة أمين عام مجلس التعاون الخليجي، وقد شارك فيه الدكتور سعيد حارب بورقة ذكر فيها إن في: «عام 921م، وصل رجل من بلاد العرب إلى البلاد الإسكندنافية حاملًا رسالةً من الخليفة العربي إلى ملك تلك البلاد، كان هذا الرجل هو أحمد بن فضلان، وبقي هناك حتّى عاد عام 924 ميلادية حاملًا معه ما سجّله خلال رحلته عن البلاد التي مرّ بها أو عاش فيها، وقد عُرفت تلك الكتابات بـ«رحلة ابن فضلان»، ولم يكن ابن فضلان سفيرًا عاديًّا أو مبعوثًا عابرًا، فقد كان الرجل ذا بصيرة ثاقبة سجّل من خلالها مشاهداته، ودوّن آراءه عن حياة الناس، وعاداتهم

---

[339] يُنظر: محمد بن ناصر العبودي، **مرجع سابق**، ص184.

[340] يُنظر: "مساجد إقليم الدونباس شرق أوكرانيا". **موقع الرائد: اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا**، 30 نوفمبر 2011م، على: https://www.arraid.org/en/node/1903. (11 فبراير 2020)

وسلوكهم، وقد كان لرسالة ابن فضلان أثر في الثقافة الغربية»[341]، وعلى الرغم من أنّ المعلومات الواردة ليست صحيحة، فابن فضلان كما تبيّن سلفًا لم يزر الدول الإسكندنافية إلّا أنّ ذكره يُثبت أثر التفاعل الحضاري مع رحلته، ولما انطلقت فعاليات العام الثقافي "قطر – روسيا 2018م" بحضور وزير الثقافة والرياضة القطري صلاح بن غانم العلي، ووزير الثقافة الروسي فلاديمير ميدينسكي، أشار الوزير القطري في أثناء حديثه عن العلاقات العربية – الروسية إلى أنّ هذه العلاقات تعود إلى القرن العاشر الميلادي حيث ظهر أدب الرحلات، ومن أبرزها رحلة أحمد بن فضلان[342].

الفرع الثالث: ابن فضلان يجمع الأديان في تتارستان

تحتفل جمهورية تتارستان[343] في 21 مايو من كل سنة باليوم الرسمي لاعتناق بلغار الفولجا الإسلام، وبهذا صار ذكرى وصول ابن فضلان إلى أسلافهم يومًا رسميًّا يستحق الاحتفاء به، ويشهد هذا الاحتفال توافد أعداد كبيرة من الناس، ففي يوم السبت 25 مايو 2013م شارك 50 ألف شخص في ذكرى اعتناق بلغار الفولجا الإسلام، وكان من ضمن المشاركين كبار المسؤولين بالجمهورية إلى جانب حضور طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الروحية المركزية لمسلمي روسيا،

---

[341]سعيد حارب، "أيام التعاون في السويد". **صحيفة العرب القطرية**، 25 نوفمبر 2013، على: https://s.alarab.qa/270680. (11 فبراير 2020)

[342]يُنظر: "انطلاق العام الثقافي «قطر روسيا 2018»". **صحيفة العرب القطرية**، 25 فبراير 2018، على: https://s.alarab.qa/1300252. (11 فبراير 2020)

[343]تتارستان أي بلاد التتار هي إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية، أُطلق هذا الاسم عليها؛ لأنّها من بقايا دولة إسلامية أسّسها بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان ابن عم هولاكو الذي خرّب بغداد، وكان بركة خان أوّل من أسلم من التتار، وحكم الأصقاع الشمالية، واستمرّت دولته حتّى شملت جزءًا كبيرًا من بلاد الصقالبة (السلاف) في بولندا، وبلاد البلطيق، وروسيا البيضاء، ووسط إتل (الفولجا)، ومن ثم خلفته دولة آلتون أوردو أي القبيلة الذهبية، وأطلق الروس على المسلمين في تلك الدولة لقب التتار؛ لأنهم رعايا الدولة التي أقامها التتار على الرغم أنّهم ليسوا جميعًا من العرق التتاري، يُنظر: محمد بن ناصر العبودي، **مرجع سابق**، ص5 – 6.

وراوي عين الدين رئيس مجلس مفتي روسيا، وسبعمائة مشارك من رجال الدين يمثلون 65 منطقة روسية[344]، وفي 19 فبراير 2016م انطلقت في كازان عاصمة جمهورية تتارستان فعالية معرض "رحلة ابن فضلان من بغداد إلى بلغار الفولجا"، وقد حضر المعرض كبار المسؤولين في الجمهورية إلى جانب رجال الدين المسلمين والمسيحيين، وعُرضت فيه ألوف القطع التاريخية من 7 متاحف روسية[345]، وفي 15 يونيو 2019م أحيت جمهورية تتارستان بمشاركة رئيسها روستام مينيخانوف، ومفتيها، وكبار المسؤولين، ورجال الدين المسلمين والمسيحيين ذكرى "لقاء بلغار المقدس" الذي غيّر مجرى تاريخ حياة أسلاف سكّان الجمهورية، وفي هذا اللقاء أكّد رئيس الجمهورية أنّ الإسلام أصبح حافزًا؛ لتكوين التعدّد الديني في بلاده منذ تاريخ 922م أي وصول أحمد بن فضلان والوفد المرافق له[346].

الفرع الرابع: تأثير ابن فضلان في الثقافة الشعبية العربية والغربية

لما حوّلت مكتبة "الورّاق" الرقمية رسالة أحمد بن فضلان إلى كتاب مسموع من إلقاء أحمد حمزة تجاوز عدد مستمعيه على موقع YouTube العالمي أكثر من 294.8 ألف، وهذه دلالةٌ على الشعبية الكبيرة التي تحظى بها الرسالة في الأوساط العربية على الرغم من مرور قرون طويلة على أحداث تلك الرحلة المثيرة[347]، وقد اختار الكاتب الفلسطيني جهاد الترباني ابن فضلان ضمن قائمته لعظماء المسلمين المئة بعد الأنبياء، وذلك في كتابه "مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا

---

[344] يُنظر: **الملحق (ج)**

[345] يُنظر: **الملحق (د)**

[346] يُنظر: **الملحق (هـ)**

[347] راجع: "رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة / كتاب مسموع". **قناة Ali Al.Ghazi**، 13 أغسطس 2013، على: https://youtu.be/s7NuXTfU45o. (11 فبراير 2020)

مجرى التاريخ"[348] الذي نُشر أوّل مرة في 2010م، وأُعيد طبعه مرارًا نظرًا لشعبيته؛ فهو من أكثر الكتب مبيعًا على المستوى الشعبي في الوطن العربي، وكذلك اختار الكاتب السعودي فهد عامر الأحمدي ابن فضلان ضمن كتابه "الله وحده قادر على صنعهم: 55 شخصية مدهشة"[349] الذي صدر حديثًا في 2019م، وهو موجّه لتغذية الثقافة الشعبية في المقام الأوّل؛ لأنّ المنهج الذي اعتمده الكاتب لا يُوفّي الشروط العلمية من ناحية توثيق المعلومة، والتدقيق فيها كما يحظى اسم ابن فضلان بتفاعل كبير في مواقع التواصل الاجتماعي والوسط الشعبي الغربي حيث عبّر كثير منهم على صفحاتهم الشخصية عن إعجابهم بابن فضلان ورحلته[350].

---

[348] يُنظر: جهاد الترباني، **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ** (تقديم: محمد بن عبد الملك الزغبي، القاهرة: دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2010)، ص397 – 404.

[349] يُنظر: فهد عامر الأحمدي، **مرجع سابق**، ص91 – 95.

[350] يُنظر: **الملحق (و)**

المطلب الثاني: مجال الأدب والفنون:

امتدّ حضور ابن فضلان الحضاري إلى ميادين الأدب والفن، فكان مُلهمًا لأعمال ذاع صيتها عالميًّا، فأخذت من الشهرة مأخذًا واسع النطاق، ولم يسبق لعَلَم مُسلم أن يحظى بما حظي به ابن فضلان من اهتمام فريد شرقًا وغربًا بغض النظر عن التشويهات التي نالت سيرته، وتحويله إلى أسطورة خيالية إلّا أنّ هذا الحضور الحضاري في المشهد الأدبي والفني يُؤكّد أثر الرحالة ابن فضلان في حوار الحضارات، والصفحات القادمة تُسلّط الضوء على ذلك:

الفرع الأول: الأعمال الأدبية المرتبطة بابن فضلان

من الجانب الغربي، تقدّم ذكر رواية "أكلة الموتى" لكرايتون التي اختلقت سيرة خالية لابن فضلان، فنالت شهرة عالمية، ولا داعي لذكرها هنا، فعلى المنوال نفسه ألّف الروائي الفلسطيني محمد الأسعد روايته "شجرات المسرات: سيرة ابن فضلان السرية"[351]؛ ليقدّم فيها سردًا روائيًا بحسّ صوفي، فابتكر سيرةً جديدةً لحياة مختلفة عاشها ابن فضلان متعلّقةً بتحوّلات روحية ألّمت به في بغداد، وجعل الكاتب لابن فضلان ماضيًا يمتدّ إلى يثرب التي هرب منها إلى بغداد في شبابه، فبدأ فيها حياته، واتّصاله بالحضارات المجاورة، وأعلام عصره كالحلاج والجنيد، وشعراء بغداد وفقهائها، وكل ذلك مهّد لتحوّل آخر في حياته عندما انتقل إلى بلاد البلغار؛ ليقيم فيها، ويتعرّف على سندي تاجر القوارير، وحامل العقائد الهندية، ومن ثمّ يصل ابن فضلان بوساطة تجاربه الروحية إلى مراتب عليا في التصوف، فيرفض نظم الديانات الرسمية مؤكّدًا العلاقة الروحية بالله دون طقوس، ثم مزج الروائي بين الأزمنة القديمة والحديثة في سيرة ابن فضلان؛ ليعطي أكبر

---

[351]محمد الأسعد، **شجرة المسرات: سيرة ابن فضلان السرية**. بيروت: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

مساحة لخياله الواسع[352]، وهذه الرواية على الرغم من أنّها صدرت عن دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر في 2004م إلّا أنّها لم تنتشر انتشارًا كبيرًا، ولم تحظ بشهرة مثيلة لتلك الرواية الغربية، ولكنّها تأتي في سياق التفاعل الحضاري مع ابن فضلان ورحلته، فالروائي الغربي كرايتون اختلق سيرةً خياليةً لابن فضلان، وجاراه الروائي العربي الأسعد، والفارق أن الأسعد فَلْسَف سيرة ابن فضلان، وجعلها في قالب ديني متصوف متشابك، ومزجها مزجًا بين القديم والحديث، فابن فضلان الأسعد "متصوف"، وابن فضلان كرايتون "مُحارب".

الفرع الثاني: الأعمال الفنية المرتبطة بابن فضلان:

لم تغب مغامرة ابن فضلان عن الأعمال التمثيلية، فقد تصدّر ابن فضلان الشاشات العالمية والعربية، وخصّص له فيلم سينمائي غربي إضافةً إلى مسلسل عربي[353]، ولوحات فنية عديدة تتزيّن بها المتاحف الروسية، وهذه أبهى صور التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب بتأثير ابن فضلان كما تُوضّح النقاط الآتية:

أولًا – فيلم المحارب الثالث عشر

أُعدّ فيلم المحارب الثالث عشر (The 13th Warrior) اعتمادًا على رواية مايكل كرايتون، وهو فيلم تاريخي خيالي مملوء بالمغامرات، عُرض في 27 أغسطس 1999م، وأخرجه جون مكتيرنان، وكتب نصّه ويليام فيشر، ووارن لويس، ومثّل دور ابن فضلان المُمثل الإسباني العالمي أنطونيو بانديراس، وشارك فيه مملثون عالميون مشاهير من أمثال: دايان فينورا، ودينيس ستورهوي،

---

[352]يُنظر: خالد سعيد، "شجرة المسرّات سيرة ابن فضلان السرية المؤلف: محمد الأسعد الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر". **الجريدة**، 31 أغسطس 2007، على:
https://www.aljarida.com/articles/1461292857776079900. (11 فبراير 2020)

[353]انظر إلى أغلفة الأعمال التي مُثلت لابن فضلان في **الملحق (ز)**

وفلاديمير كوليش إضافةً إلى الممثل العربي عمر الشريف، وحقّق الفيلم أرقام مشاهدة خيالية في مختلف العالم[354]، ولاقى صعوبة كبيرة تمثّلت في تحقيق مناخ تاريخي واقعي يُحاكي تلك الحقبة، واستعلمت فيه لغات عديدة إلى جانب الإنجليزية، وبلغت عائداته 62 مليون دولار في جميع أنحاء العالم في حين أن ميزانية إنتاجه أكثر من 80 مليون دولار[355]، وعلى الرغم من أنّه جسّد رواية كرايتون المشوّهة لصورة ابن فضلان إلّا أنّه ساهم في دفع التفاعل الحضاري، وتشهير ابن فضلان على مستوى العالم.

ثانيًا – مسلسل سقف العالم

لمّا شنّت الصحف الغربية حملةً على الإسلام، ونشرت رسومًا مسيئة عن النبي – ﷺ – في سياق التأجيج لصراع الحضارات، أعدّ المخرج السوري نجدة أنزور ردًّا على تلك الحملات المسيئة مسلسلًا دراميًّا بعنوان "سقف العالم" كتبه حسن يوسف، ومثّل المسلسل مغامرات الرحّالة أحمد بن فضلان طبقًا لرواية كرايتون أيضًا، ووصف المخرج عمله بأنّه: «ردّ حضاري موثّق بلغة الفنّ الراقية على تطاولات بعض الدنماركيين على مقدّسات المسلمين، ومحاولاتهم الإساءة إلى الرسول الكريم»[356]، وقد تألّف المسلسل من ثلاثين حلقة، وأدرج المخرج في بداية كل حلقة أقوال بعض الزعماء، والمفكرين والأدباء الذين أشادوا بعبقرية النبي الأكرم – ﷺ –، ومدحوا صفاته، مثل: الروائية الإنجليزية جاين أوستن (1775 – 1817م)، والروائي الأمريكي واشنطن إيرفينغ

---

[354] يُنظر: عبد النبي اصطيف، **مرجع سابق**، ص74.

[355] يُنظر: رضوان السائحي، **مرجع سابق**، ص20.

[356] "نجدة أنزور: «سقف العالم» رد حضاري على الرسوم المسيئة للرسول". **صحيفة البيان الإماراتية**، 23 يونيو 2007، على: https://www.albayan.ae/economy/2007-06-23-1.774912. (11 فبراير 2020)

(1783 – 1859م)، والطبيب البريطاني وليام دريبر (1811 – 1882م)، وجورج برنارد شو (1856 – 1950م)، والمهاتما غاندي (1869 – 1948م)، وغيرهم[357].

ثالثًا – لوحات فنية استلهمت من رحلة ابن فضلان

وصل التفاعل الحضاري مع ابن فضلان إلى ريشة الرسّامين العالميين، فقد وظّف الفنان الأكاديمي البولندي الروسي هنري سميرادسكي (1843 – 1902م) رسالة ابن فضلان في رسم لوحته الشهيرة بـ"طقس الجنازة لأحد نبلاء الروس القدماء"، وتعدّ من أهمّ لوحاته، وهي في المتحف التاريخي بموسكو[358] كما رسم الفنان باك أورمانش في 1973م لوحة زيتية على القماش عن وصول الرحالة أحمد بن فضلان إلى بلاد البلغار، وهي معروضة في متحف الفنون الجميلة بجمهورية تتارستان (قازان)[359]، وفي 4 مايو 2011م، احتفلت جامعة فورونيج الروسية بوضع تمثال فني منحوت للرحّالة أحمد بن فضلان، وقد أهدى التمثال إلى الجامعة محافظ بغداد صلاح عبد الرزاق، وجاء اختيار ابن فضلان دليلًا على عمق العلاقات الحضارية مع روسيا[360].

الفرع الثالث: ابن فضلان في جائزة ومسابقة ودار نشر أدبية

حصل كتاب "العجائبية في أدب الرحلات: رحلة ابن فضلان نموذجًا" للدكتورة الجزائرية الخامسة علاوي على جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة لعامي 2008 – 2009م، وتعدّ هذه الجائزة من أهمّ الجوائز الأدبية على مستوى الوطن العربي، وقد استحقّت دراسة ابن فضلان الفوز بالجائزة

---

[357]يُنظر: رضوان السائحي، **مرجع سابق**، ص20.

[358]يُنظر: معجب بن سعيد العدواني، **مرجع سابق**، ص97.

[359]اللوحات الفنية المستلهمة من رحلة ابن فضلان كثيرة، ولم يستطع الباحث أن يحدّد أسماء رسّاميها. **يُنظر: الملحق (ح)**

[360]يُنظر: **الملحق (ط)**

خاصّةً وأنّ الدراسات عنه قليلة جدًّا[361]، وفي 2015م دشنت الجمعية السويدية – الأردنية، وجمعية أيادي الأم الفنلندية، وجمعية الصداقة الفنلندية – الأردنية مسابقةً أدبيةً عنوانها "مسابقة ابن فضلان لراوي وشاعر المهجر الإسكندنافي" أي إنها اتّخذت من اسم الرحّالة ابن فضلان شعارًا جامعًا لهذا التلاقي الحضاري بين المهاجرين من الشرق إلى تلك الناحية من الغرب، ورمت هذه المسابقة إلى تشجيع الموهوبين على المستوى الثقافي من الأطفال والناشئة المقيمين في مهجرهم ببلاد إسكندنافيا[362]، وفي 2016م أطلقت الكاتبة والروائية الإماراتية نورة النومان دار نشر متخصّصة بقصص الخيال العلمي والفانتازيا تحت اسم "مخطوطة 5229"، وقد اختارت هذا الاسم تكريمًا لمخطوطة ابن فضلان التي اكتشفت في مشهد تحت عنوان "MS5229"[363].

---

[361] يُنظر: أسماء الفائزين بجائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي في موقع: **ارتياد الآفاق**، 3 يونيو 2014، على: http://alrihlah.com/prize/winners/552. (11 فبراير 2020)

[362] يُنظر: "إطلاق مسابقة "ابن فضلان" لراوي وشاعر المهجر الإسكندنافي". **غربةjo**، 7 ديسمبر 2015، على: https://www.ghorbajo.com/7455. (11 فبراير 2020)

[363] يُنظر: **الملحق (ي)**

الخاتمة

أوّلًا – الاستنتاجات

ثانيًا – التوصيات

ثالثًا – المقترحات

الخاتمة

عند هذا الحدّ النهائي، اكتملت الرحلة، وحطّت رحلها، ووصلت إلى مقصدها الأخير حيث جاءت الخاتمة؛ لتعرض ما حملته من استنتاجات مستنبطة ممّا سبق بحثه، وتُقدّم توصيات مستفادة من الرحلة البحثية إضافةً إلى مقترحات قد تفتح آفاقًا جديدةً لدراسات مستقبلية عن الرحّالة ابن فضلان، ومن شأنها أن تُضيف على هذا البناء المُتواضع، وتجدّده بالمفيد.

أولًا – الاستنتاجات:

تستخلص الدراسة من أوّل رحلتها البحثية إلى آخرها تسلسلًا الاستنتاجات الآتية:

- أدب الرحلات ذخيرةٌ معرفيةٌ ثريةٌ، ويحتلّ موقعًا مهمًّا في خريطة حوار الحضارات؛ إذ يوفّر سجلًّا للحوار الحي بين طرفين مختلفين حضاريًّا، ولمّا حرص الإسلام على الرحلة، ضربت أقدام الرحّالة المسلمين الأرض، وجابوا البلدان من أدناها إلى أقصاها، وتخالطوا مع أمم شتّى؛ فأبدعوا في توثيق مشاهداتهم، وخلّفوا تراثًا زاخرًا بالمعرفة الإنسانية، فنُقشت أسماؤهم على حجر العظماء، وكان أحمد بن فضلان من أولئك الرحّالة المميّزين، فقد ترك أثرًا إيجابيًّا في حوار الحضارات.
- الرحّالة ابن فضلان هو أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد الرازي ثم البغدادي، ولد في العراق، وعاش بين القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكانت أسرته عجمية من موالي الأمير محمّد بن سليمان بن علي العبّاسي الهاشمي، وعمل والده في التجارة ببغداد. طلب ابن فضلان العلم، وخالط علماء عصره، وبرع في الرواية، وعُرف من سيرته ورعه وزهده، وتمسّكه بالإسلام. اختاره الخليفة العباسي المقتدر بالله ضمن وفد رسميّ موجّه إلى ملك الصقالبة (البلغار)، وكلّفه بمهمّة قراءة الكتب عليه، وتسليم الهدايا والأموال إليه، وقد

أنجز مهمّته بعدما رحل من بغداد إلى بلاد العجم والترك، ثم الصقالبة، ولمّا عاد إلى بغداد كتب تقريرًا عن رحلته، فرصد فيه مشاهداته، فكانت رسالته التي اُشتُهرت باسمه، وللرسالة محتوى أصيل كتبه ابن فضلان نفسه، ومحتوى مُزيّف لُفّق عليه.

- أثبتت هذه الدراسة صحّة الفرضية التي قامت عليها، فللرحّالة ابن فضلان أثرٌ إيجابي واضح في حوار الحضارات، وتجلّى هذا الأثر في ثلاثة مستويات:

1) **المستوى المنهجي:** اتّبع ابن فضلان منهجًا رزينًا طوال رحلته الحوارية، فسجّل مشاهداته الدقيقة عن الآخر المختلف مرتفعًا إلى أعلى مراتب التجرّد والموضوعية، فقدّم صورًا متنوّعة للآخر بعيدًا عن التنميط والقولبة، وحرص أن ينظر إلى الآخر بحالاته المختلفة، ولهذا تعايش معه؛ ليتعرّف على سلوكه، وعاداته، ودينه، وبناءً على المشاهدة والمعايشة طرح وصفه الديني والحضاري لأمم مختلفة من ترك، وصقالبة، وروس، وخزر، وكانت نظرته واسعة، فلامس جوانب متعدّدة من حياة تلك الأمم كالديانات، والسياسات، وأنظمة المجتمع، والاقتصاد، والجغرافيا، والعمران، ولم يكتف بالوصف وحده بل تجاوز إلى النقد، وكان متّزنًا في نقده، فلم يكثر فيه، ولم ينتقد لمجرّد النقد بل نقده محدود بإطار الشريعة الإسلامية، وهذا المنهج الذي سلكه ابن فضلان يُفيد المُحاور؛ ليكون مبتعدًا عن الإطلاقات الطائشة في تعامله مع الآخر، ويجهد نفسه في التعرّف على الآخر في صورة كاملة لا مبتورة، فالتعرّف على الآخر يحتاج إلى فهمه، ولا يكون الفهم دون معايشته، ووصف حياته، وهذا الوصف لا بدّ أن يكون بصدق وعدل دون إجحاف، والمحاور المسلم مطالب شرعًا قبل غيره بالعدل في الحكم على الآخرين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[364].

2) **مستوى الحوار العملي:** لم تكن الحوارات التي دخل فيها ابن فضلان، وكان طرفًا فيها أو شهدها، فدوّنها ذات صبغة واحدة؛ بل كانت واسعةً ومتنوّعةً، وتمثّلت في: الحوار الديني، والحوار السياسي، والحوار الثقافي، وتنوّعت شخصيته في هذه الحوارات بين شخصية المُحاور الذي لديه الحجّة من نقل أو عقل، ويريد أن يلزم بها غيره، وشخصية المُحاور الباحث الذي يُريد أن يعرف الشيء، ويتثقّف دون أن يصدر الحكم عليه، وعلى هذا ينبغي لأيّ محاور أن يُحدد شخصيته قبل أن يدخل في الحوار كما فعل ابن فضلان، وأن يكون متوسّعًا بقدر إمكانه، فلا يجهد نفسه في مجال، ويدع مجالًا آخر إلّا في قيود الاختصاص، ثُمّ إن ابن فضلان من عدله كان يعترف بقوة حجّة مخالفه، ويقرّ بها دون تكبّر أو تعالٍ، وهذه صفة المحاور المتميّز الذي لا يُكابر عندما تُقام عليه الحجّة بل يعترف بها، وينقاد إليها.

3) **مستوى التفاعل الحضاري:** تبرز جودة الرحلة الفضلانية في ثمراتها الحضارية، فقد قدّمت للإنسانية مادّةً معرفيةً جديدةً في التواصل بين الحضارات المختلفة، ولهذا كان ابن فضلان من نوادر الرحالة الذين تركوا بصمةً واضحةً في مسار العلاقات الحضارية، ومثل شخصيّته قليلة التكرار في حياة البشر، فقد بلغت شهرته الآفاق، وتمتّع بتفاعل حضاري من المسلمين وغيرهم، فكان من أوجه هذا التفاعل: اتّخاذ مادة رحلته مصدرًا معتمدًا يُرجع إليه عند كتابة تاريخ الأمم التي قابلها، وتحديد بعض المواقع الجغرافية التي زارها، ثم

---

[364] المائدة: 8

تخليد اسمه بإطلاقه على مرافق وشوارع في عدّة دول عربية، واستلهام أعمال فنية وسينمائية من مادة الرحلة المتداولة عالميًّا، والمنتشرة في الأوساط الثقافية الشعبية في عدد كبير من الدول الإسلامية والغربية، وهذا التفاعل الحضاري الذي أحدثه ابن فضلان على الرغم من وفاته قبل أكثر من ألف سنة يثبت أثره البالغ في حوار الحضارات.

ثانيًا – التوصيات:

في ضوء الاستنتاجات التي توصّلت إليها الدراسة، فإنّها تضع التوصيات الآتية على طاولة الجهات المعنية لعلّها تستفيد منها:

- الاحتفاء بالرحّالة أحمد بن فضلان، وتخليد ذكره، وإطلاق اسمه على أيٍّ من المرافق الثقافية في دولة قطر خاصّةً تلك المهتمّة بالبُعد الإسلامي لحوار الحضارات.
- إبراز سيرة الرحّالة ابن فضلان وغيره من الرحّالة المسلمين في المناهج التعليمية في مدارس دولة قطر، والمقرّرات الدراسية في جامعة قطر.
- استفادة الرحّالة المسلمين من تجربة ابن فضلان، والحذو حذوه في كتابة مشاهداتهم الدينية والحضارية، وتدوينها؛ لتكون إرثًا عظيمًا للأجيال القادمة من أبناء الأمّة الإسلامية، والإنسانية جمعاء.
- استئناف الرحلات الإسلامية ذات الطابع الدعوي والتواصل الحضاري، وإعداد كوادر من الرحّالة المسلمين تكون غايتهم إعلاء شأن حوار الحضارات، والتطوير منه استكمالًا لجهود سلف الأمة.

- زيادة اهتمام برنامج ماجستير الأديان وحوار الحضارات بالرحّالة المسلمين، والمساهمة في عرض جهودهم، وذلك بعقد ندوات علمية عنهم، والتوسّع في دراستهم من خلال المقرّرات الدراسية.
- تخصيص أحسن بحث عن "دور الرحّالة المسلمين في حوار الحضارات" ضمن جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات بالتعاون بين كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر واللجنة القطرية لتحالف الحضارات.
- مشاركة وسائل الإعلام في إبراز ابن فضلان، والاعتناء بسيرته، ونشر محتوى رحلته.

ثالثًا – المقترحات:

إنّ هذه الدراسة ليست سوى جهد بشري تعتريه النواقص حتمًا، ولإكمالها يقدّم الباحث مجموعة من المقترحات التي قد تساعد الدراسات المستقبلية عن الرحّالة أحمد بن فضلان على وفق الآتي:

- ترجمة الدراسات الأجنبية خصوصًا الروسية والألمانية والإسكندنافية التي كُتبت عن ابن فضلان، ونقدها بمنهج علمي رصين، وذلك في دراسة مستقلّة تستفيد منها المكتبة العربية.
- عقد مقارنة بين رحلة ابن فضلان وغيرها من رحلات الرحّالة المسلمين أو الغربيين من جهة الإسهام في مجال حوار الحضارات.
- التنويع في أوجه الاستفادة من رحلة ابن فضلان كأن تُدرس الجوانب التي لم تسبق دراستها من قبل كالجانب السياسي والاجتماعي.

ختامًا – نحمد الله الذي أنعم علينا بإتمام هذا البحث، وإخراجه إلى النور، ونسأله أن يكون خالصًا لوجه الكريم، وأن ينتفع منه المطّلعون عليه، وصلّى الله على المبعوث رحمةً للعالمين

محمّد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب:

- القرآن الكريم

1. إبراهيم، عبد الله. **المركزية الإسلامية: صورة الآخر في الخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى**. بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 2001.

2. إبراهيم، عبد الله. **المطابقة والاختلاف: بحث في نقد المركزيات الثقافية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005.

3. ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ج16، ط2، 1967.

4. ابن الجوزي، أبو الفرج. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج12، ط3، 2012.

5. ابن الجوزي، أبو الفرج. **سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان**. تعليق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002.

6. ابن الفقيه، أحمد بن محمد. **البلدان**. تحقيق: يوسف الهادي، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1996.

7. ابن الملقن سراج الدين أبو حفص المصري، **طبقات الأولياء**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2011.

8. ابن الوردي، سراج الدين عمر بن مظفر. **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**. أوبسالة: دار الطباعة المدرسية، 1838.

9. ابن تغري بردي، جمال الدين. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. تقديم: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ط1، 1992.

10. ابن حماد، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد، **رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ - 921م**. سلسلة التراث، القاهرة: مكتبة الأسرة، ط1، 2006.

11. ابن حماد، أحمد بن فضلان. **رسالة ابن فضلان**. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط2، 1978.

12. ابن فضلان، أحمد. **رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة 921**. تحقيق: شاكر لعيبي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

13. ابن فضلان، أحمد. **رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ – 921م**. تحقيق: سامي الدهان، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط1، 1959.

14. أبو أصبع، صالح؛ وآخرون. **ثقافة التواصل: التاريخ والسيرورة**. أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر، الأردن: منشورات جامعة فيلادلفيا، ط2، 2011.

15. أبو سعد، أحمد. **أدب الرحلات**. بيروت: منشورات دار الشرق الجديد، ط1، 1961.

16. أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. بيروت: دار الفكر، ج10، 1996.

17. أحمد، رمضان أحمد. **الرحلة والرحالة المسلمون**. جدة: دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

18. الأحمد، علي. **الجانب الدعوي في رحلة ابن فضلان إلى بلاد البلغار عام 309هـ**. الرياض: دار التوحيد للنشر، ط1، 2014.

19. أحمد، نفيس. **جهود المسلمين في الجغرافيا**. ترجمة: فتحي عثمان، ومراجعة: علي أدهم، القاهرة: دار القلم، 1947.

20. الأحمدي، فهد عامر. **الله وحده قادر على صنعهم: 55 شخصية مدهشة**. الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 2019.

21. الأسعد، محمد. **شجرة المسرات: سيرة ابن فضلان السرية**. بيروت: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

22. بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش. **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**. ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ط1، 1981.

23. البستاني، بطرس. **دائرة المعارف**. بيروت: مطبعة المعارف، مج2، 1877.

24. بعلي، حفناوي. **موسوعة الرحلات الحجازية**. الأردن: دار الأيام للنشر والتوزيع، ط1، 2019.

25. البغدادي، أبو بكر الخطيب. **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج8، ط3، 2011.

26. البغدادي، إسماعيل باشا. **هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**. اعتناء: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، مج6، ط2، 2018.

27. البقالي، أحمد عبد السلام. **مغامرات سفير عربي في إسكاندينافيا منذ ألف عام**. الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2003.

28. بن جماعة، عز الدين. **المختصر الكبير في سيرة النبي محمد** – ﷺ –. دراسة وتحقيق: كرم حلمي فرحات، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط1، 2005.

29. بن نبي، مالك. **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**. ترجمة: بسام بركة، وأحمد شعبو، دمشق: دار الفكر العربي، ط6، 2005.

30. البيهقي، أبو بكر. **كتاب الزهد الكبير**. تحقيق: عامر أحمد حيدر، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط3، 1996.

31. التربياني، جهاد. **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**. تقديم: محمد بن عبد الملك الزغبي، القاهرة: دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2010.

32. التويجري، عبد العزيز بن عثمان. **العالم الإسلامي في عصر العولمة**. القاهرة: دار الشروق، ط1، 2004.

33. الجبراني، حسن. **الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول**. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2016.

34. الجبوري، كامل سلمان جاسم. **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م**. بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ط1، 2003.

35. الجراح، نوري (تحرير وتقديم). **أوروبا في مرايا الرحالين العرب: المعرفة، الحداثة، الآخر**. أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

36. جمعة، مصطفى عطية. **الحوار في السيرة النبوية**. القاهرة: شمس للنشر والإعلام، ط1، 2015.

37. حسن خان، محمد صديق. **لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985.

38. حسن، زكي محمد. **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.

39. حمود، خضر موسى محمد. **أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2011.

40. حمود، سوزي. **الدولة العباسية: مراحل تاريخها وحضارتها**. تقديم: عصام شبارو، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2015.

41. الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، (ج1، ج2، ج3، ج5)، ط2، 1995.

42. حميدان، زهير. **أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية**. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، مج1، 1995.

43. حميدة، عبد الحميد. **أعلام الجغرافيين العراب ومقتطفات من آثارهم**. دمشق: دار الفكر، ط1، 1984.

44. حيدر، محمود (محرر). **تجارب استغرابية: الغرب في مرآة في الرحالة العرب والمسلمين**. سلسلة التأسيس لعلم الاستغراب، النجف: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط1، 2019.

45. خالد، أحمد. **في حوار الحضارات والأديان: الفقيه ابن فضلان ورحلته إلى حوض الفولقا**. تونس: منشورات زخارف، ط1، 2009.

46. الخشبة، غطاس عبد الملك. **رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج**. القاهرة: دار الهلال، ط2، 1999.

47. خفاجي، محمد عبد المنعم. **أبو دلف عبقري من ينبع**. الرياض: شركة مطابع الجزيرة، ط1، 1972.

48. الخيون، رشيد. **المباح واللامباح: فصول من التراث الإسلامي**. بوسطن: دار مهجر للنشر والتوزيع، ط1، 2005.

49. الدمشقي، ابن عساكر. **تاريخ مدينة دمشق**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج29، ط1، 2012.

50. الذهبي، شمس الدين. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج14، ط1، 2003.

51. الذهبي، شمس الدين. **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج10، ط2، 2010.

52. راغب، أحمد. **القراءة السريعة مهد العظماء**. مصر: روابط للنشر وتقنية المعلومات، ط1، 2019.

53. رضا، محمد. **عمر بن الخطاب الفاروق: ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم**. تحقيق: محمد أمين ضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2013.

54. الرمزي، م. م. **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002.

55. الريامي، كمال بن محمد. **مشاهير الرحالة العرب**. القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

56. الزبيدي، مرتضى. **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود، ج11، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2012.

57. الزركلي، خير الدين. **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. بيروت: دار العلم للملايين، (ج1، ج2، ج5، ج6)، ط15، 2002.

58. زيادة، نقولا. **الجغرافية والرحلات عند العرب**. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1987.

59. زيادة، نقولا. **الرحالة العرب**. سلسلة الألف كتاب (97)، القاهرة: دار الهلال، 1959.

60. زيدان، جرجي. **تاريخ آداب اللغة العربية**. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.

61. الساوري، بوشعيب. **الرحلة والنسق: دراسة في إنتاج النص الرحلي: رحلة ابن فضلان نموذجًا**. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2017.

62. سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي. **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**. تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت: دار الكتب العلمية، ج10: 256 – 329هـ، ط1، 2013.

63. سزكين، فؤاد. **مجموع في الجغرافيا مما ألفه ابن الفقيه وابن فضلان وأبودلف الخزرجي**. فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، سلسلة ج، عيون التراث؛ مج43، 1987.

64. سعدي، محمد. **دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم**. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، سلسلة محاضرات الإمارات (154)، ط1، 2012.

65. سعيد، إدوارد. **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**. ترجمة: محمد عناني، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

66. سلطان، سعيد أحمد. **محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز: الواقع والتاريخ**. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط1، 2005.

67. سوكاح، زهير. **من حوار الحضارات إلى حضارات الحوار: رؤية تقويمية**. الدوحة: جامعة قطر واللجنة القطرية لتحالف الحضارات، البحث الفائز بجائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، 2018.

68. الشقران، نهلة. **خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري**. الأردن: الآن ناشرون وموزعون. ط1، 2015.

69. شلق، علي. **العقل العلمي في الإسلام**. طرابلس: جروس برس، ط1، 1992.

70. الشهابي، مصطفى. **الجغرافيون العرب**. تحقيق: نبيل أبو القاسم. القاهرة: مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

71. الشوابكة، نوال عبد الرحمن. **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**. الأردن: دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

72. الشيخ، خليل (محرّر). **رحلة ابن فضلان**. سلسلة عيون النثر العربي القديم، أبو ظبي: دار الكتب الوطنية، ط1، 2014.

73. الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف. **الرحلة في الإسلام: أنواعها وآدابها**. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 1996.

74. الصيداوي، ابن جميع. **معجم الشيوخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: مؤسسة الرسالة، وطرابلس: دار الإيمان، ط1، 1985.

75. طه، عبد الواحد ذنون. **الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق**. بيروت: دار المدار الإسلامي، ط1، 2005.

76. عباس، عباس عبد الحليم. **خطاب المثاقفة وحوار الحضارات: قرن من الدراسات الأدبية والنقدية العربية المقارنة "النوافذ المشرعة"**. الأردن: شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2017.

77. العبودي، محمد بن ناصر. **بلاد التتار والبلغار**. سلسلة دعوة الحق (188)، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1999.

78. عبيد، طه خضر. **الحضارة العربية الإسلامية: الوحدة – التنوع – الاتصال – التأثير**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2012.

79. العدواني، معجب. **القراءة التناصية الثقافية**. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، ط1، 2019.

80. العربي، إسماعيل. **تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

81. العربي، فوزي رضوان. **المدخل في الأنثروبولوجيا التطبيقية**. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1981.

82. العسقلاني، ابن حجر. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**. القاهرة: دار الريان للتراث، ج6، د.ط، 1986.

83. عطاوي، عبد الرحيم. **الاستشراق الروسي: مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في روسيا**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2002.

84. عطية، محمد عطية. **مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية ونظمها**. الأردن: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع. ط1، 2011.

85. عكاوي، رحاب خضر. **موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة**. ج2، بيروت: دار الفكر العربي، ط1، 1993.

86. علاوي، الخامسة. **العجائبية في أدب الرحلات: رحلة ابن فضلان نموذجًا**. أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2011.

87. علوي، س. م. ضياء الدين. **الجغرافيا العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين)**. تعريب وتحقيق: عبد الله يوسف الغنيم وطه محمد جاد، جدة: دار المدني، ط1، 1984.

88. علي باشا، محمد. **الرحلة الأميركية 1912**. تحرير وتقديم: علي أحمد كنعان، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2014.

89. علي بن عبد العزيز العلي آل شبل (محقّق)، **مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما**. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، 2004.

90. غارودي، روجيه. **من أجل حوار بين الحضارات**. ترجمة: ذوقان قرقوط، الأردن: دار النفائس، ط2، 2007.

91. غسان، عبد الخالق وآخرون (تحرير ومراجعة). **النقد الحضاري في الوطن العربي**. الأردن: دار فضاءات للنشر والتوزيع ومنشورات جامعة فيلادلفيا، ق1 – 2، ط1، 2018.

92. غيبة، حيدر محمد. **رسالة ابن فضلان: مبعوث الخليفة العباسي المقتدر إلى بلاد الصقالبة عن رحلته إلى بلاد الترك والخزر والصقالبة والروس واسكندنافيا في القرن العاشر ميلادي**. بيروت: الشركة العالمية للكتب ودار الكتاب العالمي – مكتبة المدرسة، ط1، 1994.

93. فكار، رشدي. **عن الحوار الحضاري في بعد واحد**. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1988.

94. فهيم، حسين محمد. **أدب الرحلات**. الكويت: عالم المعرفة، 138، يونيو 1989.

95. فوكوياما، فرانسيس. **نهاية التاريخ**. ترجمة وتعليق: حسين الشيخ، بيروت: دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ط1، 1993.

96. قداح، رؤى حسين. **مسار الشمال: الآخرية الفاعلة والذات المستلبة في رحلة ابن فضلان: قراءة في الأطروحة المغيبة في رسالة ابن فضلان**. سلسلة الدراسات (2)، دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 2014.

97. القزويني. زكريا بن محمد. **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 2000.

98. القزويني، زكريا بن محمد. **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت: دار صادر، ط1، 1960.

99. قنديل، فؤاد. **أدب الرحلة في التراث العربي**. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، 2002.

100. الكبيسي، محمد شاكر عبد الله. **سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007.

101. كحالة، عمر رضا. **معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ، والتراجم، والجغرافية، والرحلات**. ج1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993.

102. كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش. **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**. ترجمة: صلاح الدين هاشم، ومراجعة: إيغور بليايف، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر في جامعة الدول العربية، ج1، 1963.

103. كرايتون، مايكل. **أكلة الموتى عن مخطوطة ابن فضلان**. ترجمة: تيسير كامل، القاهرة: دار الهلال، ط2، 1999.

104. كلاس، ناظم. **بحوث ودراسات في التاريخ العربي**. دمشق: دار شمال للطباعة والنشر، ط1، 1992.

105. محمود، جميل مصعب. **الحوار العربي الأمريكي**. الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

106. المدني، سليمان. **أكلة لحوم البشر: عن مخطوطة لابن فضلان**. دمشق: دار الأنوار للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.

107. مراد، يحيى. **معجم أسماء المستشرقين**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004.

108. المرسي، ابن سيده. **المحكم والمحيط الأعظم**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ط1، 2000.

109. المطاع، أحمد بن أحمد بن محمد. **تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204هـ – إلى سنة 1006**. تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1986.

110. المقدسي، ضياء الدين. **كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب**. تحقيق: محمد أحمد عاشور وجمال عبد المنعم الكومي، القاهرة: الدار الذهبية، 1994.

111. الموصلي، الحسين بن نصر ابن خميس. **مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار**. تحقيق: محمد أديب الجادر، الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2006.

112. الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة. **معارج التفكر ودقائق التدبر**. دمشق: دار القلم، مج2، ط1، 2000.

113. نصار، حسين. **أدب الرحلة**، سلسلة أدبيات، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1991.

114. النملة، علي بن إبراهيم. **تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحديات**. الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1995.

115. الهادي، يوسف (مترجم ومحقق). **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط1، 2000.

116. هنتنجتون، صامويل. **صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي**. ترجمة طلعت الشايب، بيروت: سطور، ط2، 1999.

117. اليزيدي، أروى بنت علي بن محمد. **الهجرة إلى الحبشة وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية**. مكة المكرمة: دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

ب- الدوريات:

1. إبراهيم، عبد الله. "عوالم متداخلة، عوالم متجاورة: الالتباسات الثقافية بين الأنا والآخر في رحلة ابن فضلان إلى بلاد الشام". **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية:** جامعة قطر – كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، س23، ع23 (2000): 398 – 440.

2. إبراهيم، فاضل خليل. "من أدب الرحلات عند العرب: مطالعة في رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والدوس والصقالبة سنة 921/309م". **تاريخ العرب والعالم: دار النشر العربية للدراسات والتوثيق**، مج8، ع92،91 (1986): 90 – 91.

3. أبو سمحة، عبد السلام أحمد. "أبعاد غائبة في حوار الحضارات: مؤتمر دولي نظمته كلية الآداب بجامعة الإسراء الخاصة / عمان – الأردن في الفترة 15 – 16 رجب 1430هـ الموافق 8 – 9 تموز 2009م". **إسلامية المعرفة**، س15، ع59 (شتاء 1431هـ/2010م): 172 – 180.

4. اصطيف، عبد النبي. "تلقي الغرب لرسالة ابن فضلان". **التراث العربي: اتحاد الكتاب العرب**، مج31، ع129 (2013): 67 – 76.

5. أمين، أحمد. "4 سنوات في بلاد الصقالبة والروس: ابن فضلان". **الوعي الإسلامي**، س52، ع603 (2015): 48 – 51.

6. أمين، حسين. "الحركة الثقافية في القران الرابع الهجري في العراق". **المورد**، ع1 (يناير 2007): 88 – 101.

7. باجابر، نوير بنت سعيد بن عبود. "رحلة ابن فضلان: دراسة في البنية والدلالة". **مجلة الآداب واللغات:** جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – كلية الآداب واللغات، ع4 (2016): 11 – 38.

8. بحري، نصيرة. "أدب الرحلة: إشكالية المصطلح وزئبقية المفهوم". **حوليات التراث**، ع19 (2019): 39 – 55.

9. بركة، محمد سيد. "رحلة ابن فضلان إلى بلاد البلغار". **المنهل**، س64، ع553 (أكتوبر 1998): 56 – 61.

10. البقالي، أحمد عبد السلام. "ابن فضلان في مملكة روثغار: مغامرات سفير عربي بإسكاندينافيا منذ ألف عام". **الدارة**، مج9، ع3 (1984): 41 – 53.

11. البقالي، أحمد عبد السلام. "في البحث عن تراثنا الخالد: ابن فضلان يصف مبارزة إسكندنافية". **دعوة الحق**، ع225 (1982): 77 – 80.

12. البقالي، أحمد عبد السلام. "قصتي مع ابن فضلان". **الدوحة**، ع11 (نوفمبر 1979): 120 – 121.

13. البقالي، أحمد عبد السلام. "مغامرات ابن فضلان في إسكندينافيا منذ ألف عام". **المناهل**، ع25 (ديسمبر 1981): 237 – 259.

14. بليل، وداد. "صورة الأنا عبر الآخر في رحلتي ابن فضلان ومكايل كريشتن". **مجلة العلوم الإنسانية: جامعة منتوري قسنطينة**، ع36 (2011): 121 – 130.

15. بهي، عصام. "رسالة ابن فضلان: قراءة ثقافية". **ألف**، ع26 (2006): 105 – 137.

16. البورقادية، حبيبة. "ملامح الشعوب في أدب الرحلة". **المناهل**، ع3 (يوليو 1975): 211 – 217.

17. جستنية، بسمة بنت أحمد. "حوار الحضارات في مقابلة صدام الحضارات رؤية في ضوء الإسلام". **مجلة الدراسات الاجتماعية**، ع25 (يوليو – ديسمبر 2007): 53 – 90.

18. الجنابي، ميثم. "زكي وليدوف البشكيري: من عالم السياسة إلى ميدان العلم". **الفيصل**، ع287 (أغسطس 2000): 95 –97.

19. الحارثي، جوخة. "ابن فضلان في بلاد العجائب: الآخر في رحلة ابن فضلان". **مجلة الخليل للدراسات الأدبية واللغوية**، مج1، ع1 (2014): 89 – 113.

20. الحريري، محمد بن علي بن حسين. "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الصقالبة وإسكندينافيا: المراجعات والنقد". **عالم الكتب**، مج12، ع1 (1991): 105 – 109.

21. الحكيم، على أحمد. "قراءة في مؤلف مسار الشمال: الآخرية الفاعلة والذات المستلبة في رحلة ابن فضلان". **الموقف الأدبي**، مج45، ع540 (2016): 183 – 198.

22. خالد، أحمد. "رسالة ابن فضلان بين التقرير السفاري وأدب الرحلة". **الفكر**، ع6 (مارس 1970): 33 – 45.

23. خالد، أحمد. "رسالة ابن فضلان بين التقرير السفاري وأدب الرحلة –2". **الفكر**، ع7 (أبريل 1970): 71 – 79.

24. خالد، أحمد. "رسالة ابن فضلان بين التقرير السفاري وأدب الرحلة –3". **الفكر**، ع8 (مايو 1970): 50 – 57.

25. الخضراوي، إدريس. "مناهج دراسة الرحلة: كتاب الرحلة والنسق لبوشعيب الساوري نموذجا". علامات في النقد: النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج78 (2014): 79 – 95.

26. خولي، أحمد. "بينة الخطاب في الرحلة السفارية: رحلة ابن فضلان نموذجًا". **مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)**، مج 33، ع10 (2019): 1603 – 1617.

27. داغر، يوسف أسعد. "رحلة ابن فضلان إلى روسيا والبلغار". **الأديب**، ع1 (1 يناير 1962): 29 – 34.

28. الرحيلي، سليمان. "التأليف التاريخ في المشرق خلال القرن الرابع الهجري". **عالم الكتب**، مج16، ع4 (1 يوليو 1995): 315 – 329.

29. الرزاز، حسن. "في بلاد الله: البحر الأحمر.. منجم الذهب". **الفيصل**، ع161 (يونيو 1990): 19 – 27.

30. الرشيد، أنس سليم. "صورة الآخر في رسالة ابن فضلان ورواية أكلة الموتى". **المجلة العربية**، س37، ع435 (مارس 2013): 62 – 67.

31. رضا، عامر. "التعدد الثقافي وإشكالية التلقي في رحلة ابن فضلان". **مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية**، ع47 (2018): 111 – 124.

32. رضوان، رضا عبد الحكيم إسماعيل. "رحلة ابن فضلان: فجر بعثات الإسلام إلى شمالي أوروبا". **مجلة الرافد 2**، (2014): 29 – 32.

33. الريامي، طاهر أحمد محمد. "حوار الحضارات". **مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج15، ع12 (أكتوبر 2016): 305 – 323.

34. زيادة، خالد. "رحلة ابن فضلان". **الفكر العربي**، مج9، ع51 (1988): 107 – 118.

35. زيدان، أشرف محمد؛ وآخرون. "إضاءات قرآنية حول مفهوم حوار الحضارات". **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، مج3، ع2 (كانون الأول 2011): 54 – 82.

36. السائحي، رضوان. "ابن فضلان... وثق في رحلته الفنون والتاريخ والإنثروبولوجيا". **جريدة الفنون**، ع152 (1 مايو 2014): 16 – 20.

37. السري، أحمد علي حيدر. "صورة المرأة في كتب الرحلة في عصر الحضارة الإسلامية". **دورية كان التاريخية**، س9، ع31 (2016): 9 – 27.

38. السعد، أحمد حياوي، ومنى حسن علي. "تمثلات الآخر الاجتماعي في رسالة ابن فضلان: العادات والتقاليد أنموذجاً". **مجلة آداب البصرة**، ع84 (2018): 35 – 60.

39. السعد، أحمد حياوي، ومنى حسن علي. "مكانة الآخر ونوعه في رسالة ابن فضلان مقاربة ثقافيَّة". **مجلة الخليج العربي**، مج47، ع1 – 2 (2019): 249 – 267.

40. الشروش، علي أحمد. "صورة الآخر في رحلة أحمد بن فضلان". **أفكار**، ع259 (2010): 141 – 146.

41. الشمري، صادق مكي عليوي؛ وعمار محمد يونس الساعدي. "((قبائل الترك: أصولهم، صفاتهم، أنظمة الحكم لديهم في كتاب طبائع الحيوان للمروزي وفي رحلة ابن فضلان دراسة مقارنة))". **مجلة جامعة كربلاء**، مج13، ع1 (2015): 33 – 43.

42. الشمري، محمد كريم إبراهيم. "التأثير العربي الإسلامي على بلاد البلغار (الروس) من خلال رحلة ابن فضلان سنة 309هـ/921م". **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، مج9، ع4،3 (2006): 11 – 33.

43. طايع، رجاء. "الوهمي والحقيقي في حوار الحضارات". **المعرفة**، ع199 (1 سبتمبر 1978): 169 – 176.

44. طراد، مجيد مخلف. "الأبعاد الاجتماعية في رحلة ابن فضلان". **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، ع1 (مارس 2018): 89 – 99.

45. العاني، نزار خليل. "أدب الرحلة: ابن فضلان أنموذجًا". **المجلة العربية**، ع461 (أبريل 2015): 88 – 92.

46. العبادي، عبد الله بن حسن. "رسالة ابن فضلان إسهام رائد ومبكر في العلوم الاجتماعية". **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، ع9 (1993): 497 – 521.

47. عبد الخالق، غسان إسماعيل. "هل كان الرحالة المسلم متعصباً: رحلة ابن فضلان نموذجاً". **أفكار**، ع318 (2015): 13 – 19.

48. عبد اللطيف، أحمد توني. "الملامح الحضارية للصقالبة من خلال رسالة ابن فضلان". **مجلة الدراسات العربية**، ع5 (2000): 214 – 259.

49. عبود، عبده. "الأدب المقارن وحوار الحضارات". **الفيصل**، ع349 (أغسطس 2005): 34 – 47.

50. عثمان، مصطفى؛ ونور شريف. "أدوات الكتابة في مؤلفات الأدب الجغرافي العربي: ابن فضلان والمقدسي نموذجاً". **مجلة بحوث جامعة حلب**، ع78 (2011): 129 – 142.

51. العدواني، معجب بن سعيد. "مرايا الآخر: مقاربة ثقافية لرسالة ابن فضلان وانعكاساتها في الثقافة الغربية". **مجلة منتدى الأستاذ**، ع18 (2016): 9 – 28.

52. العرود، أحمد؛ وإبراهيم جوخان. "تقاطعات الواقعي والمتخيّل رحلة ابن فضلان وابن فطومة نموذجاً". **مجلة التربية والعلم**، مج19، ع4 (2012): 228 – 246.

53. عزام، عبد الوهاب. "البلغار المسلمون: صفحات مطوية من التاريخ الإسلامي – 1". **الثقافة**، ع261 (28 ديسمبر 1943): 33 – 35.

54. عزام، عبد الوهاب. "البلغار المسلمون: صفحات مطوية من التاريخ الإسلامي – 2". **الثقافة**، ع262 (4 يناير 1944): 14 – 16.

55. عناد، وجدان فريق. "بغداد مدينة الحوار الحضاري: رحلة ابن فضلان أنموذجًا: الدوافع والنتائج". **مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع9 (يوليو 2015): 199 – 213.

56. العنتيل، فوزي. "رسالة ابن فضلان في وصف رحلته الى بلاد البلغار والخزر". **تراث الإنسانية**، مج 8، ع3 (1968): 113 – 136.

57. غانم، عبد الحميد. "أدب الرحلات محصلة الأجناس الأدبية". **الموقف الأدبي**، ع514 (فبراير 2014): 165 – 170.

58. فتوح، عيسى. "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة 309هـ/921م". **الخفجي**، س30، ع8 (نوفمبر 2000): 44 – 45.

59. قاري، لطف الله. "رحلة ابن فضلان بين الواقع والخيال". **الفيصل**، س29، ع339 (نوفمبر 2004): 46 – 55.

60. قداح، رؤى حسين. "رحلة استلاب الذات قراءة في رسالة ابن فضلان بتحقيق حيدر محمد غيبة". **دراسات في اللغة العربيّة وآدابها**، مج4، ع16 (2014): 81–104.

61. قداح، رؤى حسين. "في أدب الرحلة: ابن فضلان في نص حيدر محمد غيبة". **الموقف الأدبي**: اتحاد الكتاب العرب، مج 42، ع512 (2013): 121 – 134.

62. قداح، رؤى حسين؛ ووفيق سليطين. "ابن فضلان في مسار الشمال الأصل والسرد والهوية". **المعرفة**، س57، ع658 (2018): 230 – 236.

63. كامل، تيسير. "أحمد بن فضلان البغدادي: الرحالة الإسلامي الذي اكتشف أوربا". **الثقافية**، س6، ع32/33 (ديسمبر 1999): 26 – 31.

64. كرد علي، محمد. "الجغرافية عند المشارقة". **المقتطف**، ع12 (ديسمبر 1900): 515 – 522.

65. الكيلاني، شمس الدين. "صورة أوربا في رحلة ابن فضلان (بلاد الخزر والبلغار والروس والإسكندنافيين)". **التسامح**، ع15 – 16 (صيف 2006): 248 – 281.

66. مجيد، محمد حسن علي. "أدب الرحلات العراقي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين". **المورد**، ع4 (أكتوبر 1989): 27 – 46.

67. مزالي، محمد. "نحو مستقبل أفضل أساسه حوار الحضارات". **الفكر**، ع8 (1 أغسطس 1977): 869 – 877.

68. مسعود، سامر. "قراءة في مخطوط أحمد بن فضلان عن رحلته إلى بلاد إسكندنافية". **آفاق المعرفة**، ع551 (أغسطس 2009): 284 – 294.

69. المواقي، ناصر عبد الرزاق. "ابن فضلان سفير الحضارة الإسلامية المفترى عليه!". **الفيصل**، س22، ع259 (مايو 1998): 99 – 101.

70. مينورسكي، م. ف. "الجغرافيون والرحالة المسلمون". ترجمة: عبد الرحمن حميدة، **دورية جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية**، ع73 (يناير 1985).

71. ناز، روبينه؛ ومؤيد فاضل. "أدب الرحلة: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره". **الإيضاح**، ع34 (يونيو 2017): 171 – 186.

72. وناس، زمان عبيد. "وصف المرض والموت لبلاد الترك والصقالبة البلغار والروس والخزر في رسالة ابن فضلان". **مجلة جامعة كربلاء العلمية**، مج10، ع1 (2012): 167 – 181.

ت- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. الأحمدي، سمر بنت عبد الله. "المؤرخون في القرن الرابع الهجري من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي". **بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي** (إشراف: سعد الموسى)، السعودية: جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2009.
2. أسماء، أوريبي. "تأثير أدب الرحلة في التقارب الحضاري". **مذكرة تخرج لنيل الماستر في أدب وحضارة عربية** (إشراف: حاج علي عبد الرحمن)، الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، 2016 – 2017.
3. بدحوش، سميرة، ودليلة بلعارف. "العجائبية في أدب الرحلة "ابن فضلان" أنموذجًا". **مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي** (إشراف عبلة معاندي)، الجزائر: جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية، كلية الآداب واللغات، 2018 – 2019.
4. خديجة، سرير. "مستويات اللغة في رحلة ابن فضلان". **مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في دراسات مقارنة بين الأدب والحضارة** (إشراف عبد القادر بن عزة). الجزائر: جامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2011 – 2012.
5. دليلة، نميش. "أدب الرحلة ودوره في التواصل بين الحضارات: رحلة ابن جبير نموذجًا". **مذكرة لنيل شهادة الماستر في دراسات أدبية** (إشراف: بغداد عبد الرحمن)، الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2016/2015.
6. زينب، صيافة. "أدب الرحلات وسيلة الاتّصال بين الشعوب والحضارات: ابن فضلان وابن خلدون نموذجان". **مذكرة الماستر** (غير منشورة)، الجزائر: جامعة عمار ثليجي – الأغواط، قسم اللغة العربية وآدابها، 2019/2018.
7. العايب، وهيبة؛ ونورة قريشي. "أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات". **مذكرة معدّة استكمالًا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في الآداب الأجنبية والأدب المقارن** (إشراف: نواف أبو ساري)، الجزائر: جامعة متنوري – قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 2011.
8. علاوي، الخامسة. "العجائبية في أدب الرحلة: رحلة ابن فضلان نموذجًا". **رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي** (إشراف: حمادي عبد الله). الجزائر: جامعة متنوري – قسنطينة، كليات اللغات والآداب، 2005، نشرت في 13 نوفمبر 2017.
9. فاتح، صطاف. "أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات". **مذكرة تخرّج مقدّمة لنيل شهادة الماستر في حضارة عربية إسلامية** (إشراف: مكي عبد الكريم)، الجزائر: جامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2013/2012.
10. كريمة، حمدي. "أدب الرحلة ودوره في التواصل بين الحضارات: رحلة أبو القاسم سعد الله نموذجًا". **مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية المقارنة** (إشراف: بلقاسم إبراهيم)، الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم، كلية الأدب والفنون، 2016/2015.

11. نبيلة، بلمكي. "حوار الحضارات في أدب ابن بطوطة". **مذكرة التخرّج لنيل شهادة الماستر في الأدب والحضارة العربية** (إشراف: بن عز علي)، الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم، كلية الأدب والفنون، 2017/2016.

ث- المؤتمرات والندوات:

1. التومي، علي. "المجتمع الروسي في كتب الرحالة والأدباء العرب: ابن فضلان أنموذجًا" في **ندوة الحوار العربي الروسي في القرن الحادي والعشرين: تفاعل حضارتين وتاريخ من العلاقات المتبادلة.** الحمامات: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (2003): 75 – 88.

2. خالد، أحمد. "الحضارة الإسلامية بعد من أبعاد الشخصية الروسية: رحلة ابن فضلان شاهدًا" في **ندوة الحوار العربي الروسي في القرن الحادي والعشرين: تفاعل حضارتين وتاريخ من العلاقات المتبادلة.** الحمامات: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (2003): 59 – 74.

3. رضا، غانم جواد. "البناء القصصي في رسالة ابن فضلان" في **الندوة العلمية العالمية الثانية "اللغة العربية وآدابها في الخليج العربي: تراث حضارة وعنوان أصالة".** جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، مج2 (1977): 150 – 172.

4. السرحان، خضر عيد. "الآخر في رحلة ابن فضلان" في **المؤتمر العلمي الثاني "الأدب العربي وآداب الشعوب الإسلامية: آفاق التواصل الفني والموضوعي".** مركز دراسات العالم الإسلامي بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، عُقد في الأردن: جامعة آل البيت، 23 – 24 أبريل 2013.

5. السرحان، خضر عيد. "ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأخرى: رحلة ابن فضلان أنموذجًا" في **مؤتمر النقد الأدبي الدولي الخامس عشر "التراث اللغوي والأدبي والنقدي العربي في الآداب العالمية".** الأردن: جامعة اليرموك، 28 – 30 يوليو 2015.

6. السرحان، خضر عيد؛ وموسى بني خالد. "النقد الحضاري في رحلة ابن فضلان" في **مؤتمر فيلادلفيا الدولي 21 "النقد الحضاري في الوطن العربي".** الأردن: جامعة فيلادلفيا – كلية الآداب والفنون، 11 – 13 أبريل 2017.

7. السري، أحمد. رحلة ابن فضلان إلى بلاد البلغار بين الحقيقة والخيال. إدارة: رشاد بوخش، **دبي: دار الندوة،** 5 أبريل 2010.

8. السعدون، أنيسة. "رحلة ابن فضلان وعي الذات عبر مرآة الأخر" في **مؤتمر فيلادلفيا الدولي 21 "النقد الحضاري في الوطن العربي".** الأردن: جامعة فيلادلفيا – كلية الآداب والفنون، 11 – 13 أبريل 2017.

9. السنيدي، صالح. "قراءة في رسالة ابن فضلان عن بلاد الروس وأهلها" في **وقائع المؤتمر الدولي الثالث "عالم الإسلام: المجتمع والتاريخ والثقافة".** موسكو: مؤسسة مردجاني، ومكتبة الدولة الروسية للآداب، وجامعة الصداقة للشعوب، والمركز الثقافي الأذري، 22 – 24 أكتوبر 2014.

10. شخاترة، خولة. "رحلة ابن فضلان في العمل السفاري". إدارة: رفعت الزغول. **إربد: رابطة الكتاب الأردنيين،** 11 أبريل 2011.

11. الشروش، علي. "صورة الآخر في رحلة أحمد بن فضلان" في **المؤتمر الدولي الرابع "الأدب منصة للتفاعل الحضاري"**. الأردن: جامعة مؤتة، 28 – 30 أبريل 2004.

12. الشوابكة، نوال. "دور الرحلات في حوار الحضارات" في **مؤتمر أبعاد غائبة في حوار الحضارات**. الأردن: جامعة الإسراء – كلية الآداب، 8 – 9 يوليو 2009.

13. صالح، رباب. "أدب الرحلات والتعددية الثقافية رحلة ابن فضلان نموذجا" في **المؤتمر الدولي الخامس لكلية الآداب "التعددية الثقافية في اللغة والأدب"**. عمّان: جامعة الزيتونة الأردنية، 17 – 19 نوفمبر 2015.

14. صفوت، خديجة. " قراءة في رحلة ابن فضلان والخزر: أعراب الشتات/ازدهار وخراب المدن من يثرب إلى إشبيلية" في **ندوة الرحالة العرب والمسلمين: اكتشاف الذات والآخر "الرحلة العربية في ألف عام"**. أبو ظبي – لندن: المركز العربي للأدب الجغرافي، عُقد في الرباط: المكتبة الوطنية، 22 – 24 مايو 2009.

15. طه، أمل؛ وليلى فاضل. "دراسة في أدب الرحلات والموروث الحضاري" في **مؤتمر فيلادلفيا الدولي 21 "النقد الحضاري في الوطن العربي"**. الأردن: جامعة فيلادلفيا – كلية الآداب والفنون، 11 – 13 أبريل 2017.

16. عامر، رضا. "التعدد الثقافي وإشكالية التلقي في رحلة ابن فضلان" في **المؤتمر الدولي الخامس لكلية الآداب "التعددية الثقافية في اللغة والأدب"**. عمّان: جامعة الزيتونة الأردنية، 17 – 19 نوفمبر 2015.

17. عساف، فاتح. "التواصل بين الشعوب: رحلة ابن فضلان" في **مؤتمر فيلادلفيا الدولي 14 "ثقافة التواصل"**. الأردن: جامعة فيلادلفيا – كلية الآداب والفنون، 3 – 5 نوفمبر 2009.

18. علاوي، الخامسة. "الرحلة مع ابن فضلان" في **المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين "العرب بين البحر والصحراء: أرض التعارف"**. لندن – أبو ظبي: المركز العربي للأدب الجغرافي (ارتياد الآفاق)، عُقد في الدوحة: الحي الثقافي (كتارا)، 6 – 9 ديسمبر 2010.

19. الكريم، خولة. "النقد الحضاري بعيون الرحلات كشريعة نحو تفاعل الحضارات" في **مؤتمر فيلادلفيا الدولي 21 "النقد الحضاري في الوطن العربي"**. الأردن: جامعة فيلادلفيا – كلية الآداب والفنون، 11 – 13 أبريل 2017.

20. لعيبي، شاكر. "ابن فضلان: مقدمة عن رحلته وملاحظات عن دارسيه" في **ندوة الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر "المغرب منطلقًا وموئلًا"**. لندن – أبو ظبي: المركز العربي للأدب الجغرافي (ارتياد الآفاق)، عقد في الرباط، 14 – 17 نوفمبر 2003.

21. لعيبي، شاكر. "الأوهام الأيديولوجية والتخليط بشأن رحلة ابن فضلان – أضواء على رحلة أحمد بن فضلان" في **ندوة الرحالة العرب والمسلمين: اكتشاف الذات والآخر "الرحلة العربية في ألف عام"**. أبو ظبي – لندن: المركز العربي للأدب الجغرافي، عُقد في الرباط: المكتبة الوطنية، 22 – 24 مايو 2009.

22. المفرّح، حصة بنت زيد سعد. **جلسة حوارية حول رسالة ابن فضلان**. وكالة الدراسات العليا والبحث العلمي بكلية الآداب (جامعة الملك سعود)، قاعة الدراسات العليا (3 – 173)، 25 نوفمبر 2019.

ج- الشبكة العنكبوتية:

1. "«مخطوطة 5229» أول دار نشر إماراتية للخيال العلمي والفانتازيا". **صحيفة البيان الإماراتية**، 16 أغسطس 2016، على: https://www.albayan.ae/five-senses/culture/2016-08-16-1.2697710. (11 فبراير 2020)
2. "10 أحمد ابن فضلان ورحلته العجيبة IBC". **قناة المناهج الدراسية لمكفوفي العراق IBC**، 25 أبريل 2019، على: https://youtu.be/JT_EdOPt-ZQ. (11 فبراير 2020)
3. "احتفالات ضخمة في روسيا مكرسة لذكرى اعتناق الإسلام". **روسيا اليوم**، 25 مايو 2013، على: https://arabic.rt.com/news/616484. (11 فبراير 2020)
4. "أحمد بن فضلان". **ويكيبيديا: الموسوعة الحرة**، 29 مايو 2008، على: https://bit.ly/37xHl6s. (11 فبراير 2020)
5. "آراء جديدة في روسيا حول رحلة ابن فضلان". **صحيفة المدى**، 29 أغسطس 2016، على: https://almadapaper.net/view.php?cat=156079. (11 فبراير 2020)
6. "إطلاق مسابقة "ابن فضلان" لراوي وشاعر المهجر الإسكندنافي". **غربةjo**، 7 ديسمبر 2015، على: https://www.ghorbajo.com/7455. (11 فبراير 2020)
7. "انطلاق العام الثقافي «قطر روسيا 2018»". **صحيفة العرب القطرية**، 25 فبراير 2018، على: https://s.alarab.qa/1300252. (11 فبراير 2020)
8. "رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة / كتاب مسموع". **قناة Ali Al.Ghazi**، 13 أغسطس 2013، على: https://youtu.be/s7NuXTfU45o. (11 فبراير 2020)
9. "صور افتتاح معرض رحلة ابن فضلان من بغداد إلى بلغار الڤولجا في آرميتاج قازان". **آسيا إن**، 5 مارس 2016، على: http://ar.theasian.asia/archives/30067. (2020/05/21)
10. "قصة الأكراد – (10) شخصيات كردية بارزة". **طريق الإسلام**، 27 مارس 2014، على: http://iswy.co/e11prn. (11 فبراير 2020)
11. "مساجد إقليم الدونباس شرق أوكرانيا". **موقع الرائد: اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا**، 30 نوفمبر 2011، على: https://www.arraid.org/en/node/1903. (11 فبراير 2020)
12. "نجدة أنزور: «سقف العالم» رد حضاري على الرسوم المسيئة للرسول". **صحيفة البيان الإماراتية**، 23 يونيو 2007، على: https://www.albayan.ae/economy/2007-06-23-1.774912. (21/05/2020)
13. "هذا تقليد رائع، أن نجتمع هنا كل عام في بولغار المقدس لنا". **مجموعة الرؤية الإستراتيجية "روسيا – العالم الإسلامي"**. 15 يونيو 2019، على: https://bit.ly/2QxKNb1. (11 فبراير 2020)

14. الأسعد، محمد. "هل زار أحمد بن فضلان بلاد الفايكنج؟". **منصة Academia**، د.ت، على: https://bit.ly/38pgwkM. (1 فبراير 2020)
15. أسماء الفائزين بجائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي. **ارتياد الآفاق**، 3 يونيو 2014، على: http://alrihlah.com/prize/winners/552. (11 فبراير 2020)
16. البلوي، سلامة محمد الهرفي. "الرحلة في الإسلام". **الشارقة: المنتدى الإسلامي**، 6 أكتوبر 2011، على: https://youtu.be/fc_thRGQuO0. (15 يناير 2020)
17. حارب، سعيد. "أيام التعاون في السويد". **صحيفة العرب القطرية**، 25 نوفمبر 2013، على: https://s.alarab.qa/270680. (11 فبراير 2020)
18. الحسين، بدر. "أدب الرحلات". **قناة الرسالة**، 26 أبريل 2017، على: https://youtu.be/EEiYR18MBY0. (16 يناير 2020)
19. حمادة، فاروق. "المدخل إلى أدب الرحلات". **الشارقة: المنتدى الإسلامي**، 6 أكتوبر 2011، على: https://youtu.be/mrPJiy0mQl0. (15 يناير 2020)
20. الدايل، عبد الله. "رِحْلات – بكسر الراء لا رَحَلات – بالفتح". **الاقتصادية**، 14 يونيو 2017، على: http://www.aleqt.com/2017/06/14/article_1203351.html. (17 يناير 2020)
21. رؤوف، عماد عبد السلام. "أعلام من العراق: أحمد بن فضلان". **العراق: قناة الرافدين**، الحلقة 31، 4 أغسطس 2018، على: https://youtu.be/4yvGPUxy3pI. (12 يناير 2020)
22. سعيد، خالد. "شجرة المسرّات سيرة ابن فضلان السرية المؤلف: محمد الأسعد الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر". **الجريدة**، 31 أغسطس 2007، على: https://www.aljarida.com/articles/1461292857776079900. (11 فبراير 2020)
23. الصغير، نور الدين. "الرحلات: تاريخها ونشأتها 2". **الشارقة: المنتدى الإسلامي**، 6 أكتوبر 2011، على: https://youtu.be/ALEn7B2oDfg. (15 يناير 2020)
24. الطائي، سحر. "ندوة تثقيفية على قاعة أحمد بن فضلان". **مؤسسة النور للثقافة والإعلام**، 10 يوليو 2019، على: http://www.alnoor.se/article.asp?id=355117. (11 فبراير 2020)
25. الطويل، حسن. "شعرية تعدد الأصوات في رحلة ابن فضلان". **موقع الألوكة**، 5 مارس 2014، على: https://www.alukah.net/literature_language/0/67455 (11 فبراير 2020)
26. الطيب، الزين الطيب. "الرحالة ابن فضلان أثرى تاريخ روسيا". **قناة الجزيرة**، 11 يوليو 2011، على: https://bit.ly/2FyUWxY. (11 فبراير 2020)
27. معوض، وائل عزت. "أحمد بن فضلان السفير الرحالة". **موقع الألوكة**، 8 يوليو 2009، على: https://www.alukah.net/culture/0/6567. (11 فبراير 2020)

28. الهدلق، محمد. "الإنسان في رحلة ابن فضلان". **الرياض: مركز حمد الجاسر**، 22 أكتوبر 2016، على: https://youtu.be/V4o5lM4INyE. (11 فبراير 2020)

المراجع باللغات الأجنبية:

A. Books:

1. Abu-Chacra, Faruk. *Viikingit arabin silmin: "Ibn Fadlan" vuodelta 922 = Vikingarna i en arabs ögon: "Ibn Fadlan" från år 922 = Vikings through Arab eyes : "Ibn Fadlan" A.D. 922*. Ammatour Press Finland, 2004.
2. Al-Sirafi, Abu Zayd, and Ahmad Ibn Fadlan. Two Arabic Travel Books: Accounts of China and India and Mission to the Volga. Vol. 17. NYU Press, 2014.
3. Bestuzhev-Rĭumin, Konstantin Nikolaevich. *Geschichte Russlands*. Vol. 1. E. Behre, 1877.
4. Blake, Robert Pierpont, and Richard Nelson Frye. *Notes on the Risala of Ibn-Fadlan*. Verlag nicht ermittelbar, 1949.
5. Charles-Dominique, *Paule. Voyageurs arabes: Ibn Fadlan, Ibn Jubayr, Ibn Battuta et un auteur anonyme*. Gallimard, 1995.
6. Crichton, Michael. *Eaters of the Dead: The Manuscript of Ibn Fadlan Relating His Experiences with the Northmen in AD 922*. Charnwood Library, 1976.
7. Crichton, Michael. *The 13th Warrior: The Manuscript of Ibn Fadlan, Relating His Experiences with the Northmen in A.D. 922*. Arrow, 1997.
8. Crichton, Michael. *The Thirteenth Warrior: The Manuscript of Ibn Fadlan, Relating His Experiences with the Northmen in AD 922*. Arrow, 1976.
9. Ferguson, Robert. *The Vikings: a history*. Penguin, 2009.
10. Flowers, Stephen E. *Ibn Fadlan's Travel Report: As it Concerns the Scandinavian Rús*. Runa-Raven Press, 1998.
11. Frähn, Christian Martin. *Ibn Foszlan's und anderer Araber Berichte über die Russen älterer Zeit*. Forgotten Books, 2018.
12. Ibn Fadhlan, Ahmad. *La crónica de ibn Fadlan*. Mario Martín Merino (Translator), Kindle Edition, 2019.
13. Ibn Fadhlan, Ahmad. *Risalah Ibn Fadhlan: Kembara ke Bumi Turk, Khazar, Rus dan Saqalibah*. Arsyad Mokhtar (Translator), Geroda Merah Press, 2018.
14. Ibn Fadlan, Ahmad, and Tim Severin. *Mission to the Volga*. NYU Press, 2017.
15. Ibn Faḍlān, Aḥmad. *Ibn Fadlan's Journey to Russia: A Tenth-Century Traveler from Baghad to the Volga River*. Markus Wiener Pub, 2009.
16. İbn Fadlan. *Bin Yıl Önce Türkler ve Ötekiler*. Sadık Şaşar (Translator), İstiklal Kitabevi, 2005.

17. Ibn Fadlàn. *Un viaggiatore arabo nelle oscure terre del lontano Nord*. Luni Editrice, 2017.

18. Kendrick, Thomas D. *A History of the Vikings*. Routledge, 2018.

19. Lunde, Paul (Translator, Introduction). *Ibn Fadlan and the Land of Darkness: Arab Travellers in the Far North*. Penguin Classics, 2012.

20. Richard Frye. *Ibn Fadlan's Journey to Russia: A Tenth-Century Traveler from Baghdad to the Volga River*. Princeton: Markus Wiener Publishers, 2005.

21. Samaha, Ali. *Ibn Fadlan und die Rus. Wikinger aus der Sicht eines Arabers*. GRIN Verlag, 2019.

22. Şeşen, Ramazan. *İbn Fadlan Seyahatnamesi*. Yeditepe Yayınevi, 2017.

23. Simonsen, Jørgen Bæk, *Vikingerne ved Volga / Ibn Fadlans rejsebeskrivelse*, Højbjerg: Wormianum, 1981.

24. Togan, A. Zeki Validi. *Ibn Fadlan's Reisebericht*. Leipzig, 1939.

B. Journals:

1. Amitai, Reuven. "Towards a pre-history of the Islamization of the Turks: A re-reading of Ibn Faḍlan's Riḥla." *Cahiers de Studia Iranica* 39 (2008): 279.

2. Arne, Ture J. "Ibn-Fadlans resa till Bulgar: en nyupptäckt handskrift." *Fornvännen* 36 (1941): 193-212.

3. BAHADIR, Sedat. "İbn Fadlan'ın (Rıhletu'bni Fadlan) Seyahatnamesinde Türklüğe Bakış Açısı." *Zeitschrift für die Welt der Türken/Journal of World of Turks* 9.3 (2017): 127-136.

4. Bahiy, Essam. "Ibn Fadlan's epistle: a cultural reading." *Alif: Journal of Comparative Poetics* 26 (2006): 274-275.

5. Burkhanov, A. "Along the Itinerary of Akhmed ibn Fadlan after 1000 Years." *Oriental studies in the 20th Century: Achivements and Prospects. Moscow: Institute of the Oriental Studies of the RAS* 1 (1997): 7-12.

6. Canard, Marius. "Ibn Fadlan." *Encyclopaedia of Islam; New edition* 3 (1988): 759.

7. Dunlop, D. M. "Zeki Validi's Ibn Faḍlān." *Die Welt des Orients* H. 4 (1950): 307-312.

8. Farshkhatov, M. N. "Ahmet-Zeki Validi Togan and the Travel Accounts of Ahmad ibn Fadlan." *Saint Petersburg Annual of Asian and African Studies* 1 (2012): 15-38.

9. Halim, Harliana, et al. "Analysis on social change among Bulghar society based on Risa-lah Ibn Fadlan 922 AD." *International Journal of Engineering & Technology* 7.4.9 (2018): 190-193.
10. Hayward-Jansen, Joy. “Ibn Fadlan: Crossing Over and the Nature of the Boundary.” *Postcolonialist,* vol. 2, no. 1, July 2014, pp. 149–159.
11. Kalinke, Marianne E. "The Viking Age: A Reader." *JEGP, Journal of English and Germanic Philology* 111.3 (2012): 396-398.
12. Klyashtornyi, Sergey Grigorievich. "About One Khazar Title in Ibn Fadlan." *Manuscripta Orientalia. International Journal for Oriental Manuscript Research* 3.3 (1997): 22-23.
13. Kowalska, Maria. "Ibn Fadlan’s account of his journey to state of the Bulghars." Folia Orientalia 14 (1972): 53-72.
14. Magennis, Hugh. "Michael Crichton, Ibn Fadlan, fantasy cinema: Beowulf at the movies." *Old English Newsletter* 35.1 (2001): 34-8.
15. Montgomery, James E. "Ibn Faḍlān and the Rūsiyyah." *Journal of Arabic and Islamic studies* 3 (2000): 1-25.
16. Montgomery, James E. "Travelling autopsies: Ibn Fa lān and the Bulghār." *Middle Eastern Literatures* 7.1 (2004): 3-32.
17. Nagrodzka-Majchrzyk, T. "Les Oghouz dans la rélation d’Ahmad Ibn Fadlan." *Rocznik orientalistyczny* 49.2 (1995): 165-169.
18. Ritter, Hellmut. "Zum test von İbn Fadlan's Reisebericht." *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 96 (1942): 104.
19. Rosen, George. "History in the study of suicide." *Psychological Medicine* 1.4 (1971): 267-285.
20. Sayers, William. "An Irish Perspective on Ibn Fadlan's Description of Rus Funeral Ceremonial." *Journal of Indo-European Studies* 16.1&2 (1988): 173-181.
21. Stone, Caroline. "Ibn Fadlan and the Midnight Sun." *Saudi Aramco* 30 (1979): 1-3.

الملاحق

الملحق (أ): خرائط الرحلة[365]

(1)

(2)

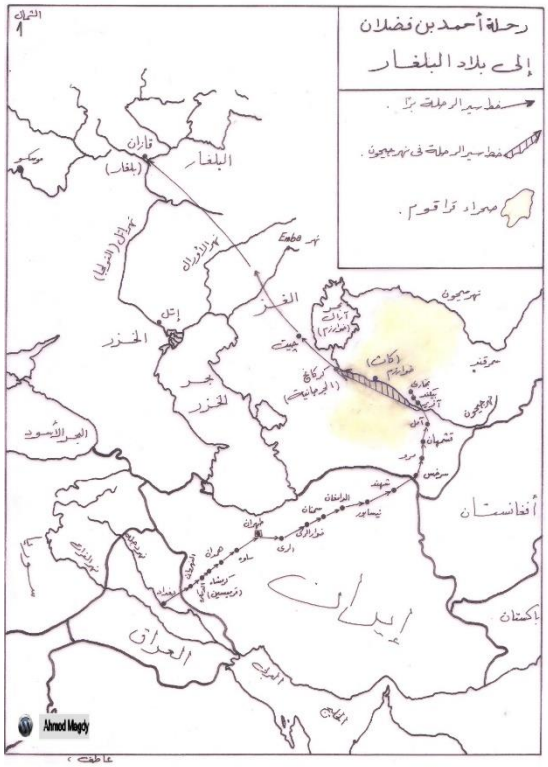

(3)

---

[365] أُقتُبست الخريطة (1) من: https://bit.ly/37N6Pfx، والخريطة (2) من: https://bit.ly/2FCIsoJ، والخريطة (3) من: https://bit.ly/2T4waO3. (11 فبراير 2020)

الملحق (ب): قاعة ابن فضلان في وزارة التربية العراقية[366]

[366]راجع: سحر الطائي، "ندوة تثقيفية على قاعة أحمد بن فضلان". **مؤسسة النور للثقافة والإعلام**، 10 يوليو 2019، على: http://www.alnoor.se/article.asp?id=355117. (11 فبراير 2020)

الملحق (ج): احتفال بلغار الفولجا السنوي بذكرى وصول ابن فضلان[367]

[367]راجع: "احتفالات ضخمة في روسيا مكرسة لذكرى اعتناق الإسلام". **روسيا اليوم**، 25 مايو 2013، على: https://arabic.rt.com/news/616484. (11 فبراير 2020)

الملحق (د): افتتاح معرض رحلة ابن فضلان في قازان[368]

[368]راجع: "صور افتتاح معرض رحلة ابن فضلان من بغداد إلى بلغار الفولجا في آرميتاج قازان". **آسيا إن**، 5 مارس 2016، على: http://ar.theasian.asia/archives/30067. (11 فبراير 2020)

الملحق (هـ): احتفال "لقاء بولغار المقدس" إحياءً لذكرى وصول ابن فضلان[369]

[369]راجع: "هذا تقليد رائع، أن نجتمع هنا كل عام في بولغار المقدس لنا". **مجموعة الرؤية الإستراتيجية "روسيا – العالم الإسلامي"**. 15 يونيو 2019، على: https://bit.ly/2QxKNb1. (11 فبراير 2020)

الملحق (و): تفاعل الغربيين في مواقع التواصل الاجتماعي مع رحلة ابن فضلان[370]

---

[370] للوصول إلى المنشور (1): https://bit.ly/3a2i4CX، والمنشور (2): https://bit.ly/2QOaa8o، والمنشور (3): https://bit.ly/2QLCSab، والمنشور (4): https://bit.ly/36QHXDy، والمنشور (5): https://bit.ly/2tTSz66، والمنشور (6): https://bit.ly/2snSG9M. (11 فبراير 2020)

الملحق (ز): الأفلام الممثّلة لرحلة ابن فضلان[371]

(2)

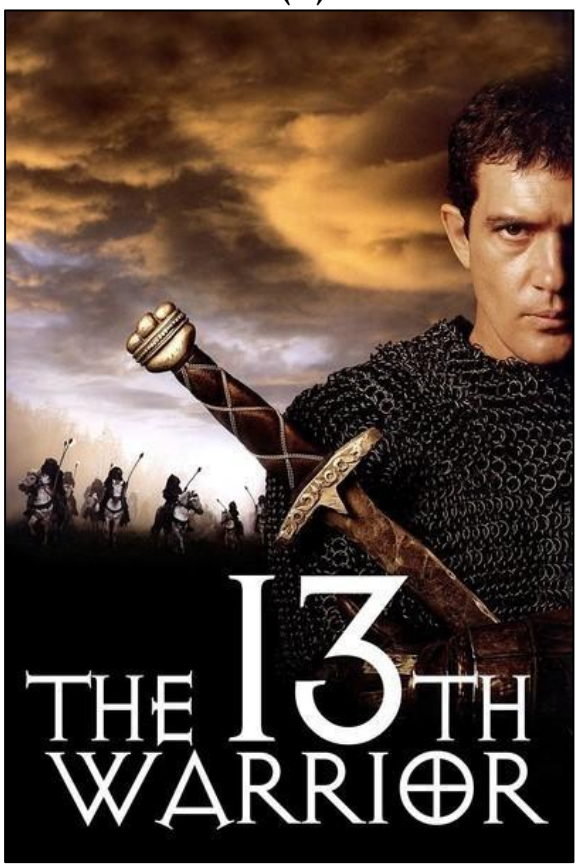

(1)

[371] الصورة (1) مأخوذة من: https://shar.es/a3ANPA، والصورة (2) من:
https://www.rogerebert.com/reviews/the-13th-warrior-1999. (11 فبراير 2020)

الملحق (ح): لوحات فنيّة تحاكي رحلة ابن فضلان[372]

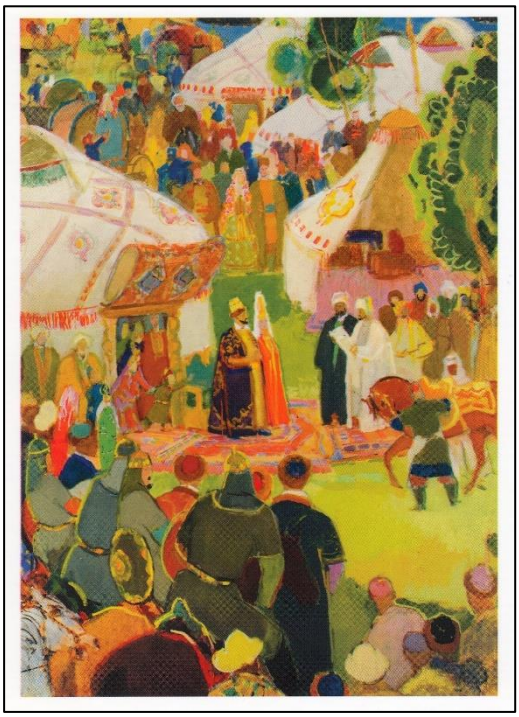

(1)

(2)

(3)

---

[372] الرسمة (1) أخذت من: http://dreamsandfevers.blogspot.com/2019/09/ibn-fadlan-is-not-adventurer-xp-rules.html، والرسمة (2) من: http://www.isttat6.izmeri.edusite.ru/p12aa1.html، والرسمة (3) من: http://tatarlar.info/news.php?lng=ru&pg=20868. (11 فبراير 2020)

الملحق (ط): نصب تذكاري لابن فضلان في جامعة فورونيج الروسية[373]

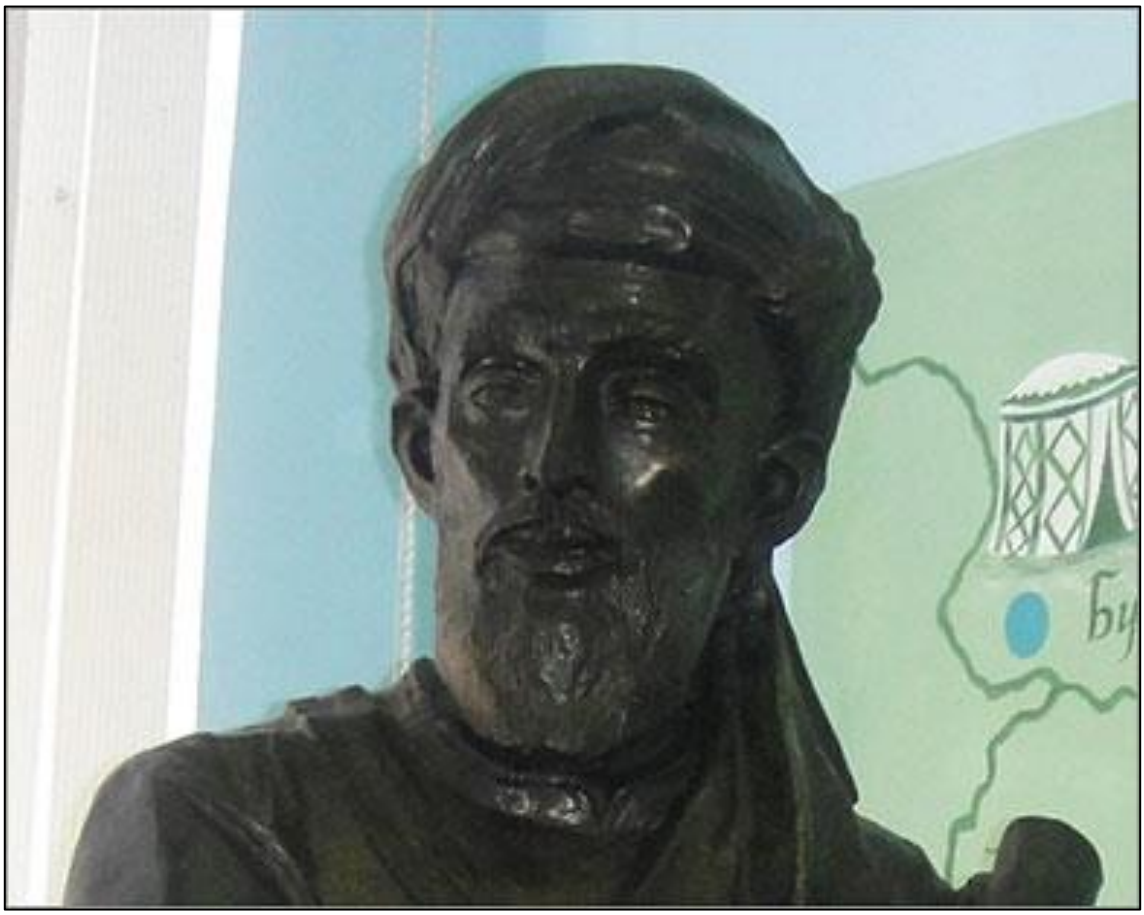

[373]الطيب الزين الطيب، "الرحالة ابن فضلان أثرى تاريخ روسيا". **قناة الجزيرة**، 11 يوليو 2011، على: https://bit.ly/2FyUWxY. (11 فبراير 2020)

الملحق (ي): إطلاق رقم مخطوطة ابن فضلان "MS5229" على دار نشر[374]

[374]راجع: "«مخطوطة 5229» أول دار نشر إماراتية للخيال العلمي والفانتازيا". **صحيفة البيان الإماراتية**، 16 أغسطس 2016، على: https://www.albayan.ae/five-senses/culture/2016-08-16-1.2697710. (11 فبراير 2020)